سلسلة تفسير القرآن
17

أبو القاسم الزّمخشري

الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل

الجزء السّادس

تدقيق
أسعد جمعة

دار كيرانيس للطباعة والنشر والتوزيع
2024

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – III/2 – المنار 2 – تونس – الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-070-6

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع

أبو القاسم الزّمخشري

الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل

الجزء السّادس

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

مَكِّيَّةٌ، غَيْرَ ثَمَانِ آيَاتٍ: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾...[1] إِلَى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾...[2]

وَهِيَ مِائَتَانِ وَسِتُّ آيَاتٍ [نَزَلَتْ بَعْدَ ص]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿المص كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]

﴿كِتَابٌ﴾[4]: خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: هُوَ كِتَابٌ.

وَ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾[5]: صِفَةٌ لَهُ، وَالْمُرَادُ بِالْكِتَابِ السُّورَةُ.

﴿فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾[6]، أَيْ: شَكٌّ مِنْهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾[7]، وَسَمَّى الشَّكَّ حَرَجًا، لِأَنَّ الشَّاكَّ ضَيِّقُ الصَّدْرِ حَرِجُهُ، كَمَا أَنَّ الْمُتَيَقِّنَ مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ مُنْفَسِحُهُ، أَيْ: لا تَشُكُّ فِي أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنَ اللَّهِ، وَلا تُحْرَجُ مِنْ تَبْلِيغِهِ، لِأَنَّهُ

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ يُونُسَ، الآية 94.

كَانَ يَخَافُ قَوْمَهُ، وَتَكْذِيبُهُمْ لَهُ، وَإِعْرَاضُهُمْ عَنْهُ وَأَذَاهُمْ، فَكَانَ يَضِيقُ صَدْرُهُ مِنَ الْأَدَاءِ، وَلا يَنْبَسِطُ لَهُ، فَأَمَّنَهُ اللَّهُ وَنَهَاهُ عَنِ الْمُبَالاةِ بِهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ تَعَلَّقَ قَوْلُهُ: ﴿لِتُنْذِرَ﴾[1]؟

قُلْتُ: بِـ ﴿أُنْزِلَ﴾[2]، أَيْ: أُنْزِلَ إِلَيْكَ لِإِنْذَارِكَ بِهِ أَوْ بِالنَّهْيِ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يُخِفْهُمْ أَنْذَرَهُمْ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَيْقَنَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ شَجَّعَهُ الْيَقِينُ عَلَى الْإِنْذَارِ، لِأَنَّ صَاحِبَ الْيَقِينِ جَسُورٌ مُتَوَكِّلٌ عَلَى رَبِّهِ، مُتَّكِلٌ عَلَى عِصْمَتِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ فَمَا مَحَلُّ ذِكْرَى؟

قُلْتُ: يَحْتَمِلُ الْحَرَكَاتِ الثَّلاثَ، النَّصْبَ بِإِضْمَارِ فِعْلِهَا، كَأَنَّهُ قِيلَ: لِتُنْذِرَ بِهِ وَتُذَكِّرَ تَذْكِيرًا، لِأَنَّ الذِّكْرَى اسْمٌ بِمَعْنَى التَّذْكِيرِ، وَالرَّفْعَ عَطْفًا عَلَى كِتَابٍ، أَوْ بِأَنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، وَالْجَرَّ لِلْعَطْفِ عَلَى مَحَلِّ أَنْ تُنْذِرَ، أَيْ: لِلْإِنْذَارِ وَلِلذِّكْرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: النَّهْيُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلا يَكُنْ﴾[3] مُتَوَجِّهٌ إِلَى الْحَرَجِ فَمَا وَجْهُهُ؟

قُلْتُ: هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: لا أَرَيَنَّكَ هَهُنَا.

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[4]

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾[5]: مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

﴿وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ﴾[6] : مِنْ دُونِ اللَّهِ.

﴿أَوْلِيَاءَ﴾[7]، أَيْ: وَلا تَتْلُوا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَيَحْمِلُوكُمْ عَلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْبِدَعِ، وَيُضِلُّوكُمْ عَنْ دِينِ اللَّهِ، وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَأَمَرَكُمْ بِاتِّبَاعِهِ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَعَنِ الْحَسَنِ: يَا ابْنَ آدَمَ، أُمِرْتَ بِاتِّبَاعِ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَاللَّهِ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ تَعْلَمَ فِيمَ نَزَلَتْ، وَمَا مَعْنَاهَا.

وَقَرَأَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: "وَلا تَبْتَغُوا"، مِنَ الابْتِغَاءِ.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا﴾[1].

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي ﴿مِنْ دُونِهِ﴾[2]: لِمَا أُنْزِلَ، عَلَى: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِ دِينِ اللَّهِ دِينَ أَوْلِيَاءِ﴾[3].

﴿قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[4]، حَيْثُ تَتْرُكُونَ دِينَ اللَّهِ وَتَتْبَعُونَ غَيْرَهُ.

وَقُرِئَ: تَذَكَّرُونَ، بِحَذْفِ التَّاءِ؛ وَيَتَذَكَّرُونَ، بِالْيَاءِ.

وَ﴿قَلِيلًا﴾[5]: نَصْبُ يَتَذَكَّرُونَ، أَيْ: تَذْكُرُونَ تَذَكُّرًا قَلِيلًا.

وَ﴿مَا﴾[6] مَزِيدَةٌ، لِتَوْكِيدِ الْقِلَّةِ.

﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[7]

﴿فَجَاءَهَا﴾[8]: فَجَاءَ أَهْلَهَا.

﴿بَيَاتًا﴾[9] مَصْدَرٌ وَاقِعٌ مَوْقِعَ الْحَالِ، بِمَعْنَى بَائِتِينَ، يُقَالُ: بَاتَ بَيَاتًا حَسَنًا، وَبَيْتَةً حَسَنَةً.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

9 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَقَوْلُهُ: ﴿هُمْ قَائِلُونَ﴾[1]: حَالٌ مَعْطُوفَةٌ عَلَى ﴿بَيَاتًا﴾[2]، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَجَاءَهُمْ بَأْسُنَا بَائِتِينَ أَوْ قَائِلِينَ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ يُقَدَّرُ حَذْفُ الْمُضَافِ الَّذِي هُوَ الْأَهْلُ قَبْلَ: ﴿قَرْيَةٍ﴾[3]، أَوْ قَبْلَ الضَّمِيرِ فِي ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾[4]؟

قُلْتُ: إِنَّمَا يُقَدَّرُ الْمُضَافُ لِلْحَاجَةِ وَلا حَاجَةَ، فَإِنَّ الْقَرْيَةَ تَهْلَكُ كَمَا يَهْلَكُ أَهْلُهَا، وَإِنَّمَا قَدَّرْنَاهُ قَبْلَ الضَّمِيرِ فِي ﴿فَجَاءَهَا﴾[5] لِقَوْلِهِ: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[6].

فَإِنْ قُلْتَ: لا يُقَالُ: جَاءَنِي زَيْدٌ هُوَ فَارِسٌ، بِغَيْرِ وَاوٍ، فَمَا بَالُ قَوْلِهِ: ﴿هُمْ قَائِلُونَ﴾[7] ؟

قُلْتُ: قَدَّرَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ الْوَاوَ مَحْذُوفَةً، وَرَدَّهُ الزَّجَّاجُ، وَقَالَ: لَوْ قُلْتَ: جَاءَنِي زَيْدٌ رَاجِلًا، أَوْ هُوَ فَارِسٌ، أَوْ جَاءَنِي زَيْدٌ هُوَ فَارِسٌ، لَمْ يَحْتَجْ فِيهِ إِلَى وَاوٍ، لِأَنَّ الذِّكْرَ قَدْ عَادَ إِلَى الْأَوَّلِ.

وَالصَّحِيحُ: أَنَّهَا إِذَا عُطِفَتْ عَلَى حَالٍ قَبْلَهَا، حُذِفَتِ الْوَاوُ اسْتِثْقَالًا، لِاجْتِمَاعِ حَرْفَيْ عَطْفٍ، لِأَنَّ وَاوَ الْحَالِ هِيَ وَاوُ الْعَطْفِ اسْتُعِيرَتْ لِلْوَصْلِ، فَقَوْلُكَ: جَاءَنِي زَيْدٌ آجِلًا أَوْ هُوَ فَارِسٌ، كَلامٌ فَصِيحٌ وَارِدٌ عَلَى حَدِّهِ، وَأَمَّا: جَاءَنِي زَيْدٌ هُوَ فَارِسٌ، فَخَبِيثٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾[8]، وَالْإِهْلاكُ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ مَجِيءِ الْبَأْسِ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: أَرَدْنَا إِهْلاكَهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ﴾[9].

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[8] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[9] سُورَةُ الْمَائِدَةِ، الآية 6.

وَإِنَّمَا خُصَّ هَذَانِ الْوَقْتَانِ: وَقْتُ الْبَيَاتِ، وَوَقْتُ الْقَيْلُولَةِ، لِأَنَّهُمَا وَقْتُ الْغَفْلَةِ وَالدَّعَةِ، فَيَكُونُ نُزُولُ الْعَذَابِ فِيهِمَا أَشَدَّ وَأَفْظَعَ، وَقَوْمُ لُوطٍ أُهْلِكُوا بِاللَّيْلِ وَقْتَ السَّحَرِ، وَقَوْمُ شُعَيْبٍ وَقْتَ الْقَيْلُولَةِ.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[1]

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾[2]: مَا كَانُوا يَدْعُونَهُ مِنْ دِينِهِمْ، وَيَنْتَحِلُونَهُ مِنْ مَذْهَبِهِمْ إِلَّا اعْتِرَافُهُمْ بِبُطْلَانِهِ وَفَسَادِهِ، وَقَوْلُهُمْ: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[3]: فِيمَا كُنَّا عَلَيْهِ.

وَيَجُوزُ: فَمَا كَانَ اسْتِغَاثَتَهُمْ إِلَّا قَوْلُهُمْ هَذَا، لِأَنَّهُ لا مُسْتَغَاثَ مِنَ اللَّهِ بِغَيْرِهِ، وَمِنْ قَوْلِهِمْ دَعْوَاهُمْ: "يَا لَكَعْبٍ".

وَيَجُوزُ، فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ رَبَّهُمْ إِلَّا اعْتِرَافَهُمْ، لِعِلْمِهِمْ أَنَّ الدُّعَاءَ لا يَنْفَعُهُمْ، وَأَنَّ لاتَ حِينَ دُعَاءٍ، فَلا يَزِيدُونَ عَلَى ذَمِّ أَنْفُسِهِمْ، وَتَحَسُّرِهِمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ.

﴿دَعْوَاهُمْ﴾[4]: نُصِبَ خَبَرٌ لِكَانَ.

وَ﴿أَنْ قَالُوا﴾[5]: رُفِعَ اسْمٌ لَهُ، وَيَجُوزُ الْعَكْسُ.

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾[6]

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]: ﴿أُرْسِلَ﴾[2]: مُسْنَدٌ إِلَى الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ، وَهُوَ ﴿إِلَيْهِمْ﴾[3].

وَمَعْنَاهُ: فَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَهُمُ الْأُمَمُ، يَسْأَلُهُمْ عَمَّا أَجَابُوا عَنْهُ رُسُلَهُمْ، كَمَا قَالَ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾[4]، وَيَسْأَلُ الْمُرْسَلِينَ عَمَّا أُجِيبُوا بِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾[5].

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ﴾[6]: عَلَى الرُّسُلِ وَالْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ مَا كَانَ مِنْهُمْ.

﴿بِعِلْمٍ﴾[7]: عَالِمِينَ بِأَحْوَالِهِمُ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ.

﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾[8] : عَنْهُمْ وَعَمَّا وُجِدَ مِنْهُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَإِذَا كَانَ عَالِمًا بِذَلِكَ، وَكَانَ يَقُصُّهُ عَلَيْهِمْ، فَمَا مَعْنَى سُؤَالِهِمْ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: التَّوْبِيخُ، وَالتَّقْرِيعُ، وَالتَّقْرِيرُ إِذَا فَاهُوا بِهِ أَلْسِنَتَهُمْ، وَشَهِدَ عَلَيْهِمْ أَنْبِيَاؤُهُمْ.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[9]

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْقَصَصِ، الآية 65.

5 سُورَةُ الْمَائِدَةِ، الآية 109.

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

9 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾[1] يَعْنِي: وَزْنَ الْأَعْمَالِ، وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ رَاجِحِهَا، وَخَفِيفِهَا، وَرَفْعَهُ عَلَى الابْتِدَاءِ.

وَخَبَرُهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾[2]، وَ﴿الْحَقُّ﴾[3]: صِفَتُهُ؛ أَيْ: وَالْوَزْنُ يَوْمَ يَسْأَلُ اللَّهُ الْأُمَمَ وَرُسُلَهُمُ الْوَزْنُ الْحَقِّ، أَيِ: الْعَدْلُ، وَقُرِئَ: "الْقِسْطُ".

وَاخْتُلِفَ فِي كَيْفِيَّةِ الْوَزْنِ، فَقِيلَ: تُوزَنُ صُحُفُ الْأَعْمَالِ بِمِيزَانٍ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ، تَنْظُرُ إِلَيْهِ الْخَلَائِقُ، تَأْكِيدًا لِلْحُجَّةِ، وَإِظْهَارًا لِلنَّصَفَةِ، وَقَطْعًا لِلْمَعْذِرَةِ، كَمَا يَسْأَلُهُمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ فَيَعْتَرِفُونَ بِهَا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَتَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ، وَأَرْجُلُهُمْ، وَجُلُودُهُمْ، وَتَشْهَدُ عَلَيْهِمُ الْأَنْبِيَاءُ، وَالْمَلَائِكَةُ، وَالْأَشْهَادُ، وَكَمَا تَثْبُتُ فِي صَحَائِفِهِمْ، فَيَقْرَءُونَهَا فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ.

وَقِيلَ: هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الْقَضَاءِ السَّوِيِّ وَالْحُكْمِ الْعَادِلِ.

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾[4]: جَمْعُ مِيزَانٍ أَوْ مَوْزُونٍ، أَيْ: فَمَنْ رَجَحَتْ أَعْمَالُهُ الْمَوْزُونَةُ الَّتِي لَهَا وَزْنٌ وَقَدْرٌ، وَهِيَ الْحَسَنَاتُ، أَوْ مَا تُوزَنُ بِهِ حَسَنَاتُهُمْ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: وَحُقَّ لِمِيزَانٍ تُوضَعُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ أَنْ يَثْقُلَ، وَحُقَّ لِمِيزَانٍ تُوضَعُ فِيهِ السَّيِّئَاتُ أَنْ يَخِفَّ.

﴿بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[5]: يُكَذِّبُونَ بِهَا ظُلْمًا، كَقَوْلِهِ: ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾[6].

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ﴾[7]

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية **103**.

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ﴾[1]: جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَكَانًا وَقَرَارًا، أَوْ مَلَّكْنَاكُمْ فِيهَا وَأَقْدَرْنَاكُمْ عَلَى التَّصَرُّفِ فِيهَا.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾[2]: جَمْعُ مَعِيشَةٍ، وَهِيَ مَا يُعَاشُ بِهِ مِنَ الْمَطَاعِمِ، وَالْمَشَارِبِ، وَغَيْرِهَا، وَمَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى ذَلِكَ، وَالْوَجْهُ: تَصْرِيحُ الْيَاءِ.

وَعَنِ ابْنِ عَامِرٍ: أَنَّهُ هَمْزٌ، عَلَى التَّشْبِيهِ بِصَحَائِفَ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾[3]

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾[4]، يَعْنِي: خَلَقْنَا أَبَاكُمْ آدَمَ طِينًا غَيْرَ مُصَوَّرٍ، ثُمَّ صَوَّرْنَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

أَلا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾[5] الْآيَةَ.

﴿مِنَ السَّاجِدِينَ﴾[6]: مِمَّنْ سَجَدَ لِآدَمَ.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[7]

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿أَلا تَسْجُدَ﴾[1]: "لا" فِي: "أَنْ لا تَسْجُدَ": صِلَةٌ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[2]، وَمِثْلُهَا: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾[3]، بِمَعْنَى: لِيَعْلَمَ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا فَائِدَةُ زِيَادَتِهَا؟

قُلْتُ: تَوْكِيدُ مَعْنَى الْفِعْلِ الَّذِي تَدْخُلُ عَلَيْهِ وَتَحْقِيقُهُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لِيَتَحَقَّقَ عِلْمُ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُحَقِّقَ السُّجُودَ وَتُلْزِمَهُ نَفْسَكَ؟ ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[4]، لِأَنَّ أَمْرِي لَكَ بِالسُّجُودِ أُوجِبُهُ عَلَيْكَ إِيجَابًا وَأُحَتِّمُهُ عَلَيْكَ حَتْمًا لا بُدَّ مِنْهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ سَأَلَهُ عَنِ الْمَانِعِ مِنَ السُّجُودِ، وَقَدْ عُلِمَ مَا مَنَعَهُ؟

قُلْتُ: لِلتَّوْبِيخِ، وَإِظْهَارِ مُعَانَدَتِهِ، وَكُفْرِهِ، وَافْتِخَارِهِ بِأَصْلِهِ، وَازْدِرَائِهِ بِأَصْلِ آدَمَ، وَأَنَّهُ خَالَفَ أَمْرَ رَبِّهِ مُعْتَقِدًا أَنَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ عَلَيْهِ، لَمَّا رَأَى أَنَّ سُجُودَ الْفَاضِلِ لِلْمَفْضُولِ خَارِجٌ مِنَ الصَّوَابِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾[5] جَوَابًا لِمَا مَنَعَكَ، وَإِنَّمَا الْجَوَابُ أَنْ يَقُولَ: مَنَعَنِي كَذَا؟

قُلْتُ: قَدِ اسْتَأْنَفَ قِصَّةً أَخْبَرَ فِيهَا عَنْ نَفْسِهِ بِالْفَضْلِ عَلَى آدَمَ، وَبِعِلَّةِ فَضْلِهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَنَّ أَصْلَهُ مِنْ نَارٍ، وَأَصْلَ آدَمَ مِنْ طِينٍ، فَعُلِمَ مِنْهُ الْجَوَابُ وَزِيَادَةٌ عَلَيْهِ، وَهِيَ إِنْكَارٌ لِلْأَمْرِ، وَاسْتِبْعَادٌ أَنْ يَكُونَ مِثْلُهُ مَأْمُورًا بِالسُّجُودِ لِمِثْلِهِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: مَنْ كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، كَانَ مُسْتَبْعَدًا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَا أُمِرَ بِهِ.

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[6]

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾[1] مِنَ السَّمَاءِ الَّتِي هِيَ مَكَانُ الْمُطِيعِينَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ مَقَرُّ الْعَاصِينَ الْمُتَكَبِّرِينَ مِنَ الثَّقَلَيْنِ.

﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾[2] : فَمَا يَصِحُّ لَكَ.

﴿أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾[3]: وَتَعْصِيَ.

﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[4]: مِنْ أَهْلِ الصَّغَارِ وَالْهَوَانِ عَلَى اللَّهِ، وَعَلَى أَوْلِيَائِهِ، لِتَكَبُّرِكَ، كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ: قُمْ صَاغِرًا، إِذَا أَهَنْتَهُ، وَفِي ضِدِّهِ: قُمْ رَاشِدًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَظْهَرَ الاسْتِكْبَارَ أُلْبِسَ الصَّغَارَ.

وَعَنْ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: مِنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَ اللَّهُ حِكْمَتَهُ، وَقَالَ: انْتَعِشْ أَنْعَشَكَ اللَّهُ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَعَدَا طَوْرَهُ، وَهَصَهُ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ.

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾[5]

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ أُجِيبَ إِلَى اسْتِنْظَارِهِ، وَإِنَّمَا اسْتُنْظِرَ لِيُفْسِدَ عِبَادَهُ وَيُغْوِيَهُمْ؟

قُلْتُ: لِمَا فِي ذَلِكَ مِن ابْتِلاءِ الْعِبَادِ، وَفِي مُخَالَفَتِهِ مِنْ أَعْظَمِ الثَّوَابِ، وَحُكْمُهُ حُكْمُ مَا خُلِقَ فِي الدُّنْيَا مِنْ صُنُوفِ الزَّخَارِفِ، وَأَنْوَاعِ الْمَلاذِ وَالْمَلاهِي، وَمَا رُكِّبَ فِي الْأَنْفُسِ مِنَ الشَّهَوَاتِ، لِيَمْتَحِنَ بِهَا عِبَادَهُ.

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[6]

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[1]: فَبِسَبَبِ إِغْوَائِكَ إِيَّايَ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ، وَهُوَ تَكْلِيفُهُ إِيَّاهُ مَا وَقَعَ بِهِ فِي الْغَيِّ، وَلَمْ يَثْبُتْ كَمَا ثَبَتَتِ الْمَلائِكَةُ، مَعَ كَوْنِهِمْ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَمِنْ آدَمَ أَنْفُسًا وَمَنَاصِبَ.

وَعَنِ الْأَصَمِّ: أَمَرْتَنِي بِالسُّجُودِ، فَحَمَلَنِي الْأَنَفُ عَلَى مَعْصِيَتِكَ.

وَالْمَعْنَى: فَبِسَبَبِ وُقُوعِي فِي الْغَيِّ، لَأَجْتَهِدَنَّ فِي إِغْوَائِهِمْ حَتَّى يُفْسِدُوا بِسَبَبِي، كَمَا فَسَدْتُ بِسَبَبِهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ تَعَلَّقَتِ الْبَاءُ، فَإِنَّ تَعَلُّقَهَا بِ ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾[2] يَصُدُّ عَنْهُ لامُ الْقَسَمِ، لا تَقُولُ: وَاللَّهِ بِزَيْدٍ لَأَمُرَّنَّ؟

قُلْتُ: تَعَلَّقَتْ بِفِعْلِ الْقَسَمِ الْمَحْذُوفِ تَقْدِيرُهُ: فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَأَقْعُدَنَّ، أَيْ: فَبِسَبَبِ إِغْوَائِكَ أُقْسِمُ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ لِلْقَسَمِ، أَيْ: فَأُقْسِمُ بِإِغْوَائِكَ لَأَقْعُدَنَّ، وَإِنَّمَا أَقْسَمَ بِالْإِغْوَاءِ، لِأَنَّهُ كَانَ تَكْلِيفًا، وَالتَّكْلِيفُ مِنْ أَحْسَنِ أَفْعَالِ اللَّهِ، لِكَوْنِهِ تَعْرِيضًا لِسَعَادَةِ الْأَبَدِ، فَكَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يُقْسَمَ بِهِ.

وَمِنْ تَكَاذِيبِ الْمُجْبِرَةِ، مَا حَكَوْهُ عَنْ طَاوُسٍ: أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ كِبَارِ الْفُقَهَاءِ يَرْمِي بِالْقَدَرِ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ طَاوُسٌ: تَقُومُ أَوْ تُقَامُ، فَقَامَ الرَّجُلُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَقُولُ هَذَا لِرَجُلٍ فَقِيهٍ؟ فَقَالَ: إِبْلِيسُ أَفْقَهُ مِنْهُ، قَالَ: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[3]. وَهَذَا يَقُولُ: أَنَا أُغْوِي نَفْسِي، وَمَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ بَلَغَ مِنْ تَهَالُكِهِمْ عَلَى إِضَافَةِ الْقَبَائِحِ إِلَى اللَّهِ –سُبْحَانَهُ–، أَنْ لَقَّقُوا الْأَكَاذِيبَ عَلَى الرَّسُولِ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

وَقِيلَ: "مَا": لِلِاسْتِفْهَامِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: بِأَيِّ شَيْءٍ أَغْوَيْتَنِي؟ ثُمَّ ابْتُدِئَ لَأَقْعُدُنَّ، وَإِثْبَاتُ الْأَلِفِ إِذَا أُدْخِلَ حَرْفُ الْجَرِّ عَلَى "مَا" الاسْتِفْهَامِيَّةِ، قَلِيلٌ شَاذٌّ.

وَأَصْلُ "الْغَيِّ": الْفَسَادُ، وَمِنْهُ: غَوَى الْفَصِيلُ، إِذَا بَشِمَ، وَالْبَشْمُ: فَسَادٌ فِي الْمَعِدَةِ، قَعَدْنَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ: لَأَعْتَرِضَنَّ لَهُمْ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْلامِ، كَمَا يَعْتَرِضُ الْعَدُوُّ عَلَى الطَّرِيقِ، لِيَقْطَعَهُ عَلَى السَّابِلَةِ وَانْتِصَابُهُ عَلَى الظَّرْفِ، كَقَوْلِهِ:

كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ

وَشَبَّهَهُ الزَّجَّاجُ بِقَوْلِهِمْ: ضَرَبَ زَيْدٌ الظَّهْرَ وَالْبَطْنَ، أَيْ: عَلَى الظَّهْرِ وَالْبَطْنِ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ: قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلامِ، فَقَالَ لَهُ: تَدَعُ دِينَ آبَائِكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ لَهُ: تَدَعُ دِيَارَكَ وَتَتَغَرَّبُ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ لَهُ: تُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَيُقَسَّمُ مَالُكَ وَتُنْكَحُ امْرَأَتُكَ، فَعَصَاهُ فَقَاتَلَ".

﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ﴾[1]: مِنَ الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ، الَّتِي يَأْتِي مِنْهَا الْعَدُوُّ فِي الْغَالِبِ، وَهَذَا مَثَلٌ لِوَسْوَسَتِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَسْوِيلِهِ مَا أَمْكَنَهُ وَقَدَرَ عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾[2].

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قِيلَ: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾[3] بِحَرْفِ الابْتِدَاءِ ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾[4] بِحَرْفِ الْمُجَاوَزَةِ؟

قُلْتُ: الْمَفْعُولُ فِيهِ عُدِّيَ إِلَيْهِ الْفِعْلُ، نَحْوَ تَعْدِيَتِهِ إِلَى الْمَفْعُولِ بِهِ، فَكَمَا اخْتَلَفَتْ حُرُوفُ التَّعْدِيَةِ فِي ذَاكَ، اخْتَلَفَتْ فِي هَذَا، وَكَانَتْ لُغَةً تُؤْخَذُ، وَلا تُقَاسُ؛ وَإِنَّمَا يُفَتَّشُ عَنْ صِحَّةِ مَوْقِعِهَا فَقَطْ. فَلَمَّا سَمِعْنَاهُمْ يَقُولُونَ: جَلَسَ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَلَى يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، وَعَلَى شِمَالِهِ؛ قُلْنَا: مَعْنَى: "عَلَى يَمِينِهِ" أَنَّهُ تَمَكَّنَ مِنْ جِهَةِ الْيَمِينِ تَمَكُّنَ الْمُسْتَعْلِي مِنَ الْمُسْتَعْلَى عَلَيْهِ، وَمَعْنَى: "عَنْ يَمِينِهِ": أَنَّهُ جَلَسَ مُتَجَافِيًا عَنْ صَاحِبِ الْيَمِينِ، مُنْحَرِفًا عَنْهُ، غَيْرَ مُلاصِقٍ لَهُ.

ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى اسْتُعْمِلَ فِي الْمُتَجَافِي وَغَيْرِهِ، كَمَا ذَكَرْنَا فِي: "تَعَالَ"، وَنَحْوِهُ مِنَ الْمَفْعُولِ بِهِ قَوْلُهُمْ: "رَمَيْتُ عَنِ الْقَوْسِ"، وَعَلَى الْقَوْسِ، وَمِنَ الْقَوْسِ، لِأَنَّ السَّهْمَ يَبْعُدُ عَنْهَا، وَيَسْتَعْلِيهَا إِذَا وُضِعَ عَلَى كَبِدِهَا لِلرَّمْيِ، وَيَبْتَدِئُ الرَّمْيَ مِنْهَا، كَذَلِكَ قَالُوا: جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَخَلْفَهُ بِمَعْنًى فِيهِ، لِأَنَّهُمَا ظَرْفَانِ لِلْفِعْلِ، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، لِأَنَّ الْفِعْلَ يَقَعُ فِي بَعْضِ الْجِهَتَيْنِ، كَمَا تَقُولُ: جِئْتُهُ مِنَ اللَّيْلِ، تُرِيدُ بَعْضَ اللَّيْلِ.

وَعَنْ شَقِيقٍ: مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَّا قَعَدَ لِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاصِدَ: مِنْ بَيْنِ يَدِيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْإِسْرَاءِ، الآية 64.

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

أَمَّا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، فَيَقُولُ: لا تَخَفْ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، فَأَقْرَأُ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[1].

وَأَمَّا مِنْ خَلْفِي، فَيُخَوِّفُنِي الضَّيْعَةَ عَلَى مُخْلَفِي، فَأَقْرَأُ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[2].

وَأَمَّا مِنْ قَبْلِ يَمِينِي: فَيَأْتِينِي مِنْ قِبَلِ الثَّنَاءِ، فَأَقْرَأُ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3].

وَأَمَّا مِنْ قِبَلِ شِمَالِي، فَيَأْتِينِي مِنْ قِبَلِ الشَّهَوَاتِ فَأَقْرَأُ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[4].

﴿وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[5] : قَالَهُ تَظْنِينًا، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾[6]، وَقِيلَ: سَمِعَهُ مِنَ الْمَلائِكَةِ بِإِخْبَارِ اللَّهِ –تَعَالَى– لَهُمْ.

﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[7]

﴿مَذْءُومًا﴾[8]: مِنْ: ذَأَمَهُ إِذَا ذَمَّهُ.

وَقَرَأَ الزُّهْرِيُّ: "مَذُومًا"، بِالتَّخْفِيفِ، مِثْلَ مَسُولٍ فِي مَسْؤُلٍ.

---

[1] سُورَةُ طه، الآية 82.

[2] سُورَةُ هُودٍ، الآية 6.

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية 12.

[4] سُورَةُ سَبَأٍ، الآية .

[5] سُورَةُ سَبَأٍ، الآية 54.

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية 20.

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[8] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَاللَّامُ فِي: ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ﴾[1]: مُوَطِّئَةٌ لِلْقَسَمِ، وَمْلانَّ جَوَابُهُ، وَهُوَ سَادٌّ مَسَدَّ جَوَابِ الشَّرْطِ، ﴿مِنْكُمْ﴾[2]: مِنْكَ وَمِنْهُمْ، فَغَلَّبَ ضَمِيرَ الْمُخَاطَبِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[3].

وَرَوَى عِصْمَةُ عَنْ عَاصِمٍ: "لِمَنْ تَبِعَكَ"، بِكَسْرِ اللَّامِ، بِمَعْنَى: لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ هَذَا الْوَعِيدُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4]، عَلَى أَنَّ ﴿لِأَمْلانَّ﴾[5]: فِي مَحَلِّ الابْتِدَاءِ، وَ﴿لِمَنْ تَبِعَكَ﴾[6]: خَبَرُهُ.

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنْ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[7]

يَا آدَمَ وَقُلْنَا: يَا آدَمُ، وَقُرِئَ: هُذِّي الشَّجَرَةَ، وَالْأَصْلُ الْيَاءُ، وَالْهَاءُ بَدَلٌ مِنْهَا، وَيُقَالُ: "وَسْوَسَ"، إِذَا تَكَلَّمَ كَلامًا خَفِيًّا يُكَرِّرُهُ، وَمِنْهُ وَسْوَسَ الْحُلِيُّ، وَهُوَ فِعْلٌ غَيْرُ مُتَعَدٍّ، كَوَلْوَلَتِ الْمَرْأَةُ وَوَعْوَعَ الذِّئْبُ، وَرَجُلٌ مُوَسْوِسٌ بِكَسْرِ الْوَاوِ، وَلا يُقَالُ مُوَسْوَسٌ بِالْفَتْحِ، وَلَكِنْ مُوَسْوِسٌ لَهُ، وَمُوَسْوَسٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي تُلْقَى إِلَيْهِ الْوَسْوَسَةُ.

وَمَعْنَى: وَسْوَسَ لَهُ: فَعَلَ الْوَسْوَسَةَ لِأَجْلِهِ، وَوَسْوَسَ إِلَيْهِ: أَلْقَاهَا إِلَيْهِ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿لِيُبْدِيَ﴾[1]: جَعَلَ ذَلِكَ غَرَضًا لَهُ لِيَسُوءَهُمَا إِذَا رَأَيَا مَا يُؤَثِّرَانِ سَتْرَهُ وَأَلَّا يَطَّلِعَ عَلَيْهِ مَكْشُوفًا، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كَشْفَ الْعَوْرَةِ مِنْ عَظَائِمِ الْأُمُورِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُسْتَهْجَنًا فِي الطِّبَاعِ مُسْتَقْبَحًا فِي الْعُقُولِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا لِلْوَاوِ الْمَضْمُومَةِ فِي: ﴿وُورِيَ﴾[2] لَمْ تُقْلَبْ هَمْزَةً كَمَا قُلْتَ فِي أَوَيَصِلُ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الثَّانِيَةَ مَدَّةٌ كَأَلِفِ وَارَى، وَقَدْ جَاءَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: "أُورَى"، بِالْقَلْبِ.

﴿إِلاّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾[3]: إِلَّا كَرَاهَةَ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ؛ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَلَكِيَّةَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى، وَأَنَّ الْبَشَرِيَّةَ تَلْمَحُ مَرْتَبَتَهَا كَلاّ وَلا.

وَقُرِئَ: "مَلِكَيْنِ"، بِكَسْرِ اللَّامِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾[4].

﴿مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[5]: مِنَ الَّذِينَ لا يَمُوتُونَ وَيَبْقَوْنَ فِي الْجَنَّةِ سَاكِنِينَ.

وَقُرِئَ: "مِنْ سَوْأَتِهِمَا"، بِالتَّوْحِيدِ، "وَسَوَّاتِهِمَا"، بِالْوَاوِ الْمُشَدَّدَةِ.

﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾[6]: وَأَقْسَمَ لَهُمَا: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[7].

فَإِنْ قُلْتَ: الْمُقَاسَمَةُ أَنْ تُقْسِمَ لِصَاحِبِكَ وَيُقْسِمَ لَكَ، تَقُولُ: قَاسَمْتُ فُلانًا حَالَفْتُهُ، وَتَقَاسَمَا تَحَالَفَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾[8].

قُلْتُ: كَأَنَّهُ قَالَ لَهُمَا: أُقْسِمُ لَكُمَا إِنِّي لَمِنَ النَّاصِحِينَ، وَقَالا لَهُ: أَتُقْسِمُ بِاللَّهِ إِنَّكَ لَمِنَ النَّاصِحِينَ؟ فَجَعَلَ ذَلِكَ مُقَاسَمَةً بَيْنَهُمْ، أَوْ أَقْسَمَ لَهُمَا بِالنُّصْحِيَّةِ، وَأَقْسَمَا لَهُ بِقَبُولِهَا، أَوْ أَخْرَجَ قَسَمَ إِبْلِيسَ عَلَى زِنَةِ الْمُفَاعَلَةِ، لِأَنَّهُ اجْتَهَدَ فِيهِ اجْتِهَادَ الْمُقَاسِمِ.

﴿فَدَلَّاهُمَا﴾[9] فَنَزَّلَهُمَا إِلَى الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ طه، الآية 120.

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[8] سُورَةُ النَّمْلِ، الآية 49.

[9] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿بِغُرُورٍ﴾[1]: بِمَا غَرَّهُمَا بِهِ مِنَ الْقَسَمِ بِاللَّهِ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: وَإِنَّمَا يُخْدَعُ الْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى مِنْ عَبْدِهِ طَاعَةً وَحُسْنَ صَلاةٍ أَعْتَقَهُ، فَكَانَ عَبِيدُهُ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، طَلَبًا لِلْعِتْقِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ يَخْدَعُونَكَ، فَقَالَ: مَنْ خَدَعَنَا بِاللَّهِ انْخَدَعْنَا لَهُ.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾[2]: وَجَدَا طَعْمَهَا آخِذِينَ فِي الْأَكْلِ مِنْهَا، وَقِيلَ: "الشَّجَرَةُ" هِيَ "السُّنْبُلَةُ".

وَقِيلَ: "شَجَرَةُ الْكَرْمِ".

﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾[3]، أَيْ: تَهَافَتَ عَنْهُمَا اللِّبَاسُ، فَظَهَرَتْ لَهُمَا عَوْرَاتُهُمَا، وَكَانَا لا يَرَيَانِهَا مَنْ أَنْفُسِهِمَا، وَلا أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: مَا رَأَيْتُ مِنْهُ، وَلا رَأَى مِنِّي.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: كَانَ لِبَاسُهُمَا مِنْ جِنْسِ الْأَظْفَارِ.

وَعَنْ وَهْبٍ: كَانَ لِبَاسُهُمَا نُورًا يَحُولُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ النَّظَرِ، وَيُقَالُ: طَفِقَ بِفِعْلِ كَذَا، بِمَعْنَى: جَعَلَ يَفْعَلُ كَذَا.

وَقَرَأَ أَبُو السَّمَّالِ: وَ"طَفَقَا" بِالْفَتْحِ.

﴿يَخْصِفَانِ﴾[4]: وَرَقَةً فَوْقَ وَرَقَةٍ عَلَى عَوْرَاتِهِمَا لِيَسْتَتِرَا بِهَا، كَمَا يَخْصِفُ النَّمْلُ، بِأَنْ تُجْعَلَ طَرْقَةٌ عَلَى طَرْقَةٍ، وَتُوثَقَ بِالسُّيُورِ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "يَخِصِّفَانِ"، بِكَسْرِ الْخَاءِ وَتَشْدِيدِ الصَّادِ، وَأَصْلُهُ "يَخْتَصِفَانِ".

وَقَرَأَ الزُّهْرِيُّ: "يُخْصِفَانِ"، مِنْ أَخْصَفَ، وَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ خَصَفَ، أَيْ: يَخْصِفَانِ أَنْفُسَهُمَا.

وَقُرِئَ: "يُخَصِّفَانِ"، مِنْ خَصَّفَ بِالتَّشْدِيدِ.

﴿مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾[5]: قِيلَ: كَانَ وَرَقَ التِّينِ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾[1]: عِتَابٌ مِنَ اللَّهِ –تَعَالَى– وَتَوْبِيخٌ، وَتَنْبِيهٌ عَلَى الْخَطَأِ، حَيْثُ لَمْ يَتَحَذَّرَا مَا حَذَّرَهُمَا اللَّهُ مِنْ عَدَاوَةِ إِبْلِيسَ.

وَرُوِيَ: أَنَّهُ قَالَ لِآدَمَ: "أَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِيمَا مَنَحْتُكَ مِنْ شَجَرِ الْجَنَّةِ مَنْدُوحَةٌ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ؟"، فَقَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ مَا ظَنَنْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ يَحْلِفُ بِكَ كَاذِبًا. قَالَ: فَبِعِزَّتِي لَأُهْبِطَنَّكَ إِلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ لا تَنَالُ الْعَيْشَ إِلَّا كَدًّا، فَأُهْبِطَ وَعُلِّمَ صَنْعَةَ الْحَدِيدِ، وَأُمِرَ بِالْحَرْثِ فَحَرَثَ، وَسَقَى، وَحَصَدَ، وَدَاسَ، وَذَرَى، وَطَحَنَ، وَعَجَنَ، وَخَبَزَ.

﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]

وَسَمَّيَا ذَنْبَهُمَا وَإِنْ كَانَ صَغِيرًا مَغْفُورًا ظُلْمًا لِأَنْفُسِهِمَا، وَقَالا: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3]: عَلَى عَادَةِ الْأَوْلِيَاءِ، وَالصَّالِحِينَ فِي اسْتِعْظَامِهِمُ الصَّغِيرَ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَاسْتِصْغَارِهِمُ الْعَظِيمَ مِنَ الْحَسَنَاتِ.

﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[4]

﴿اهْبِطُوا﴾[5]: الْخِطَابُ لِآدَمَ، وَحَوَّاءَ، وَإِبْلِيسَ.

وَ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[6]: فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ: مُتَعَادِينَ يُعَادِيهِمَا إِبْلِيسُ وَيُعَادِيَانِهِ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿مُسْتَقَرٌّ﴾[1]: اسْتِقْرَارٌ، أَوْ مَوْضِعُ اسْتِقْرَارٍ.

﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[2]: وَانْتِفَاعٌ بِعَيْشٍ إِلَى انْقِضَاءِ آجَالِكُمْ.

وَعَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ: لَمَّا أُهْبِطَ آدَمُ وَحَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، أَحَاطَتْ بِهِ الْمَلائِكَةُ، فَجَعَلَتْ حَوَّاءُ تَدُورُ حَوْلَهُمْ، فَقَالَ لَهَا: خَلِّي مَلائِكَةَ رَبِّي، فَإِنَّمَا أَصَابَنِي الَّذِي أَصَابَنِي فِيكِ.

فَلَمَّا تُوُفِّيَ غَسَّلَتْهُ الْمَلائِكَةُ بِمَاءٍ، وَسِدْرٍ وِتْرًا، وَحَنَّطَتْهُ، وَكَفَّنَتْهُ فِي وِتْرٍ مِنَ الثِّيَابِ، وَحَفَرُوا لَهُ وَلَحَّدُوا، وَدَفَنُوهُ بِسَرَنْدِيبَ بِأَرْضِ الْهِنْدِ، وَقَالُوا لِبَنِيهِ: هَذِهِ سُنَّتُكُمْ بَعْدَهُ.

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[3]

جَعَلَ مَا فِي الْأَرْضِ مُنَزَّلًا مِنَ السَّمَاءِ، لِأَنَّهُ قُضِيَ ثَمَّ وَكُتِبَ، وَمِنْهُ: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[4]، وَالرِّيشُ لِبَاسُ الزِّينَةِ، اسْتُعِيرَ مِنْ رِيشِ الطَّيْرِ، لِأَنَّهُ لِبَاسُهُ وَزِينَتُهُ، أَيْ: أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسَيْنِ: لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ، وَلِبَاسًا يُزَيِّنُكُمْ، لِأَنَّ الزِّينَةَ غَرَضٌ صَحِيحٌ، كَمَا قَالَ: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[5]، ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾[6].

وَقَرَأَ عُثْمَانُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: "وَرِيَاشًا"، جَمْعُ رِيشٍ، كَشِعْبٍ وَشِعَابٍ.

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾[7]: وَلِبَاسُ الْوَرَعِ وَالْخَشْيَةِ مِنَ اللَّهِ –تَعَالَى– وَارْتِفَاعُهُ عَنِ الابْتِدَاءِ، وَخَبَرُهُ إِمَّا الْجُمْلَةُ الَّتِي هِيَ: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾[8]، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَلِبَاسُ التَّقْوَى هُوَ خَيْرٌ، لِأَنَّ أَسْمَاءَ الْإِشَارَةِ تُقَرِّبُ مِنَ الضَّمَائِرِ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى عَوْدِ الذِّكْرِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[8] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَأَمَّا الْمُفْرَدُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَذَلِكَ صِفَةٌ لِلْمُبْتَدَأِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَلِبَاسُ التَّقْوَى الْمُشَارُ إِلَيْهِ خَيْرٌ.

وَلا تَخْلُو الْإِشَارَةُ مِنْ أَنْ يُرَادَ بِهَا تَعْظِيمُ لِبَاسِ التَّقْوَى، أَوْ أَنْ تَكُونَ إِشَارَةً إِلَى اللِّبَاسِ الْمُوَارِي لِلسَّوْأَةِ، لِأَنَّ مُوَارَاةَ السَّوْأَةِ مِنَ التَّقْوَى، تَفْضِيلًا لَهُ عَلَى لِبَاسِ الزِّينَةِ.

وَقِيلَ: لِبَاسُ التَّقْوَى خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، ثُمَّ قِيلَ: ذَلِكَ خَيْرٌ.

وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ وَأُبَيٍّ: "وَلِبَاسُ التَّقْوَى خَيْرٌ".

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِلِبَاسِ التَّقْوَى: مَا يُلْبَسُ مِنَ الدُّرُوعِ، وَالْجَوَاشِنِ، وَالْمَغَافِرِ، وَغَيْرِهَا مِمَّا يُتَّقَى بِهِ فِي الْحُرُوبِ.

وَقُرِئَ: "وَلِبَاسُ التَّقْوَى"، بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى "لِبَاسًا" وَ"رِيشًا".

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾[1]: الدَّالَّةُ عَلَى فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، يَعْنِي: إِنْزَالَ اللِّبَاسِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[2]: فَيَعْرِفُوا عَظِيمَ النِّعْمَةِ فِيهِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ وَارِدَةٌ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِطْرَادِ عَقِيبَ ذِكْرِ بُدُوِّ السَّوْآتِ، وَخَصْفِ الْوَرَقِ عَلَيْهَا، إِظْهَارًا لِلْمِنَّةِ فِيمَا خُلِقَ مِنَ اللِّبَاسِ، وَلِمَا فِي الْعُرْيِ وَكَشْفِ الْعَوْرَةِ مِنَ الْمَهَانَةِ وَالْفَضِيحَةِ، وَإِشْعَارًا بِأَنَّ التَّسَتُّرَ بَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أَبْوَابِ التَّقْوَى.

﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[3]

﴿لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾[4]: لا يَمْتَحِنَنَّكُمْ بِأَنْ لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، كَمَا مَحَنَ أَبَوَيْكُمْ بِأَنْ أَخْرَجَهُمَا مِنْهَا.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾[1]: حَالٌ، أَيْ: أَخْرَجَهُمَا نَازِعًا لِبَاسَهُمَا، بِأَنْ كَانَ سَبَبًا فِي أَنْ نُزِعَ عَنْهُمَا.

﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ﴾[2] : تَعْلِيلٌ لِلنَّهْيِ، وَتَحْذِيرٌ مِنْ فِتْنَتِهِ، بِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْعَدُوِّ الْمُدَاجِي، يَكِيدُكُمْ وَيَغْتَالُكُمْ مِنْ حَيْثُ لا تَشْعُرُونَ.

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ: أَنَّ عَدُوًّا يَرَاكَ وَلا تَرَاهُ، لَشَدِيدُ الْمُؤْنَةِ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ.

﴿وَقَبِيلُهُ﴾[3]: وَجُنُودُهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ بَيِّنٌ أَنَّ الْجِنَّ لا يُرَوْنَ، وَلا يَظْهَرُونَ لِلْإِنْسِ، وَأَنَّ إِظْهَارَهُمْ أَنْفُسَهُمْ لَيْسَ فِي اسْتِطَاعَتِهِمْ، وَأَنَّ زَعْمَ مَنْ يَدَّعِي رُؤْيَتَهُمْ زُورٌ، وَمَخْرَقَةٌ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[4]، أَيْ: خَلَّيْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ لَمْ نَكُفَّهُمْ عَنْهُمْ حَتَّى تَوَلَّوْهُمْ وَأَطَاعُوهُمْ فِيمَا سَوَّلُوا لَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَهَذَا تَحْذِيرٌ آخَرُ أَبْلَغُ مِنَ الْأَوَّلِ.

فَإِنْ قُلْتَ: عَلامَ عُطِفَ ﴿وَقَبِيلُهُ﴾[5]؟

قُلْتُ: عَلَى الضَّمِيرِ فِي ﴿يَرَاكُمْ﴾[6] الْمُؤَكَّدِ بِـ ﴿هُوَ﴾[7].

وَالضَّمِيرُ فِي ﴿إِنَّهُ﴾[8] لِلشَّأْنِ وَالْحَدِيثِ.

وَقَرَأَ الْيَزِيدِيُّ: "وَقَبِيلَهُ": بِالنَّصْبِ، وَفِيهِ وَجْهَانِ: أَنْ يَعْطِفَهُ عَلَى اسْمِ "إِنَّ"، وَأَنْ تَكُونَ الْوَاوُ بِمَعْنَى "مَعَ"، وَإِذَا عَطَفَهُ عَلَى اسْمِ "إِنَّ"، وَهُوَ الضَّمِيرُ فِي إِنَّهُ، كَانَ رَاجِعًا إِلَى إِبْلِيسَ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[1]

الْفَاحِشَةُ: مَا تَبَالَغَ فِي قُبْحِهِ مِنَ الذُّنُوبِ، أَيْ: إِذَا فَعَلُوهَا اعْتَذَرُوا بِأَنَّ آبَاءَهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَهَا فَاقْتَدَوْا بِهِمْ، وَبِأَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَفْعَلُوهَا، وَكِلاهُمَا بَاطِلٌ مِنَ الْعُذْرِ، لِأَنَّ أَحَدَهُمَا تَقْلِيدٌ وَالتَّقْلِيدُ لَيْسَ بِطَرِيقٍ لِلْعِلْمِ. وَالثَّانِي: افْتِرَاءٌ عَلَى اللَّهِ، وَإِلْحَادٌ فِي صِفَاتِهِ، كَانُوا يَقُولُونَ: لَوْ كَرِهَ اللَّهُ مِنَّا مَا نَفْعَلُهُ لَنَقَلَنَا عَنْهُ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: إِنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– بَعَثَ مُحَمَّدًا –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى الْعَرَبِ، وَهُمْ قَدَرِيَّةٌ مُجْبِرَةٌ، يُحَمِّلُونَ ذُنُوبَهُمْ عَلَى اللَّهِ، وَتَصْدِيقُ قَوْلِ اللَّهِ –تَعَالَى–: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾[2]، لِأَنَّ فِعْلَ الْقُبْحِ مُسْتَحِيلٌ عَلَيْهِ، لِعَدَمِ الدَّاعِي، وَوُجُودِ الصَّارِفِ، فَكَيْفَ يَأْمُرُ بِفِعْلِهِ؟!

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[3]: إِنْكَارٌ لِإِضَافَتِهِمُ الْقَبِيحَ إِلَيْهِ، وَشَهَادَةٌ عَلَى أَنَّ مَبْنَى قَوْلِهِمْ عَلَى الْجَهْلِ الْمُفْرِطِ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْفَاحِشَةِ: طَوَافُهُمْ بِالْبَيْتِ عُرَاةً.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[4]

﴿بِالْقِسْطِ﴾[5]: بِالْعَدْلِ، وَبِمَا قَامَ فِي النُّفُوسِ أَنَّهُ مُسْتَقِيمٌ حَسَنٌ عِنْدَ كُلِّ مُمَيِّزٍ.

وَقِيلَ: بِالتَّوْحِيدِ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾[1] وَقُلْ: ﴿أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾[2]، أَيِ: اقْصِدُوا عِبَادَتَهُ مُسْتَقِيمِينَ إِلَيْهَا، غَيْرَ عَادِلِينَ إِلَى غَيْرِهَا.

﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[3]: فِي كُلِّ وَقْتٍ سُجُودٌ، أَوْ فِي كُلِّ مَكَانِ سُجُودٌ، وَهُوَ الصَّلاةُ.

﴿وَادْعُوهُ﴾[4]: وَاعْبُدُوهُ.

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[5]، أَيِ: الطَّاعَةَ، مُبْتَغِينَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ خَالِصًا.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[6]: كَمَا أَنْشَأَكُمُ ابْتِدَاءً يُعِيدُكُمْ، احْتَجَّ عَلَيْهِمْ فِي إِنْكَارِهِمُ الْإِعَادَةَ بِابْتِدَاءِ الْخَلْقِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يُعِيدُكُمْ، فَيُجَازِيكُمْ فِي أَعْمَالِكُمْ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ.

﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[7]

﴿فَرِيقًا هَدَى﴾[8]: وَهُمُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا، أَيْ: وَفَّقَهُمْ لِلْإِيمَانِ.

﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ﴾[9]، أَيْ كَلِمَةُ الضَّلالَةِ، وَعَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ يَضِلُّونَ وَلا يَهْتَدُونَ.

وَانْتِصَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَفَرِيقًا﴾[10]: بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ يُفَسِّرُهُ مَا بَعْدَهُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَخَذَلَ فَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةَ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
9 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
10 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿إِنَّهُمْ﴾[1]: إِنَّ الْفَرِيقَ الَّذِي حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ.

﴿اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾[2]، أَيْ: تَوَلَّوْهُمْ بِالطَّاعَةِ فِيمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ.

وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ لا أَثَرَ لَهُ فِي ضَلالِهِمْ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الضَّالُّونَ بِاخْتِيَارِهِمْ، وَتَوَلِّيهِمُ الشَّيَاطِينَ دُونَ اللَّهِ.

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[3]

﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾[4]، أَيْ: رِيشَكُمْ، وَلِبَاسَ زِينَتِكُمْ.

﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[5]: كُلَّمَا صَلَّيْتُمْ أَوْ طُفْتُمْ، وَكَانُوا يَطُوفُونَ عُرَاةً، وَعَنْ طَاوُسٍ، لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِالْحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ.

وَإِنَّمَا كَانَ أَحَدُهُمْ يَطُوفُ عُرْيَانًا وَيَدَعُ ثِيَابَهُ وَرَاءَ الْمَسْجِدِ، وَإِنْ طَافَ وَهِيَ عَلَيْهِ، ضُرِبَ وَانْتُزِعَتْ عَنْهُ، لِأَنَّهُمْ قَالُوا: لا نَعْبُدُ اللَّهَ فِي ثِيَابٍ أَذْنَبْنَا فِيهَا.

وَقِيلَ: تَفَاؤُلًا لِيَتَعَرَّوْا مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا تَعَرَّوْا مِنَ الثِّيَابِ.

وَقِيلَ: الزِّينَةُ فِي الْمُشْطِ، وَقِيلَ: الطِّيبُ.

وَالسُّنَّةُ: أَنْ يَأْخُذَ الرَّجُلُ أَحْسَنَ هَيْئَتِهِ لِلصَّلاةِ، وَكَانَ بَنُو عَامِرٍ فِي أَيَّامِ حَجِّهِمْ لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ إِلَّا قُوتًا، وَلا يَأْكُلُونَ دَسَمًا يُعَظِّمُونَ بِذَلِكَ حَجَّهُمْ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: فَإِنَّا أَحَقُّ أَنْ نَفْعَلَ، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾[6].

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: كُلْ مَا شِئْتَ، وَالْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ خَصْلَتَانِ: سَرَفٌ، وَمَخِيلَةٌ.

وَيُحْكَى أَنَّ الرَّشِيدَ كَانَ لَهُ طَبِيبٌ نَصْرَانِيٌّ حَاذِقٌ، فَقَالَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ: لَيْسَ فِي كِتَابِكُمْ مِنْ عِلْمِ الطِّبِّ شَيْءٌ، وَالْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمُ الْأَبْدَانِ، وَعِلْمُ الْأَدْيَانِ، فَقَالَ لَهُ: قَدْ جَمَعَ اللَّهُ الطِّبَّ كُلَّهُ فِي نِصْفِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾[1]، فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ: وَلا يُؤْثَرُ مِنْ رَسُولِكُمْ شَيْءٌ فِي الطِّبِّ؟ فَقَالَ: قَدْ جَمَعَ رَسُولُنَا –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الطِّبَّ فِي أَلْفَاظٍ يَسِيرَةٍ، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: قَوْلُهُ: "الْمَعِدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ، وَالْحَمِيَّةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ، وَأَعْطِ كُلَّ بَدَنٍ مَا عَوَّدْتَهُ"، فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ: مَا تَرَكَ كِتَابُكُمْ وَلا نَبِيُّكُمْ لِجَالِينُوسَ طِبًّا.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2]

﴿زِينَةَ اللَّهِ﴾[3]: مِنَ الثِّيَابِ، وَكُلَّ مَا يُتَجَمَّلُ بِهِ.

﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[4]: الْمُسْتَلَذَّاتُ مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ، وَمَعْنَى الاسْتِفْهَامِ فِي مَنْ: إِنْكَارُ تَحْرِيمِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، قِيلَ: كَانُوا إِذَا أَحْرَمُوا حَرَّمُوا الشَّاةَ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنْ لَحْمِهَا، وَشَحْمِهَا، وَلَبَنِهَا.

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[5] غَيْرَ خَالِصَةٍ لَهُمْ، لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ شُرَكَاؤُهُمْ فِيهَا.

﴿خَالِصَةً﴾[6]: لَهُمْ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1]: لا يَشْرَكُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: "هِيَ لِلَّذِينِ آمَنُوا وَلِغَيْرِهِمْ".

قُلْتُ: لِيُنَبَّهَ عَلَى أَنَّهَا خُلِقَتْ لِلَّذِينِ آمَنُوا عَلَى طَرِيقِ الْأَصَالَةِ، وَأَنَّ الْكَفَرَةَ تَبَعٌ لَهُمْ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾[2].

وَقُرِئَ: "خَالِصَةً" بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ، وَبِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهَا خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[3]

﴿الْفَوَاحِشَ﴾[4]: مَا تَفَاحَشَ قُبْحُهُ، أَيْ: تَزَايَدَ، وَقِيلَ: هِيَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْفُرُوجِ.

﴿وَالإِثْمَ﴾[5]: عَامٌّ لِكُلِّ ذَنْبٍ، وَقِيلَ: شُرْبُ الْخَمْرِ.

﴿وَالْبَغْيَ﴾[6]: الظُّلْمُ وَالْكِبْرُ، أَفْرَدَهُ بِالذِّكْرِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾[7]]النَّحْلِ: 90.

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾[8]: فِيهِ تَهَكُّمٌ، لِأَنَّهُ لا يَجُوزُ أَنْ يُنَزِّلَ بُرْهَانًا بِأَنْ يُشْرَكَ بِهِ غَيْرُهُ.

﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ﴾[9]: وَأَنْ تَتَقَوَّلُوا عَلَيْهِ، وَتَفْتَرُوا الْكَذِبَ مِنَ التَّحْرِيمِ وَغَيْرِهِ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، الآية 136.

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

9 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1]

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾[2]: وَعِيدٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْعَذَابِ النَّازِلِ فِي أَجَلٍ مَعْلُومٍ عِنْدَ اللَّهِ كَمَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ.

وَقُرِئَ: "فَإِذَا جَاءَ آجَالُهُمْ".

وَقَالَ: ﴿سَاعَةٌ﴾[3]، لِأَنَّهَا أَقَلُّ الْأَوْقَاتِ فِي اسْتِعْمَالِ النَّاسِ، يَقُولُ الْمُسْتَعْجِلُ لِصَاحِبِهِ: فِي سَاعَةٍ، يُرِيدُ أَقْصَرَ وَقْتٍ وَأَقْرَبَهُ.

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4]

﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾[5]: هِيَ "إِنِ": الشُّرْطِيَّةُ ضُمَّتْ إِلَيْهَا "مَا" مُؤَكِّدَةً لِمَعْنَى الشَّرْطِ، وَلِذَلِكَ لَزِمَتْ فِعْلَهَا النُّونُ الثَّقِيلَةُ أَوِ الْخَفِيفَةُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا جَزَاءُ هَذَا الشَّرْطِ؟

قُلْتُ: الْفَاءُ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ، وَالْمَعْنَى: فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ مِنْكُمْ، وَالَّذِينَ كَذَّبُوا مِنْكُمْ.

وَقُرِئَ: "تَأْتِيَنَّكُمْ"، بِالتَّاءِ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾[1]

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾[2]: فَمَنْ أَشْنَعُ ظُلْمًا مِمَّنْ تَقَوَّلَ عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ يَقُلْهُ، أَوْ كَذَّبَ مَا قَالَهُ ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾[3]، أَيْ: مِمَّا كَتَبَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْزَاقِ، وَالْأَعْمَارِ.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾[4]: حَتَّى غَايَةٌ لِنَيْلِهِمْ نُصِيبَهُمْ وَاسْتِيفَائِهِمْ لَهُ، أَيْ: إِلَى وَقْتِ وَفَاتِهِمْ، وَهِيَ: ﴿حَتَّى﴾[5] الَّتِي يُبْتَدَأُ بَعْدَهَا الْكَلامُ. وَالْكَلامُ هَهُنَا الْجُمْلَةُ الشَّرْطِيَّةُ، وَهِيَ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا قَالُوا.

وَ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾[6]: حَالٌ مِنَ الرُّسُلِ، أَيْ: مُتَوَفِّيهِمْ، وَالرُّسُلُ: مَلَكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ.

"وَمَا": وَقَعَتْ مَوْصُولَةً بِأَيْنَ فِي خَطِّ الْمُصْحَفِ، وَكَانَ حَقُّهَا أَنْ تُفْصَلَ، لِأَنَّهَا مَوْصُولَةٌ بِمَعْنَى: أَيْنَ الْآلِهَةُ الَّذِينَ تَدْعُونَ.

﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾[7]: غَابُوا عَنَّا، فَلا نَرَاهُمْ، وَلا نَنْتَفِعُ بِهِمْ، اعْتِرَافًا مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عَلَى شَيْءٍ فِيمَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَحْمَدُوهُ فِي الْعَاقِبَةِ.

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ أُولاهُمْ

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[1]

﴿قَالَ ادْخُلُوا﴾[2]، أَيْ: يَقُولُ اللَّهُ –تَعَالَى– يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾[3]، وَهُمْ كُفَّارُ الْعَرَبِ.

﴿فِي أُمَمٍ﴾[4]: فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ: كَائِنِينَ فِي جُمْلَةِ أُمَمٍ، وَفِي غِمَارِهِمْ مُصَاحِبِينَ لَهُمْ، أَيِ: ادْخُلُوا فِي النَّارِ مَعَ أُمَمٍ ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[5]: وَتَقَدَّمَ زَمَانُهُمْ زَمَانَكُمْ.

﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾[6]: الَّتِي ضَلَّتْ بِالاقْتِدَاءِ بِهَا.

﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا﴾[7]، أَيْ: "تَدَارَكُوا" بِمَعْنَى: تَلاحَقُوا وَاجْتَمَعُوا فِي النَّارِ.

﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ﴾[8] : مَنْزِلَةً، وَهِيَ الْأَتْبَاعُ، وَالسَّفَلَةُ.

﴿لِأُولاهُمْ﴾[9]: مَنْزِلَةً، وَهِيَ الْقَادَةُ وَالرُّءُوسُ.

وَمَعْنَى: ﴿لِأُولاهُمْ﴾[10]: لِأَجْلِ أُولاهُمْ، لِأَنَّ خِطَابَهُمْ مَعَ اللَّهِ لا مَعَهُمْ.

﴿عَذَابًا ضِعْفًا﴾[11]: مُضَاعَفًا ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾[12]، لِأَنَّ كُلًّا مِنَ الْقَادَةِ وَالْأَتْبَاعِ كَانُوا ضَالِّينَ مُضِلِّينَ.

﴿وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ﴾[13]: قُرِئَ بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية 37.
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
9 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
10 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
11 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
12 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
13 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾[1]: عَطَفُوا هَذَا الْكَلامَ عَلَى قَوْلِ اللَّهِ -تَعَالَى- لِلسَّفَلَةِ، ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾[2]، أَيْ: فَقَدْ ثَبَتَ أَنْ لا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْنَا، وَأَنَّا مُتَسَاوُونَ فِي اسْتِحْقَاقِ الضِّعْفِ.

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[3]: مِنْ قَوْلِ الْقَادَةِ، أَوْ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ لَهُمْ جَمِيعًا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[4]

﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾[5]: لا يَصْعَدُ لَهُمْ عَمَلٌ صَالِحٌ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[6]، ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾[7].

وَقِيلَ: إِنَّ الْجَنَّةَ فِي السَّمَاءِ، فَالْمَعْنَى: لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي صُعُودِ السَّمَاءِ، وَلا يُطْرَقُ لَهُمْ إِلَيْهَا لِيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ.

وَقِيلَ: لا تَصْعَدُ أَرْوَاحُهُمْ إِذَا مَاتُوا كَمَا تَصْعَدُ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ.

وَقِيلَ: لا تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْبَرَكَةُ، وَلا يُغَاثُونَ، بِفَتْحِنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَقُرِئَ: "لا تُفَتَّحُ"، بِالتَّشْدِيدِ، وَلا "يَفْتَحُ" بِالْيَاءِ، "وَلا تَفْتَحُ" بِالتَّاءِ، وَالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ، وَنَصْبِ الْأَبْوَابِ، عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ لِلْآيَاتِ، وَبِالْيَاءِ عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "الْجَمَلَ"، بِوَزْنِ الْقَمْلِ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: "الْجُمَلُ"، بِوَزْنِ النُّغَرِ.

وَقُرِئَ: "الْجُمْلُ": بِوَزْنِ الْقُفْلِ، "وَالْجَمْلُ": بِوَزْنِ النَّصْبِ، وَ"الْجَمْلُ": بِوَزْنِ الْحَبْلِ، وَمَعْنَاهَا: الْقَلْسُ الْغَلِيظُ، لِأَنَّهُ حِبَالٌ جُمِعَتْ وَجُعِلَتْ جُمْلَةً وَاحِدَةً.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ فَاطِرٍ، الآية 10.

7 سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ، الآية 18.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: إِنَّ اللَّهَ أَحْسَنَ تَشْبِيهًا مِنْ أَنْ يُشَبِّهَ بِالْجَمَلِ، يَعْنِي: أَنَّ الْحَبْلَ مُنَاسِبٌ لِلْخَيْطِ الَّذِي يَسْلُكُ فِي سَمِّ الْإِبْرَةِ وَالْبَعِيرُ لا يُنَاسِبُهُ، إِلَّا أَنَّ قِرَاءَةَ الْعَامَّةِ أَوْقَعُ، لِأَنَّ سَمَّ الْإِبْرَةِ مَثَلٌ فِي ضِيقِ الْمَسْلَكِ، يُقَالُ: أَضْيَقُ مِنْ خَرْتِ الْإِبْرَةِ، وَقَالُوا لِلدَّلِيلِ الْمَاهِرِ: خِرِّيتٌ، لِلاهْتِدَاءِ بِهِ فِي الْمَضَايِقِ الْمُشَبَّهَةِ بِأَخَرَاتِ الْإِبَرِ.

وَ﴿الْجَمَلُ﴾[1]: مَثَلٌ فِي عِظَمِ الْجِرْمِ، قَالَ:

..... [جِسْمُ الْجِمَالِ وَأَحْلامُ الْعَصَافِيرِ

إِنَّ الرِّجَالَ لَيْسُوا بِجَزَرٍ تُرَادُ مِنْهُمُ الْأَجْسَامُ، فَقِيلَ: لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، حَتَّى يَكُونَ مَا لا يَكُونُ أَبَدًا مِنْ وُلُوجِ هَذَا الْحَيَوَانِ الَّذِي لا يَلِجُ إِلَّا فِي بَابٍ وَاسِعٍ، فِي ثُقْبِ الْإِبْرَةِ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْجَمَلِ؟ فَقَالَ: زَوْجُ النَّاقَةِ، اسْتِجْهَالًا لِلسَّائِلِ، وَإِشَارَةً إِلَى أَنَّ طَلَبَ مَعْنًى آخَرَ تَكَلُّفٌ.

وَقُرِئَ: "فِي سَمِّ": بِالْحَرَكَاتِ الثَّلاثِ، وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: "فِي سَمِّ الْمَخِيطِ"، وَالْخِيَاطُ، وَالْمَخِيطُ كَالْحِزَامِ وَالْمِحْزَمِ: مَا يُخَاطُ بِهِ وَهُوَ الْإِبْرَةُ.

﴿وَكَذَلِكَ﴾[2]: وَمِثْلُ ذَلِكَ الْجَزَاءِ الْفَظِيعِ.

﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾[3] : لِيُؤْذَنَ أَنَّ الْإِجْرَامَ هُوَ السَّبَبُ الْمُوصِلُ إِلَى الْعِقَابِ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ أَجْرَمَ عُوقِبَ، وَقَدْ كَرَّرَهُ، فَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[4]، لِأَنَّ كُلَّ مُجْرِمٍ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ.

﴿مِهَادٌ﴾[5]: فِرَاشٌ.

﴿غَوَاشٍ﴾[6] أَغْطِيَةٌ.

وَقُرِئَ: "غَوَاشٌ". بِالرَّفْعِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ﴾[7] فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الآية 24.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]

﴿لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾[2]: جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْمُبْتَدَإِ وَالْخَبَرِ، لِلتَّرْغِيبِ فِي اكْتِسَابِ مَا لا يَكْتَنِهُهُ وَصْفُ الْوَاصِفِ مِنَ النَّعِيمِ الْخَالِدِ مَعَ التَّعْظِيمِ بِمَا هُوَ فِي الْوُسْعِ، وَهُوَ الْإِمْكَانُ الْوَاسِعُ غَيْرُ الضَّيِّقِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: "لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ".

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3]

مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ غِلٌّ عَلَى أَخِيهِ فِي الدُّنْيَا، نُزِعَ مِنْهُ، فَسَلِمَتْ قُلُوبُهُمْ، وَطَهُرَتْ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ إِلَّا التَّوَادُّ وَالتَّعَاطُفُ.

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا، وَعُثْمَانُ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، مِنْهُمْ.

﴿هَدَانَا لِهَذَا﴾[4]، أَيْ: وَفَّقَنَا لِمُوجِبِ هَذَا الْفَوْزِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ.

﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾[5]: اللَّامُ: لِتَوْكِيدِ النَّفْيِ، وَيَعْنُونَ: وَمَا كَانَ يَسْتَقِيمُ أَنْ نَكُونَ مُهْتَدِينَ، لَوْلا هِدَايَةُ اللَّهِ وَتَوْفِيقُهُ، وَفِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الشَّامِ: "مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ" بِغَيْرِ وَاوٍ، عَلَى أَنَّهَا جُمْلَةٌ مُوَضِّحَةٌ لِلْأُولَى.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾[1]، فَكَانَ لَنَا لُطْفًا وَتَنْبِيهًا عَلَى الاهْتِدَاءِ، فَاهْتَدَيْنَا، يَقُولُونَ ذَلِكَ سُرُورًا، وَاغْتِبَاطًا بِمَا نَالُوا، وَتَلَذُّذًا بِالتَّكَلُّمِ بِهِ لا تَقَرُّبًا وَتَعَبُّدًا، كَمَا نَرَى مَنْ رُزِقَ خَيْرًا فِي الدُّنْيَا، يَتَكَلَّمُ بِنَحْوِ ذَلِكَ، وَلا يَتَمَالَكُ أَنْ لا يَقُولَهُ لِلْفَرَحِ، لا لِلْقُرْبَةِ.

﴿أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾[2]: أَنْ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، تَقْدِيرُهُ: وَنُودُوا بِأَنَّهُ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا: وَالضَّمِيرُ ضَمِيرُ الشَّأْنِ، وَالْحَدِيثُ أَوْ تَكُونُ بِمَعْنَى أَيْ، لِأَنَّ الْمُنَادَاةَ مِنَ الْقَوْلِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَقِيلَ لَهُمْ: "أَيْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا".

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3]: بِسَبَبِ أَعْمَالِكُمْ لا بِالتَّفَضُّلِ، كَمَا تَقُولُ الْمُبْطِلَةُ.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾[4]

﴿أَنْ﴾[5] فِي ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا﴾[6]: يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ مُخَفَّفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَأَنْ تَكُونَ مُفَسِّرَةً كَالَّتِي سَبَقَتْ آنِفًا، وَكَذَلِكَ: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[7]، وَإِنَّمَا قَالُوا لَهُمْ ذَلِكَ، اغْتِبَاطًا بِحَالِهِمْ، وَشَمَاتَةً بِأَصْحَابِ النَّارِ، وَزِيَادَةً فِي غَمِّهِمْ، لِتَكُونَ حِكَايَتُهُ لُطْفًا لِمَنْ سَمِعَهَا، وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْمُؤَذِّنِ بَيْنَهُمْ: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ، وَهُوَ مَلَكٌ يَأْمُرُهُ اللَّهُ، فَيُنَادِي بَيْنَهُمْ نِدَاءً يُسْمِعُ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ.

وَقُرِئَ: "أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ"، بِالتَّشْدِيدِ، وَالنَّصْبِ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: "إِنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ"، بِكَسْرِ "إِنَّ" عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ، أَوْ عَلَى إِجْرَاءِ "أَذِنَ" مَجْرَى "قَالَ".

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: "مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ"، كَمَا قِيلَ: ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا؟﴾[1].

قُلْتُ: حُذِفَ ذَلِكَ تَخْفِيفًا لِدَلالَةِ وَعْدِنَا عَلَيْهِ، وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: أُطْلِقَ لِيَتَنَاوَلَ كُلَّ مَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْبَعْثِ، وَالْحِسَابِ، وَالثَّوَابِ، وَالْعِقَابِ، وَسَائِرِ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُكَذِّبِينَ بِذَلِكَ أَجْمَعَ، وَلِأَنَّ الْمَوْعُودَ كُلَّهُ مِمَّا سَاءَهُمْ، وَمَا نَعِيمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا عَذَابٌ لَهُمْ، فَأُطْلِقَ لِذَلِكَ.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾[2]

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾[3]، يَعْنِي: بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، أَوْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَهُوَ السُّورُ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾[4].

﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ﴾[5]: وَعَلَى أَعْرَافِ الْحِجَابِ، وَهُوَ السُّورُ الْمَضْرُوبُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَهِيَ أَعَالِيهِ، جَمْعُ عُرْفٍ اسْتُعِيرَ مِنْ عُرْفِ الْفَرَسِ وَعُرْفِ الدِّيكِ.

﴿رِجَالٌ﴾[6]: مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ آخِرِهِمْ دُخُولًا فِي الْجَنَّةِ، لِقُصُورِ أَعْمَالِهِمْ، كَأَنَّهُمُ الْمُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ، يُحْبَسُونَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَى أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.

﴿يَعْرِفُونَ كُلاً﴾[7]: مِنْ زُمَرِ السُّعَدَاءِ وَالْأَشْقِيَاءِ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْحَدِيدِ، الآية 13.

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿بِسِيمَاهُمْ﴾[1]: بِعَلامَتِهِمُ الَّتِي أَعْلَمَهُمُ اللَّهُ -تَعَالَى- بِهَا، يُلْهِمُهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ، أَوْ تُعَرِّفُهُمُ الْمَلائِكَةُ.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[2]

إِذَا نَظَرُوا إِلَى أَصْحَابِ الْجَنَّةِ، نَادَوْهُمْ بِالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِمْ.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾[3]: وَرَأَوْا مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، اسْتَعَاذُوا بِاللَّهِ، وَفَزِعُوا إِلَى رَحْمَتِهِ أَنْ لا يَجْعَلَهُمْ مَعَهُمْ، وَنَادَوْا رِجَالًا مِنْ رُءُوسِ الْكَفَرَةِ يَقُولُونَ لَهُمْ: ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾[4]: إِشَارَةٌ لَهُمْ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، الَّذِينَ كَانَ الرُّؤَسَاءُ يَسْتَهِينُونَ بِهِمْ، وَيَحْتَقِرُونَهُمْ، لِفَقْرِهِمْ، وَقِلَّةِ حُظُوظِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا، وَكَانُوا يُقْسِمُونَ أَنَّ اللَّهَ لا يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾[5]: يُقَالُ لِأَصْحَابِ الْأَعْرَافِ: "ادْخُلُوا الْجَنَّةَ"، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يُحْبَسُوا عَلَى الْأَعْرَافِ، وَيَنْظُرُوا إِلَى الْفَرِيقَيْنِ، وَيُعَرِّفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ، وَيَقُولُوا مَا يَقُولُونَ، وَفَائِدَةُ ذَلِكَ بَيَانُ أَنَّ الْجَزَاءَ عَلَى قَدْرِ الْأَعْمَالِ، وَأَنَّ التَّقَدُّمَ وَالتَّأَخُّرَ عَلَى حُسْنِهَا، وَأَنَّ أَحَدًا لا يَسْبِقُ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِسَبْقِهِ فِي الْعَمَلِ.

وَلا يَتَخَلَّفُ عِنْدَهُ إِلَّا بِتَخَلُّفِهِ فِيهِ، وَلِيَرْغَبَ السَّامِعُونَ فِي حَالِ السَّابِقِينَ، وَيَحْرِصُوا عَلَى إِحْرَازِ قَصَبَتِهِمْ، وَلِيَتَصَوَّرُوا أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُعْرَفُ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِسِيمَاهُ الَّتِي اسْتَوْجَبَ أَنْ يُوسَمَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَيَرْتَدِعُ الْمُسِيءُ عَنْ إِسَاءَتِهِ، وَيَزِيدُ الْمُحْسِنُ فِي إِحْسَانِهِ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ الْعُصَاةَ يُوَبِّخُهُمْ كُلُّ أَحَدٍ حَتَّى أَقْصَرِ النَّاسِ عَمَلًا.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾[1]: فِيهِ أَنَّ صَارِفًا يَصْرِفُ أَبْصَارَهُمْ، لِيَنْظُرُوا، فَيَسْتَعِيذُوا، وَيُوَبِّخُوا.

وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: "وَإِذَا قُلِبَتْ أَبْصَارُهُمْ ".

وَقُرِئَ: "ادْخُلُوا الْجَنَّةَ"، عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

وَقَرَأَ عِكْرِمَةُ: دَخَلُوا الْجَنَّةَ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ لاءَمَ هَاتَيْنِ الْقِرَاءَتَيْنِ قَوْلُهُ: ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[2]؟

قُلْتُ: تَأْوِيلُهُ: ﴿ادْخُلُوا﴾[3]، أَوْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ مَقُولًا لَهُمْ: ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[4].

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَحَلُّ قَوْلِهِ: لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ؟

قُلْتُ: لا مَحَلَّ لَهُ، لِأَنَّهُ اسْتِئْنَافٌ، كَأَنَّ سَائِلًا سَأَلَ عَنْ حَالِ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ، فَقِيلَ: لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ، يَعْنِي: حَالَهُمْ أَنَّ دُخُولَهُمُ الْجَنَّةَ اسْتَأْخَرَ عَنْ دُخُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يَدْخُلُوهَا، لِكَوْنِهِمْ مَحْبُوسِينَ، وَهُمْ يَطْمَعُونَ لَمْ يَيْأَسُوا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَحَلٌّ، بِأَنْ يَقَعَ صِفَةً لِرِجَالٍ.

﴿مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾[5]: الْمَالَ، أَوْ كَثْرَتُكُمْ، وَاجْتِمَاعُكُمْ.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[6]: وَاسْتِكْبَارُكُمْ عَنِ الْحَقِّ وَعَلَى النَّاسِ.

وَقُرِئَ: تَسْتَكْثِرُونَ مِنَ الْكَثْرَةِ.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا
وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[1]

﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا﴾[2]: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ فَوْقَ النَّارِ.

﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾[3]: مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَشْرِبَةِ، لِدُخُولِهِ فِي حُكْمِ الْإِفَاضَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: أَوْ أَلْقَوْا عَلَيْنَا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ، مِنَ الطَّعَامِ، وَالْفَاكِهَةِ، كَقَوْلِهِ: [مِنَ الرَّجَزِ]

عَلَفْتُهَا تِبْنًا وَمَاءً بَارِدًا.....

وَإِنَّمَا يَطْلُبُونَ ذَلِكَ مَعَ يَأْسِهِمْ مِنَ الْإِجَابَةِ إِلَيْهِ حَيْرَةً فِي أَمْرِهِمْ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُضْطَرُّ الْمُمْتَحَنُ.

﴿حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[4]: مَنَعَهُمْ شَرَابَ الْجَنَّةِ، وَطَعَامَهَا، كَمَا يُمْنَعُ الْمُكَلَّفُ مَا يُحَرَّمُ عَلَيْهِ وَيُحْظَرُ، كَقَوْلِهِ:

حَرَامٌ عَلَى عَيْنَيَّ أَنْ تَطْعَمَ الْكَرَى

﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ﴾[5] : نَفْعَلُ بِهِمْ فِعْلَ النَّاسِينَ الَّذِينَ يَنْسَوْنَ عَبِيدَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ، لا يَذْكُرُونَهُمْ بِهِ.

﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾[6] : كَمَا فَعَلُوا بِلِقَائِهِ فِعْلَ النَّاسِينَ، فَلَمْ يُخْطِرُوهُ بِبَالِهِمْ وَلَمْ يَهْتَمُّوا بِهِ.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا
تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[1]

﴿فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ﴾[2]: عَالِمِينَ كَيْفَ نُفَصِّلُ أَحْكَامَهُ، وَمَوَاعِظَهُ، وَقَصَصَهُ، وَسَائِرَ مَعَانِيهِ، حَتَّى جَاءَ حَكِيمًا قَيِّمًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ.

قَرَأَ ابْنُ مُحَيْصِنٍ: "فَضَّلْنَاهُ"، بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ، بِمَعْنَى: فَضَّلْنَاهُ عَلَى جَمِيعِ الْكُتُبِ، عَالِمِينَ أَنَّهُ أَهْلٌ لِلتَّفْضِيلِ عَلَيْهَا.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾[3]: حَالٌ مِنْ مَنْصُوبِ ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾[4]، كَمَا أَنَّ عَلَى عِلْمٍ حَالٌ مِنْ مَرْفُوعِهِ.

﴿إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾[5]: إِلَّا عَاقِبَةَ أَمْرِهِ، وَمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ مِنْ تَبَيُّنِ صِدْقِهِ، وَظُهُورِ صِحَّةِ مَا نَطَقَ بِهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ.

﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾[6]، أَيْ: تَبَيَّنَ وَصَحَّ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِالْحَقِّ.

﴿نُرَدُّ﴾[7]: جُمْلَةٌ مَعْطُوفَةٌ عَلَى الْجُمْلَةِ قَبْلَهَا، دَاخِلَةٌ مَعَهَا فِي حُكْمِ الاسْتِفْهَامِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: هَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ، أَوْ هَلْ نُرَدُّ، وَرَافِعُهُ وُقُوعُهُ مَوْقِعًا يَصْلُحُ لِلاسْمِ، كَمَا تَقُولُ ابْتِدَاءً: هَلْ يُضْرَبُ زَيْدٌ؟ وَلا يُطْلَبُ لَهُ فِعْلٌ آخَرُ يُعْطَفُ عَلَيْهِ، فَلا يُقَدَّرُ: هَلْ يَشْفَعُ لَنَا شَافِعٌ أَوْ نُرَدُّ.

وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ: "أَوْ نُرَدَّ"، بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى ﴿فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾[8]، أَوْ تَكُونُ "أَوْ" بِمَعْنَى "حَتَّى أَنْ"، أَيْ: يَشْفَعُوا لَنَا حَتَّى نُرَدَّ فَنَعْمَلَ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ بِنَصْبِ: "نُرَدَّ"، وَرَفْعِ "فَنَعْمَلُ"، بِمَعْنَى: فَنَحْنُ نَعْمَلُ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1]

﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾[2]، وَقُرِئَ: "يُغَشِّي" بِالتَّشْدِيدِ، أَيْ: يُلْحِقُ اللَّيْلَ النَّهَارَ، أَوِ النَّهَارَ بِاللَّيْلِ يَحْتَمِلُهُمَا جَمِيعًا.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الثَّانِي قِرَاءَةُ حُمَيْدِ بْنِ قَيْسٍ: "يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ"، بِفَتْحِ الْيَاءِ، وَ"نَصْبِ اللَّيْلَ"، "وَرَفْعِ النَّهَارِ"، أَيْ: يُدْرِكُ النَّهَارُ اللَّيْلَ، وَيَطْلُبُهُ حَثِيثًا، حَسَنَ الْمُلاءَمَةِ لِقِرَاءَةِ حُمَيْدٍ.

﴿بِأَمْرِهِ﴾[3]: بِمَشِيئَتِهِ، وَتَصْرِيفِهِ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمُسَخَّرَاتٍ، أَيْ: خَلَقَهُنَّ جَارِيَاتٍ بِمُقْتَضَى حِكْمَتِهِ، وَتَدْبِيرِهِ، وَكَمَا يُرِيدُ أَنْ يَصْرِفَهَا سُمِّيَ ذَلِكَ أَمْرًا عَلَى التَّشْبِيهِ، كَأَنَّهُنَّ مَأْمُورَاتٌ بِذَلِكَ.

وَقُرِئَ: "وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ"، بِالرَّفْعِ، لِمَا ذُكِرَ أَنَّهُ خَلَقَهُنَّ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ قَالَ: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[4]، أَيْ: هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا، وَهُوَ الَّذِي صَرَفَهَا عَلَى حَسَبِ إِرَادَتِهِ.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

تَذَكَّرُونَ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[1]

﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[2]: نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: ذَوِي تَضَرُّعٍ وَخُفْيَةٍ، وَكَذَلِكَ خَوْفًا، وَطَمَعًا، وَالتَّضَرُّعُ تَفَعُّلٌ مِنَ الضَّرَاعَةِ، وَهُوَ الذُّلُّ، أَيْ: تَذَلُّلًا وَتَمَلُّقًا.

وَقُرِئَ: "وَخِفْيَةً".

وَعَنِ الْحَسَنِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْقَلْبَ التَّقِيَّ، وَالدُّعَاءَ الْخَفِيَّ، إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَمَا يَشْعُرُ بِهِ جَارُهُ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ فَقِهَ الْفِقْهَ الْكَثِيرَ، وَلا يَشْعُرُ النَّاسُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُصَلِّي الصَّلاةَ الطَّوِيلَةَ، وَعِنْدَهُ الزُّوَّرُ، وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ.

وَلَقَدْ أَدْرَكْنَا أَقْوَامًا مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عَمَلٍ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَعْمَلُوهُ فِي السِّرِّ فَيَكُونُ عَلانِيَةً أَبَدًا، وَلَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَمَا يُسْمَعُ لَهُمْ صَوْتٌ، إِنْ كَانَ إِلَّا هَمْسًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– يَقُولُ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[3]، وَقَدْ أَثْنَى عَلَى زَكَرِيَّا، فَقَالَ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾[4]، وَبَيْنَ دَعْوَةِ السِّرِّ، وَدَعْوَةِ الْعَلانِيَةِ سَبْعُونَ ضِعْفًا.

﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[5]، أَيْ: الْمُجَاوِزِينَ مَا أُمِرُوا بِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الدُّعَاءِ وَغَيْرِهِ.

وَعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ: هُوَ رَفْعُ الصَّوْتِ بِالدُّعَاءِ، وَعَنْهُ: الصِّيَاحُ فِي الدُّعَاءِ مَكْرُوهٌ وَبِدْعَةٌ.

وَقِيلَ: هُوَ الْإِسْهَابُ فِي الدُّعَاءِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ، وَحَسْبُ الْمَرْءِ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ مَرْيَمَ، الآية 3.

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ" ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، كَقَوْلِهِ: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾[1].

وَإِنَّمَا ذَكَرَ: ﴿قَرِيبٌ﴾[2] عَلَى تَأْوِيلِ الرَّحْمَةِ بِالرَّحِمِ أَوِ التَّرَحُّمِ، أَوْ لِأَنَّهُ صِفَةُ مَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: شَيْءٌ قَرِيبٌ، أَوْ عَلَى تَشْبِيهِهِ بِفَعِيلٍ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى: "مَفْعُولٍ" كَمَا شَبَّهَ ذَاكَ بِهِ، فَقِيلَ: قُتَلاءُ وَأُسَرَاءُ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ بِزِنَةِ الْمَصْدَرِ، الَّذِي هُوَ النَّقِيضُ وَالضَّغِيبُ، أَوْ لِأَنَّ تَأْنِيثَ الرَّحْمَةِ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ.

قُرِئَ: "نَشْرًا"، وَهُوَ مَصْدَرُ نَشَرَ، وَانْتِصَابُهُ: إِمَّا لِأَنَّ أَرْسَلَ وَنَشَرَ مُتَقَارِبَانِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: نَشَرَهَا نَشْرًا، وَإِمَّا عَلَى الْحَالِ بِمَعْنَى مُنْتَشِرَاتٍ، وَ"نُشُرًا" جَمْعُ نُشُورٍ، وَ"نَشْرًا" تَخْفِيفُ نُشُرٍ، كَرَسْلٍ وَرُسُلٍ.

وَقَرَأَ مَسْرُوقٌ: "نُشُرًا"، بِمَعْنَى مَنْشُورَاتٍ، فَعْلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، كَنَقْضٍ وَحَسْبٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: "ضَمَّ نَشَرَهُ"، وَبُشْرًا جَمْعُ بَشِيرٍ، وَبُشُرًا بِتَخْفِيفِهِ، وَبَشْرًا –بِفَتْحِ الْبَاءِ– مَصْدَرٌ مِنْ بَشَرَهُ بِمَعْنَى بَشَّرَهُ، أَيْ: بَاشِرَاتٍ، وَبُشْرَى.

﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[3]: أَمَامَ رَحْمَتِهِ، وَهِيَ الْغَيْثُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَتَمِّ النِّعَمِ، وَأَجَلِّهَا، وَأَحْسَنِهَا أَثَرًا.

﴿أَقَلَّتْ﴾[4]: حَمَلَتْ وَرَفَعَتْ، وَاشْتِقَاقُ الْإِقْلالِ مِنَ الْقِلَّةِ، لِأَنَّ الرَّافِعَ الْمُطِيقَ يَرَى الَّذِي يَرْفَعُهُ قَلِيلًا.

﴿سَحَابًا ثِقَالا﴾[5]: سَحَائِبَ ثِقَالًا بِالْمَاءِ، جَمْعُ سَحَابَةٍ.

﴿سُقْنَاهُ﴾[6]: الضَّمِيرُ لِلسَّحَابِ عَلَى اللَّفْظِ، وَلَوْ حُمِلَ عَلَى الْمَعْنَى كَالثِّقَالِ لَأُنِّثَ، كَمَا لَوْ حُمِلَ الْوَصْفُ عَلَى اللَّفْظِ لَقِيلَ: ثَقِيلًا.

﴿لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾[7]: لِأَجْلِ بَلَدٍ لَيْسَ فِيهِ حَيًّا وَلِسَقْيِهِ.

---

[1] سُورَةُ طه، الآية 82.

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَقُرِئَ: "مَيْتٍ".

﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ﴾[1]: بِالْبَلَدِ أَوْ بِالسَّحَابِ، أَوْ بِالسُّوقِ، وَكَذَلِكَ: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ... كَذَلِكَ﴾[2]: مِثْلُ ذَلِكَ الْإِخْرَاجِ، وَهُوَ إِخْرَاجُ الثَّمَرَاتِ.

﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3]، فَيُؤَدِّيكُمِ التَّذَكُّرِ إِلَى أَنَّهُ لا فَرْقَ بَيْنَ الْإِخْرَاجَيْنِ، إِذًا كَلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِعَادَةٌ لِلشَّيْءِ بَعْدَ إِنْشَائِهِ.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾[4]: الْأَرْضُ الْعَذَاةُ الْكَرِيمَةُ التُّرْبَةِ.

﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾[5]: الْأَرْضُ السَّبِخَةُ الَّتِي لا تُنْبِتُ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾[6]: بِتَيْسِيرِهِ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: يُخْرِجُ نَبَاتَهُ حَسَنًا وَافِيًا، لِأَنَّهُ وَاقِعٌ فِي مُقَابَلَةِ ﴿نَكِدًا﴾[7]، وَالنَّكِدُ الَّذِي لا خَيْرَ فِيهِ.

وَقُرِئَ: يُخْرِجُ نَبَاتَهُ، أَيْ: يُخْرِجُهُ الْبَلَدُ وَيُنْبِتُهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾[8]: صِفَةٌ لِـ ﴿الْبَلَدِ﴾[9]، وَمَعْنَاهُ: وَالْبَلَدُ الْخَبِيثُ لا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا، فَحُذِفَ الْمُضَافُ الَّذِي هُوَ النَّبَاتُ، وَأُقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ الَّذِي هُوَ الرَّاجِعُ إِلَى الْبَلَدِ مَقَامَهُ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مَجْرُورًا بَارِزًا، فَانْقَلَبَ مَرْفُوعًا مُسْتَكِنًّا، لِوُقُوعِهِ مَوْقِعَ الْفَاعِلِ، أَوْ يُقَدَّرُ: وَ"نَبَاتُ الَّذِي خَبُثَ".

وَقُرِئَ: "نَكَدًا"، بِفَتْحِ الْكَافِ عَلَى الْمَصْدَرِ، أَيْ: ذَا نَكَدٍ، وَنَكْدًا، بِإِسْكَانِهَا لِلتَّخْفِيفِ، كَقَوْلِهِ: نَزْهٌ عَنِ الرَّيْبِ، بِمَعْنَى: نَزِهٍ، وَهَذَا مَثَلٌ لِمَنْ يَنْجَعُ فِيهِ الْوَعْظُ، وَالتَّنْبِيهُ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ، وَلِمَنْ لا يُؤَثِّرُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ: آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ مِنْهُمْ خَبِيثٌ وَطَيِّبٌ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[8] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[9] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَعَنْ قَتَادَةَ: الْمُؤْمِنُ سَمِعَ كِتَابَ اللَّهِ، فَوَعَاهُ بِعَقْلِهِ، وَانْتَفَعَ بِهِ، كَالْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ أَصَابَهَا الْغَيْثُ فَأَنْبَتَتْ، وَالْكَافِرُ بِخِلافِ ذَلِكَ. وَهَذَا التَّمْثِيلُ وَاقِعٌ عَلَى أَثَرِ ذِكْرِ الْمَطَرِ وَإِنْزَالِهِ بِالْبَلَدِ الْمَيِّتِ وَإِخْرَاجِ الثَّمَرَاتِ بِهِ عَلَى طَرِيقِ الاسْتِطْرَادِ.

﴿كَذَلِكَ﴾[1]: مِثْلُ ذَلِكَ التَّصْرِيفِ ﴿نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾[2]: نُرَدِّدُهَا وَنُكَرِّرُهَا ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[3]: نِعْمَةَ اللَّهِ وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، لِيُفَكِّرُوا فِيهَا وَيَعْتَبِرُوا بِهَا.

وَقُرِئَ: "يُصِرِّفُ"، بِالْيَاءِ، أَيْ: يُصَرِّفُهَا اللَّهُ.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[4]

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾[5]: جَوَابُ قَسَمٍ مَحْذُوفٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا لَهُمْ لا يَكَادُونَ يَنْطِقُونَ بِهَذِهِ اللَّامِ، إِلَّا مَعَ "قَدْ" وَقَلَّ عَنْهُمْ، نَحْوَ قَوْلِهِ:

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حِلْفَةَ فَاجِرٍ لَنَامُوا.....

قُلْتُ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْجُمْلَةَ الْقَسَمِيَّةَ لا تُسَاقُ إِلَّا تَأْكِيدًا لِلْجُمْلَةِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهَا، الَّتِي هِيَ جَوَابُهَا، فَكَانَتْ مَظِنَّةً لِمَعْنَى التَّوَقُّعِ الَّذِي هُوَ مَعْنَى "قَدْ" عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْمُخَاطَبِ كَلِمَةَ الْقَسَمِ.

قِيلَ: أَرْسَلَ نُوحًا –عَلَيْهِ السَّلامُ– وَهُوَ ابْنُ خَمْسِينَ سَنَةً، وَكَانَ نَجَّارًا، وَهُوَ نُوحُ بْنُ لَمَكَ بْنِ مُتَوَسْلِخَ بْنِ أَخْنُوخَ، وَأَخْنُوخُ اسْمُ إِدْرِيسَ النَّبِيِّ –عَلَيْهِ السَّلامُ–.

وَقُرِئَ: "غَيْرُهُ"، بِالْحَرَكَاتِ الثَّلاثِ، فَالرَّفْعُ عَلَى الْمَحَلِّ، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَا لَكُمْ إِلَهٌ غَيْرُهُ، وَالْجَرُّ عَلَى اللَّفْظِ، وَالنُّصْبُ عَلَى الاسْتِثْنَاءِ، بِمَعْنَى: مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِيَّاهُ، كَقَوْلِكَ: مَا فِي الدَّارِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا زَيْدٌ أَوْ غَيْرُ زَيْدٍ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَوْقِعُ الْجُمْلَتَيْنِ بَعْدَ قَوْلِهِ: "اعْبُدُوا اللَّهَ"؟

قُلْتُ:

الْأُولَى بَيَانٌ لِوَجْهِ اخْتِصَاصِهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَالثَّانِيَةُ: بَيَانٌ لِلدَّاعِي إِلَى عِبَادَتِهِ، لِأَنَّهُ هُوَ الْمَحْذُورُ عِقَابُهُ دُونَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

وَالْيَوْمُ الْعَظِيمُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، أَوْ يَوْمُ نُزُولِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ الطُّوفَانُ.

﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[1]

﴿الْمَلأُ﴾[2]: الْأَشْرَافُ وَالسَّادَةُ.

وَقِيلَ: الرِّجَالُ لَيْسَ مَعَهُمُ النِّسَاءُ ﴿فِي ضَلالٍ﴾[3]: فِي ذَهَابٍ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ وَالْحَقِّ.

وَمَعْنَى الرُّؤْيَةِ: رُؤْيَةُ الْقَلْبِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قَالَ: ﴿لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ﴾[4]، وَلَمْ يَقُلْ: ضَلالٌ كَمَا قَالُوا؟

قُلْتُ: الضَّلالَةُ أَخَصُّ مِنَ الضَّلالِ، فَكَانَتْ أَبْلَغَ فِي نَفْيِ الضَّلالِ عَنْ نَفْسِهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ بِي شَيْءٌ مِنَ الضَّلالِ، كَمَا لَوْ قِيلَ لَكَ: أَلَكَ تَمْرٌ؟ فَقُلْتُ: مَا لِي تَمْرَةٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ وَقَعَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ﴾[5] اسْتِدْرَاكًا لِلِانْتِفَاءِ عَنِ الضَّلالَةِ؟

قُلْتُ: كَوْنُهُ رَسُولًا مِنَ اللَّهِ، مُبَلِّغًا رِسَالاتِهِ، نَاصِحًا، فِي مَعْنَى كَوْنِهِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ فَصَحَّ لِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ اسْتِدْرَاكًا لِلِانْتِفَاءِ عَنِ الضَّلالَةِ.

وَقُرِئَ: "أُبْلِغُكُمْ"، بِالتَّخْفِيفِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ مَوْقِعُ قَوْلِهِ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾[1]؟

قُلْتُ: فِيهِ وَجْهَانِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ كَلامًا مُسْتَأْنَفًا بَيَانًا لِكَوْنِهِ رَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

– وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِ ﴿رَسُولٌ﴾[2].

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جَازَ أَنْ يَكُونَ صِفَةً، وَالرَّسُولُ لَفْظُهُ لَفْظُ الْغَائِبِ؟

قُلْتُ: جَازَ ذَلِكَ، لِأَنَّ الرَّسُولَ وَقَعَ خَبَرًا عَنْ ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ، وَكَانَ مَعْنَاهُ: كَمَا قَالَ:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ

﴿رِسَالاتِ رَبِّي﴾[3]: مَا أُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْأَوْقَاتِ الْمُتَطَاوِلَةِ، أَوْ فِي الْمَعَانِي الْمُخْتَلِفَةِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، وَالْمَوَاعِظِ وَالزَّوَاجِرِ، وَالْبَشَائِرِ وَالنَّذَائِرِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ رِسَالاتِهِ إِلَيْهِ وَإِلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ مِنْ صُحُفِ جَدِّهِ إِدْرِيسَ، وَهِيَ ثَلاثُونَ صَحِيفَةً، وَمِنْ صُحُفِ شِيثَ، وَهِيَ خَمْسُونَ صَحِيفَةً.

﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾[4]: يُقَالُ: نَصَحْتُهُ، وَنَصَحْتُ لَهُ، وَفِي زِيَادَةِ اللَّامِ مُبَالَغَةٌ وَدَلالَةٌ عَلَى إِمْحَاضِ النَّصِيحَةِ، وَأَنَّهَا وَقَعَتْ خَالِصَةً لِلْمَنْصُوحِ لَهُ، مَقْصُودًا بِهَا جَانِبُهُ لا غَيْرَ، فَرُبَّ نَصِيحَةٍ يَنْتَفِعُ بِهَا النَّاصِحُ، فَيَقْصِدُ النَّفْعَيْنِ جَمِيعًا، وَلا نَصِيحَةَ أَمْحَضُ مِنْ نَصِيحَةِ اللَّهِ – تَعَالَى– وَرُسُلِهِ –عَلَيْهِمُ السَّلامُ–.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[5]، أَيْ: مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَأَحْوَالِهِ، يَعْنِي: قُدْرَتَهُ الْبَاهِرَةَ، وَشِدَّةَ بَطْشِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَأَنَّ بَأْسَهُ لا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.

وَقِيلَ: لَمْ يَسْمَعُوا بِقَوْمٍ حَلَّ بِهِمُ الْعَذَابُ قَبْلَهُمْ فَكَانُوا آمِنِينَ لا يَعْلَمُونَ مَا عَلِمَهُ نُوحٌ بِوَحْيِ اللَّهِ إِلَيْهِ، أَوْ أَرَادَ: وَأَعْلَمُ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ أَشْيَاءَ لا عِلْمَ لَكُمْ بِهَا قَدْ أَوْحَى إِلَيَّ بِهَا.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1]

﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾[2] الْهَمْزَةُ: لِلْإِنْكَارِ، وَالْوَاوُ: لِلْعَطْفِ، وَالْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ مَحْذُوفٌ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَكَذَّبْتُمْ وَعَجِبْتُمْ ﴿أَنْ جَاءَكُمْ﴾: مِنْ أَنْ جَاءَكُمْ ﴿ذِكْرٌ﴾: مَوْعِظَةٌ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾[3]: عَلَى لِسَانِ رَجُلٍ مِنْكُمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾[4].

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ نُبُوَّةِ نُوحٍ –عَلَيْهِ السَّلامُ– وَيَقُولُونَ: مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ، يَعْنُونَ إِرْسَالَ الْبَشَرِ، وَلَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً.

﴿لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا﴾[5]: لِيُحَذِّرَكُمْ عَاقِبَةَ الْكُفْرِ، وَلِيُوجِدَ مِنْكُمُ التَّقْوَى، وَهِيَ الْخَشْيَةُ، بِسَبَبِ الْإِنْذَارِ.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[6]: وَلِتُرْحَمُوا بِالتَّقْوَى إِنْ وُجِدَتْ مِنْكُمْ.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾[7]

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[8]، قِيلَ: كَانُوا أَرْبَعِينَ رَجُلًا، وَأَرْبَعِينَ امْرَأَةً.

وَقِيلَ: تِسْعَةٌ، بَنُوهُ: سَامٌ، وَحَامٌ، وَيَافِثُ، وَسِتَّةٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿فِي الْفُلْكِ﴾[9] بِمَ يَتَعَلَّقُ؟

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، الآية 194.

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

9 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

قُلْتُ: هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَعَهُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَالَّذِينَ اسْتَقَرُّوا مَعَهُ فِي الْفُلْكِ أَوْ صَحِبُوهُ فِي الْفُلْكِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِفِعْلِ الْإِنْجَاءِ، أَيْ: أَنْجَيْنَاهُمْ فِي السَّفِينَةِ مِنَ الطُّوفَانِ.

﴿عَمِينَ﴾[1]: عَمَى الْقُلُوبِ غَيْرَ مُسْتَبْصِرِينَ.

وَقُرِئَ: "عَامِّينَ"، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْعَمَى وَالْعَامِّيِّ، أَنَّ "الْعَمَى" يَدُلُّ عَلَى عَمًى ثَابِتٍ، وَ "الْعَامِّيُّ" عَلَى حَادِثٍ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾[2].

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]

﴿أَخَاهُمْ﴾[4]: وَاحِدًا مِنْهُمْ، مِنْ قَوْلِكَ: يَا أَخَا الْعَرَبِ، لِلْوَاحِدِ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا جَعَلَ وَاحِدًا مِنْهُمْ، لِأَنَّهُمْ أَفْهَمُ عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ، وَأَعْرَفُ بِحَالِهِ فِي صِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ، وَهُوَ هُودُ بْنُ شَالِخَ بْنِ أَرْفَخْشَذَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ، وَأَخَاهُمْ: عُطِفَ عَلَى نُوحًا، ﴿وَهُودًا﴾[5]: عَطْفُ بَيَانٍ لَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ حُذِفَ الْعَاطِفُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾[6]، وَلَمْ يَقُلْ "فَقَالَ" كَمَا فِي قِصَّةِ نُوحٍ؟

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ هُودٍ، الآية 12.

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

قُلْتُ: هُوَ عَلَى تَقْدِيرِ سُؤَالِ سَائِلٍ قَالَ: فَمَا قَالَ لَهُمْ هُودٌ؟ فَقِيلَ: قَالَ يَا قَوْمِ، اعْبُدُوا اللَّهَ، وَكَذَلِكَ ﴿قَالَ الْمَلأُ﴾[1].

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ وَصَفَ الْمَلأَ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2] دُونَ الْمَلأِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ؟

قُلْتُ: كَانَ فِي أَشْرَافِ قَوْمِ هُودٍ مَنْ آمَنَ بِهِ، مِنْهُمْ مَرْثَدُ بْنُ سَعْدٍ الَّذِي أَسْلَمَ، وَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلامَهُ، فَأُرِيدَتِ التَّفْرِقَةُ بِالْوَصْفِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي أَشْرَافِ قَوْمِ نُوحٍ مُؤْمِنٌ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ﴾[3].

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَصْفًا وَارِدًا لِلذَّمِّ لا غَيْرَ ﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾[4] فِي خِفَّةِ حِلْمٍ وَسَخَافَةِ عَقْلٍ، حَيْثُ تَهْجُرُ دِينَ قَوْمِكَ إِلَى دِينٍ آخَرَ، وَجُعِلَتِ السَّفَاهَةُ ظَرْفًا عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ: أَرَادُوا أَنَّهُ مُتَمَكِّنٌ فِيهَا غَيْرَ مُنْفَكٍّ عَنْهَا، وَفِي إِجَابَةِ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ السَّلامُ- مِنْ نَسَبِهِمْ إِلَى الضَّلالِ وَالسَّفَاهَةِ، بِمَا أَجَابُوهُمْ بِهِ مِنَ الْكَلامِ الصَّادِرِ عَنِ الْحِلْمِ، وَالْإِغْضَاءِ، وَتَرْكِ الْمُقَابَلَةِ، بِمَا قَالُوا لَهُمْ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ خُصُومَهُمْ أَضَلُّ النَّاسِ وَأَسْفَهُهُمْ، أَدَبٌ حَسَنٌ وَخُلُقٌ عَظِيمٌ.

وَحِكَايَةُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ذَلِكَ تَعْلِيمٌ لِعِبَادِهِ كَيْفَ يُخَاطِبُونَ السُّفَهَاءَ، وَكَيْفَ يَغُضُّونَ عَنْهُمْ، وَيَسْلُبُونَ أَذْيَالَهُمْ عَلَى مَا يَكُونُ مِنْهُمْ ﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[5]، أَيْ: عُرِفْتُ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِالنُّصْحِ وَالْأَمَانَةِ، فَمَا حَقِّي أَنْ أُتَّهَمَ، أَوْ أَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ فِيمَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، أَمِينٌ عَلَى مَا أَقُولُ لَكُمْ لا أَكْذِبُ فِيهِ ﴿خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾[6]، أَيْ: خَلَّفْتُمُوهُ فِي الْأَرْضِ، أَوْ جَعَلَكُمْ مُلُوكًا فِي الْأَرْضِ قَدِ اسْتَخْلَفَكُمْ فِيهَا بَعْدَهُمْ ﴿فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾[7]: فِيمَا خَلَقَ مِنْ أَجْرَامِكُمْ ذَهَابًا فِي الطُّولِ وَالْبَدَانَةِ.

قِيلَ: كَانَ أَقْصَرُهُمْ سِتِّينَ ذِرَاعًا، وَأَطْوَلُهُمْ مِائَةَ ذِرَاعٍ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ هُودٍ، الآية 44.

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ﴾[1]: فِي اسْتِخْلافِكُمْ، وَبَسْطَةِ أَجْرَامِكُمْ، وَمَا سِوَاهُمَا مِنْ عَطَايَاهُ، وَوَاحِدُ الْآلاءِ "إِلَى" نَحْوِ: إِنَيٍ وَإِنَاءٍ، وَضِلَعٍ وَأَضْلاعٍ، وَعِنَبٍ وَأَعْنَابٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿إِذْ﴾[2] فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾[3]، مَا وَجْهُ انْتِصَابِهِ؟

قُلْتُ: هُوَ مَفْعُولٌ بِهِ، وَلَيْسَ بِظَرْفٍ، أَيِ: اذْكُرُوا وَقْتَ اسْتِخْلافِكُمْ.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[4]

﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾[5]: أَنْكَرُوا، وَاسْتَبْعَدُوا اخْتِصَاصَ اللَّهِ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ، وَتَرْكَ دِينِ الْآبَاءِ، فِي اتِّخَاذِ الْأَصْنَامِ شُرَكَاءَ مَعَهُ، حُبًّا لِمَا نَشَأُوا عَلَيْهِ، وَأَلْفًا لِمَا صَادَفُوا آبَاءَهُمْ يَتَدَيَّنُونَ بِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى الْمَجِيءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَجِئْتَنَا﴾[6]؟

قُلْتُ: فِيهِ أَوْجُهٌ، أَنْ يَكُونَ لِهُودٍ –عَلَيْهِ السَّلامُ– مَكَانٌ مُعْتَزِلٌ عَنْ قَوْمِهِ يَتَحَنَّثُ فِيهِ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِحِرَاءٍ قَبْلَ الْمَبْعَثِ فَلَمَّا أَوْحَى إِلَيْهِ، جَاءَ قَوْمُهُ يَدْعُوهُمْ، وَأَنْ يُرِيدُوا بِهِ الاسْتِهْزَاءَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– لا يُرْسِلُ إِلَّا الْمَلائِكَةَ، فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا: أَجِئْتَنَا مِنَ السَّمَاءِ كَمَا يَجِيءُ الْمَلَكُ، وَأَلَّا يُرِيدُوا حَقِيقَةَ الْمَجِيءِ، وَلَكِنَّ التَّعَرُّضَ بِذَلِكَ وَالْقَصْدَ كَمَا يُقَالُ: ذَهَبَ يُشَمِّتُنِي، وَلا يُرَادُ حَقِيقَةُ الذَّهَابِ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: أَقَصَدْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَتَعَرَّضْتَ لَنَا بِتَكْلِيفِ ذَلِكَ؟

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾[1]: اسْتِعْجَالٌ مِنْهُمْ لِلْعَذَابِ

﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ﴾[2]، أَيْ: حَقَّ عَلَيْكُمْ وَوَجَبَ، أَوْ قَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ، جُعِلَ الْمُتَوَقَّعُ الَّذِي لا بُدَّ مِنْ نُزُولِهِ بِمَنْزِلَةِ الْوَاقِعِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُكَ لِمَنْ طَلَبَ إِلَيْكَ بَعْضَ الْمَطَالِبِ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ.

وَعَنْ حَسَّانَ، أَنَّ ابْنَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ لَسَعَهُ زُنْبُورٌ، وَهُوَ طِفْلٌ، فَجَاءَ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ مَا لَكَ، قَالَ: لَسَعَنِي طُوَيْرٌ كَأَنَّهُ مُلْتَفٌّ فِي بُرْدَيْ حِبَرَةٍ، فَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ، قَدْ قُلْتَ الشِّعْرَ، وَالرِّجْسُ: الْعَذَابُ مِنَ الارْتِجَاسِ، وَهُوَ الاضْطِرَابُ.

﴿فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾[3]: فِي أَشْيَاءَ مَا هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ لَيْسَ تَحْتَهَا مُسَمَّيَاتٌ، لِأَنَّكُمْ تُسَمُّونَهَا آلِهَةً، وَمَعْنَى الْإِلَهِيَّةِ فِيهَا مَعْدُومٌ مُحَالٌ وُجُودُهُ. وَهَذَا كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾[4].

وَمَعْنَى: ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾[5]: سَمَّيْتُمْ بِهَا مِنْ: سَمَّيْتُهُ زَيْدًا، "وَقَطْعُ دَابِرِهِمْ": اسْتِئْصَالُهُمْ وَتَدْمِيرُهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، وَقِصَّتُهُمْ أَنَّ "عَادًا" قَدْ تَبَسَّطُوا فِي الْبِلادِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ وَحَضْرَمَوْتَ، وَكَانَتْ لَهُمْ أَصْنَامٌ يَعْبُدُونَهَا: صَدَاءٌ، وَصَمُودٌ، وَالْهَبَاءُ؛ فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ هُودًا نَبِيًّا، وَكَانَ مِنْ أَوْسَطِهِمْ وَأَفْضَلِهِمْ حَسَبًا، فَكَذَّبُوهُ، وَازْدَادُوا عُتُوًّا وَتَجَبُّرًا؛ فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُمُ الْقَطْرَ ثَلاثَ سِنِينَ حَتَّى جَهِدُوا، وَكَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ بَلاءٌ طَلَبُوا إِلَى اللَّهِ –تَعَالَى– الْفَرَجَ مِنْهُ عِنْدَ بَيْتِهِ الْمُحَرَّمِ مُسْلِمُهُمْ وَمُشْرِكُهُمْ، وَأَهْلُ مَكَّةَ إِذْ ذَاكَ الْعَمَالِيقُ أَوْلادُ عِمْلِيقَ بْنِ لاوِذَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ، وَسَيِّدُهُمْ مُعَاوِيَةُ بْنُ بَكْرٍ، فَجَهَّزَتْ عَادٌ إِلَى مَكَّةَ مِنْ أَمَاثِلِهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا، مِنْهُمْ قَيْلُ بْنُ عَنْزٍ، وَمَرْثَدُ بْنُ سَعْدٍ، الَّذِي كَانَ يَكْتُمُ إِسْلامَهُ.

فَلَمَّا قَدِمُوا نَزَلُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ، وَهُوَ بِظَاهِرِ مَكَّةَ خَارِجًا عَنِ الْحَرَمِ، فَأَنْزَلَهُمْ، وَأَكْرَمَهُمْ، وَكَانُوا أَخْوَالَهُ وَأَصْهَارَهُ، فَأَقَامُوا عِنْدَهُ شَهْرًا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَتُغْنِيهِمُ الْجَرَادَتَانِ، – قَيْنَتَانِ كَانَتَا لِمُعَاوِيَةَ–.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

فَلَمَّا رَأَى طُولَ مُقَامِهِمْ، وَذُهُولَهُمْ بِاللَّهْوِ عَمَّا قَدِمُوا لَهُ، أَهَمَّهُ ذَلِكَ، وَقَالَ: قَدْ هَلَكَ أَخْوَالِي، وَأَصْهَارِي، وَهَؤُلاءِ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَكَانَ يَسْتَحْيِي أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، خِيفَةَ أَنْ يَظُنُّوا بِهِ ثِقَلَ مُقَامِهِمْ عَلَيْهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلْقَيْنَتَيْنِ، فَقَالَتَا: قُلْ شِعْرًا نُغْنِيهِمْ بِهِ لا يَدْرُونَ مَنْ قَالَهُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ:

أَلا يَا قَيْلُ وَيْحَكَ قُمْ فَهَيْنِمْ ... لَعَلَّ اللَّهَ يَسْقِينَا غَمَامَـــــا

فَيَسْقِي أَرْضَ عَادٍ إِنَّ عَـادًا ... قَدَ امْسَوْا مَا يُبِينُونَ الْكَلامَا

فَلِمَا غَنَّتَا بِهِ، قَالُوا: إِنَّ قَوْمَكُمْ يَتَغَوَّثُونَ مِنَ الْبَلاءِ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ، وَقَدْ أَبْطَأْتُمْ عَلَيْهِمْ، فَادْخُلُوا الْحَرَمَ، وَاسْتَسْقُوا لِقَوْمِكُمْ، فَقَالَ لَهُمْ مَرْثَدُ بْنُ سَعْدٍ: وَاللَّهِ، لا تَسْقُونَ بِدُعَائِكُمْ، وَلَكِنْ إِنْ أَطَعْتُمْ نَبِيَّكُمْ، وَتُبْتُمْ إِلَى اللَّهِ، سُقِيتُمْ، وَأَظْهَرَ إِسْلامَهُ، فَقَالُوا لِمُعَاوِيَةَ: احْبِسْ عَنَّا مَرْثَدًا، لا يَقْدُمَنَّ مَعَنَا مَكَّةَ، فَإِنَّهُ قَدِ اتَّبَعَ دِينَ هُودٍ، وَتَرَكَ دِينَنَا، ثُمَّ دَخَلُوا مَكَّةَ، فَقَالَ قَيْلٌ اللَّهُمَّ، اسْقِ عَادًا مَا كُنْتَ تَسْقِيهِمْ؛ فَأَنْشَأَ اللَّهُ –تَعَالَى– سَحَابَاتٍ ثَلاثًا بَيْضَاءَ، وَحَمْرَاءَ، وَسَوْدَاءَ، ثُمَّ نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: يَا قَيْلُ، اخْتَرْ لِنَفْسِكَ وَلِقَوْمِكَ، فَقَالَ: اخْتَرْتُ السَّوْدَاءَ، فَإِنَّهَا أَكْثَرُهُنَّ مَاءً، فَخَرَجَتْ عَلَى عَادٍ مِنْ وَادٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ: الْمُغِيثُ، فَاسْتَبْشَرُوا بِهَا، وَقَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا، فَجَاءَتْهُمْ مِنْهَا رِيحٌ عَقِيمٌ فَأَهْلَكَتْهُمْ، وَنَجَا هُودٌ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَهُ، فَأَتَوْا مَكَّةَ، فَعَبَدُوا اللَّهَ فِيهَا حَتَّى مَاتُوا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا فَائِدَةُ نَفْيِ الْإِيمَانِ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[1] مَعَ إِثْبَاتِ التَّكْذِيبِ بِآيَاتِ اللَّهِ؟

قُلْتُ: هُوَ تَعْرِيضٌ بِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ كَمَرْثَدِ بْنِ سَعْدٍ، وَمَنْ نَجَا مَعَ هُودٍ –عَلَيْهِ السَّلامُ – كَأَنَّهُ قَالَ: وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا مِنْهُمْ وَلَمْ يَكُونُوا مِثْلَ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ، لِيُؤْذِنَ أَنَّ الْهَلاكَ خَصَّ الْمُكَذِّبِينَ، وَنَجَّى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1]

قُرِئَ: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾[2]، بِمَنْعِ الصَّرْفِ بِتَأْوِيلِ الْقَبِيلَةِ، وَإِلَى ثَمُودٍ بِالصَّرْفِ بِتَأْوِيلِ الْحَيِّ، أَوْ بِاعْتِبَارِ الْأَصْلِ، لِأَنَّهُ اسْمُ أَبِيهِمُ الْأَكْبَرِ، وَهُوَ ثَمُودُ بْنُ عَابِرِ بْنِ إِرَمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ.

وَقِيلَ: سُمِّيَتْ ﴿ثَمُودَ﴾[3] لِقِلَّةِ مَائِهَا، مِنَ الثَّمْدِ وَهُوَ الْمَاءُ الْقَلِيلُ، وَكَانَتْ مَسَاكِنُهُمُ الْحِجْرَ بَيْنَ الشَّامِ وَالْحِجَازِ إِلَى وَادِي الْقُرَى.

﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ﴾[4]: آيَةٌ ظَاهِرَةٌ، وَشَاهِدٌ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِي، وَكَأَنَّهُ قِيلَ: مَا هَذِهِ الْبَيِّنَةُ؟ فَقَالَ: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾[5]، وَآيَةً نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهَا: مَا دَلَّ عَلَيْهِ اسْمُ الْإِشَارَةِ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أُشِيرُ إِلَيْهَا آيَةً.

وَ﴿لَكُمْ﴾[6]: بَيَانٌ لِمَنْ هِيَ لَهُ آيَةٌ مُوجِبَةٌ عَلَيْهِ الْإِيمَانَ خَاصَّةً وَهُمْ ثَمُودٌ، لِأَنَّهُمْ عَايَنُوهَا، وَسَائِرُ النَّاسِ أَخْبَرُوا عَنْهَا، وَلَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَكُمْ خُصُوصًا، وَإِنَّمَا أُضِيفَتْ إِلَى اسْمِ اللَّهِ، تَعْظِيمًا لَهَا، وَتَفْخِيمًا لِشَأْنِهَا، وَأَنَّهَا جَاءَتْ مِنْ عِنْدِهِ مُكَوَّنَةً مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ وَطَرُوقَةٍ آيَةً مِنْ آيَاتِهِ، كَمَا تَقُولُ: آيَةُ اللَّهِ.

وَرُوِيَ أَنَّ عَادًا لَمَّا أُهْلِكَتْ عَمَّرَتْ ثَمُودُ بِلادَهَا، وَخَلَفُوهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَكَثُرُوا، وَعَمَّرُوا أَعْمَارًا طِوَالًا، حَتَّى أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَبْنِي الْمَسْكَنَ الْمُحْكَمَ فَيَنْهَدِمُ فِي حَيَاتِهِ، فَنَحَتُوا الْبُيُوتَ مِنَ الْجِبَالِ، وَكَانُوا فِي سِعَةٍ وَرَخَاءٍ مِنَ الْعَيْشِ، فَعَتَوْا عَلَى اللَّهِ، وَأَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ، وَعَبَدُوا الْأَوْثَانَ، فَبَعَثَ اللَّهُ –تَعَالَى– إِلَيْهِمْ صَالِحًا –عَلَيْهِ السَّلامُ– وَكَانُوا قَوْمًا عَرَبًا، وَصَالِحٌ مِنْ أَوْسَطِهِمْ نَسَبًا، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ –تَعَالَى– فَلَمْ يَتْبَعْهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ مُسْتَضْعَفُونَ، فَحَذَّرَهُمْ، وَأَنْذَرَهُمْ، فَسَأَلُوهُ آيَةً، فَقَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ تُرِيدُونَ؟؟ قَالُوا: تَخْرُجُ مَعَنَا

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

إِلَى عِيدِنَا فِي يَوْمٍ مَعْلُومٍ لَهُمْ مِنَ السَّنَةِ، فَتَدْعُو إِلَهَكَ، وَنَدْعُوا آلِهَتَنَا، فَإِنِ اسْتُجِيبَ لَكَ اتَّبَعْنَاكَ، وَإِنِ اسْتُجِيبَ لَنَا اتَّبَعْتَنَا؛ فَقَالَ صَالِحٌ: نَعَمْ، فَخَرَجَ مَعَهُمْ، وَدَعُوا أَوْثَانَهُمْ، وَسَأَلُوهَا الاسْتِجَابَةَ فَلَمْ تُجِبْهُمْ، ثُمَّ قَالَ سَيِّدُهُمْ، جُنْدَعُ بْنُ عَمْرٍو، وَأَشَارَ إِلَى صَخْرَةٍ مُنْفَرِدَةٍ فِي نَاحِيَةِ الْجَبَلِ، يُقَالُ لَهَا: "الْكَاثِبَةُ" أَخْرَجَ لَنَا مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ نَاقَةً مُخْتَرِجَةً، جَوْفَاءَ، وَبَرَاءَ –وَالْمُخْتَرِجَةُ الَّتِي شَاكَلَتِ الْبَحْتَ– فَإِنْ فَعَلْتَ صَدَّقْنَاكَ وَأَجَبْنَاكَ.

فَأَخَذَ صَالِحٌ –عَلَيْهِ السَّلامُ– عَلَيْهِمُ الْمَوَاثِيقَ، لَئِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَتُؤْمِنُنَّ وَلَتُصَدِّقُنَّ، قَالُوا: نَعَمْ، فَصَلَّى وَدَعَا رَبَّهُ، فَتَمَخَّضَتِ الصَّخْرَةُ تَمَخُّضَ النَّتُوجِ بِوَلَدِهَا، فَانْصَدَعَتْ عَنْ نَاقَةٍ، عُشَرَاءَ، جَوْفَاءَ، وَبْرَاءَ، كَمَا وَصَفُوا، لا يَعْلَمُ مَا بَيْنَ جَنْبَيْهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى– وَعُظَمَاؤُهُمْ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ نَتَجَتْ وَلَدًا مِثْلَهَا فِي الْعِظَمِ، فَآمَنَ بِهِ جُنْدَعٌ، وَرَهْطٌ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَنَعَ أَعْقَابَهُمْ نَاسٌ مِنْ رُؤُوسِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا، فَمَكَثَتِ النَّاقَةُ مَعَ وَلَدِهَا تَرْعَى الشَّجَرَ، وَتَشْرَبُ الْمَاءَ، وَكَانَتْ تَرِدُ غِبًّا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُهَا، وَضَعَتْ رَأْسَهَا فِي الْبِئْرِ، فَمَا تَرْفَعُهُ حَتَّى تَشْرَبَ كُلَّ مَاءٍ فِيهَا، ثُمَّ تَتَفَحَّجُ، فَيَحْتَلِبُونَ مَا شَاءُوا حَتَّى تَمْتَلِئَ أَوَانِيهِمْ، فَيَشْرَبُونَ، وَيَدَّخِرُونَ.

قَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ: أَتَيْتُ أَرْضَ ثَمُودَ، فَذَرَعْتُ مَصْدَرَ النَّاقَةِ، فَوَجَدْتُهُ سِتِّينَ ذِرَاعًا، وَكَانَتِ النَّاقَةُ إِذَا وَقَعَ الْحَرُّ، تَصَيَّفَتْ بِظَهْرِ الْوَادِي، فَتَهْرَبُ مِنْهَا أَنْعَامُهُمْ، فَتَهْبِطُ إِلَى بَطْنِهِ، وَإِذَا وَقَعَ الْبَرْدُ، تَشَتَّتَ بَطْنُ الْوَادِي، فَتَهْرُبُ مَوَاشِيهِمْ إِلَى ظَهْرِهِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَزَيَّنَتْ عَقْرَهَا لَهُمُ امْرَأَتَانِ: عُنَيْزَةُ أُمُّ غَنْمٍ، وَصَدَقَةُ بِنْتُ الْمُخْتَارِ –لِمَا أَضَرَّتْ بِهِ مِنْ مَوَاشِيهِمَا وَكَانَتَا كَثِيرَتَيِ الْمَوَاشِي– فَعَقَرُوهَا، وَاقْتَسَمُوا لَحْمَهَا وَطَبَخُوهُ، فَانْطَلَقَ سَقَبُهَا حَتَّى رُقِيَ جَبَلًا اسْمُهُ: "قَارَّةُ" فَرَغَى ثَلاثًا، وَكَانَ صَالِحٌ قَالَ لَهُمْ: أَدْرِكُوا الْفَصِيلَ عَسَى أَنْ يُرْفَعَ عَنْكُمُ الْعَذَابُ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَانْفَجَّتِ الصَّخْرَةُ بَعْدَ رُغَائِهِ فَدَخَلَهَا، فَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ: تُصْبِحُونَ غَدًا، وَوُجُوهَكُمْ مُصْفَرَّةٌ، وَبَعْدَ غَدٍ وَوُجُوهُكُمْ مُحْمَرَّةٌ، وَالْيَوْمَ الثَّالِثَ وَوُجُوهُكُمْ مُسْوَدَّةٌ، ثُمَّ يَصْبَحُكُمُ الْعَذَابُ، فَلَمَّا رَأَوُا الْعَلامَاتِ، طَلَبُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ إِلَى أَرْضِ فِلَسْطِينَ، وَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الرَّابِعُ، وَارْتَفَعَ الضُّحَى، تَحَنَّطُوا بِالصَّبْرِ، وَتَكَفَّنُوا بِالْأَنْطَاعِ، فَأَتَتْهُمْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَتَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ فَهَلَكُوا.

﴿تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾[1]، أَيِ: الْأَرْضُ أَرْضُ اللَّهِ، وَالنَّاقَةُ نَاقَةُ اللَّهِ، فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ رَبِّهَا، فَلَيْسَتِ الْأَرْضُ لَكُمْ، وَلا مَا فِيهَا مِنَ النَّبَاتِ مِنْ أَنْبَاتِكُمْ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾[1]: لا تَضْرِبُوهَا، وَلا تَطْرُدُوهَا، وَلا تُرِيبُوهَا بِشَيْءٍ مِنَ الْأَذَى، إِكْرَامًا لِآيَةِ اللَّهِ.

وَيُرْوَى: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حِينَ مَرَّ بِالْحَجَرِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: "لا يَدْخُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْقَرْيَةَ، وَلا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا، وَلا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلاءِ الْمُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ الَّذِي أَصَابَهُمْ".

وَقَالَ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "يَا عَلِيُّ، أَتَدْرِي مَنْ أَشْقَى الْأَوَّلِينَ"؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "عَاقِرُ نَاقَةِ صَالِحٍ، أَتَدْرِي مَنْ أَشْقَى الْآخِرِينَ"؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "قَاتِلُكَ".

وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ فِي رِوَايَةٍ: "تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ"، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ بِمَعْنَى: "آكِلَةً".

﴿وَبَوَّأَكُمْ﴾[2]: وَنَزَّلَكُمْ، وَالْمَبَاءَةُ: الْمَنْزِلُ.

﴿فِي الأَرْضِ﴾[3]: فِي أَرْضِ الْحِجْرِ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ.

﴿مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾[4]، أَيْ: تَبْنُونَهَا مِنْ سُهُولَةِ الْأَرْضِ بِمَا تَعْمَلُونَ مِنْهَا مِنَ الرَّهْصِ، وَاللَّبِنِ، وَالْآجُرِّ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "وَتَنْحَتُونَ" بِفَتْحِ الْحَاءِ، وَ "تَنْحَاتُونَ" بِإِشْبَاعِ الْفَتْحَةِ، كَقَوْلِهِ:

يَنْبَاعُ مِنْ ذَفْرَى أَسِيلٍ حُرَّةٍ.....

فَإِنْ قُلْتَ: عَلامَ انْتَصَبَ: "بُيُوتًا"؟

قُلْتُ: عَلَى الْحَالِ، كَمَا تَقُولُ: خُطَّ هَذَا الثَّوْبَ قَمِيصًا، وَابْرِ هَذِهِ الْقَصَبَةَ قَلَمًا، وَهِيَ مِنَ الْحَالِ الْمُقَدَّرَةِ، لِأَنَّ الْجَبَلَ لا يَكُونُ بَيْتًا فِي حَالِ النَّحْتِ، وَلا الثَّوْبَ وَلا الْقَصَبَةَ قَمِيصًا وَقَلَمًا فِي حَالِ الْخِيَاطَةِ وَالْبَرْيِ، وَقِيلَ: كَانُوا يَسْكُنُونَ السُّهُولَ فِي الصَّيْفِ، وَالْجِبَالَ فِي الشِّتَاءِ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[1]

﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾[2]: لِلَّذِينِ اسْتَضْعَفَهُمْ رُؤَسَاءُ الْكُفَّارِ وَاسْتَذَلُّوهُمْ.

وَ﴿لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾[3]: بَدَلٌ مِنَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا.

فَإِنْ قُلْتَ: الضَّمِيرُ فِي ﴿مِنْهُمْ﴾[4] رَاجِعٌ إِلَى مَاذَا؟

قُلْتُ: إِلَى ﴿قَوْمِهِ﴾[5]، أَوْ إِلَى ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾[6].

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ لِاخْتِلافِ الْمُرْجَعِينِ أَثَرٌ فِي اخْتِلافِ الْمَعْنَى؟

قُلْتُ: نَعَمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّاجِعَ إِذَا رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَدْ جَعَلَ "مَنْ آمَنَ" مُفَسِّرًا لِمَنِ اسْتُضْعِفَ مِنْهُمْ، فَدَلَّ أَنَّ اسْتِضْعَافَهُمْ كَانَ مَقْصُورًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَإِذَا رَجَعَ إِلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا، لَمْ يَكُنِ الاسْتِضْعَافُ مَقْصُورًا عَلَيْهِمْ، وَدَلَّ أَنَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ كَانُوا مُؤْمِنِينَ وَكَافِرِينَ.

﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾[7]: شَيْءٌ قَالُوهُ عَلَى سَبِيلِ الطَّنْزِ وَالسُّخْرِيَةِ، كَمَا تَقُولُ لِلْمُجَسِّمَةِ: أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ؟

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ صَحَّ قَوْلُهُمْ: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[8] جَوَابًا عَنْهُ؟

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

قُلْتُ: سَأَلُوهُمْ عَنِ الْعِلْمِ بِإِرْسَالِهِ، فَجَعَلُوا إِرْسَالَهُ أَمْرًا مَعْلُومًا مَكْشُوفًا مُسَلَّمًا، لا يَدْخُلُهُ رَيْبٌ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: الْعِلْمُ بِإِرْسَالِهِ، وَبِمَا أُرْسِلَ بِهِ مَا لا كَلامَ فِيهِ، وَلا شُبْهَةَ تَدْخُلُهُ، لِوُضُوحِهِ وَإِنَارَتِهِ، وَإِنَّمَا الْكَلامُ فِي وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِهِ، فَنُخْبِرُكُمْ أَنَّا بِهِ مُؤْمِنُونَ.

وَلِذَلِكَ كَانَ جَوَابُ الْكَفَرَةِ: ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[1]؛ فَوَضَعُوا: ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾[2]: مَوْضِعَ ﴿أُرْسِلَ بِهِ﴾[3]، رَدًّا لِمَا جَعَلَهُ الْمُؤْمِنُونَ مَعْلُومًا وَأَخَذُوهُ مُسَلَّمًا.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾[4]: أُسْنِدَ الْعَقْرُ إِلَى جَمِيعِهِمْ، لِأَنَّهُ كَانَ بِرِضَاهُمْ، وَإِنْ لَمْ يُبَاشِرْهُ إِلَّا بَعْضُهُمْ، وَقَدْ يُقَالُ لِلْقَبِيلَةِ الضَّخَمَةِ: أَنْتُمْ فَعَلْتُمْ كَذَا، وَمَا فَعَلَهُ إِلَّا وَاحِدًا مِنْهُمْ، وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَتَوَلَّوْا عَنْهُ وَاسْتَكْبَرُوا عَنِ امْتِثَالِهِ عَاتِينَ، وَأَمْرُ رَبِّهِمْ: مَا أَمَرَ بِهِ عَلَى لِسَانِ صَالِحٍ – عَلَيْهِ السَّلامُ– مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾[5] أَوْ شَأْنُ رَبِّهِمْ وَهُوَ دِينُهُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: وَصَدَرَ عُتُوُّهُمْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، كَأَنَّ أَمْرَ رَبِّهِمْ بِتَرْكِهَا كَانَ هُوَ السَّبَبَ فِي عُتُوِّهِمْ، وَنَحْوٌ عَنْ هَذِهِ مَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾[6].

﴿ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾[7]: أَرَادُوا مِنَ الْعَذَابِ، وَإِنَّمَا جَازَ الْإِطْلاقُ، لِأَنَّهُ كَانَ مَعْلُومًا، وَاسْتِعْجَالُهُمْ لَهُ لِتَكْذِيبِهِمْ بِهِ، وَلِذَلِكَ عَلَّقُوهُ بِمَا هُمْ بِهِ كَافِرُونَ، وَهُوَ كَوْنُهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ **الرَّجْفَةُ** : الصَّيْحَةُ الَّتِي زُلْزِلَتْ لَهَا الْأَرْضُ، وَاضْطَرَبُوا لَهَا.

﴿فِي دَارِهِمْ﴾[8]: فِي بِلادِهِمْ، أَوْ فِي مَسَاكِنِهِمْ.

﴿جَاثِمِينَ﴾[9]: هَامِدِينَ لا يَتَحَرَّكُونَ مَوْتَى، يُقَالُ: النَّاسُ جُثْمٌ، أَيْ: قُعُودٌ، لا حَرَاكَ بِهِمْ، وَلا يَنْبِسُونَ نُبْسَةً، وَمِنْهُ الْمُجَثِّمَةُ الَّتِي جَاءَ النَّهْيُ عَنْهَا، وَهِيَ الْبَهِيمَةُ تُرْبَطُ وَتُجْمَعُ قَوَائِمُهَا لِتُرْمَى.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية 13.
6 سُورَةُ الْكَهْفِ، الآية 82.
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
9 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَعَنْ جَابِرٍ: أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَمَّا مَرَّ بِالْحَجَرِ قَالَ: "لا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ، فَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمُ صَالِحٍ، فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ كَانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ" قَالُوا مَنْ هُوَ؟ قَالَ: ذَاكَ "أَبُو رِغَالٍ"، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ.

وَرُوِيَ: أَنَّ صَالِحًا كَانَ بَعَثَهُ إِلَى قَوْمٍ فَخَالَفَ أَمْرَهُ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ –عَلَيْهِ السَّلامُ– مَرَّ بِقَبْرِ "أَبِي رِغَالٍ"، فَقَالَ: "أَتَدْرُونَ مَنْ هَذَا"؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَذَكَرَ قِصَّةَ أَبِي رِغَالٍ، وَأَنَّهُ دُفِنَ هَهُنَا، وَدُفِنَ مَعَهُ غُصْنٌ مِنْ ذَهَبٍ"، فَابْتَدَرُوهُ، وَبَحَثُوا عَنْهُ بِأَسْيَافِهِمْ، فَاسْتَخْرَجُوا الْغُصْنَ.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾[1]: الظَّاهِرُ أَنَّهُ كَانَ مُشَاهِدًا لِمَا جَرَى عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ تَوَلَّى عَنْهُمْ بَعْدَمَا أَبْصَرَهُمْ جَاثِمِينَ، تَوَلِّيَ مُغْتَمٍّ مُتَحَسِّرٍ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ إِيمَانِهِمْ، يَتَحَزَّنُ لَهُمْ، وَيَقُولُ: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ﴾[2]: بَذَلْتُ فِيكُمْ وَسَعْيْتُ، وَلَمْ آلُ جُهْدًا فِي إِبْلاغِكُمْ، وَالنَّصِيحَةِ لَكُمْ، وَلَكِنَّكُمْ: ﴿لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[3].

وَيَجُوزُ أَنْ يَتَوَلَّى عَنْهُمْ تَوَلِّيَ ذَاهِبٍ عَنْهُمْ، مُنْكِرٍ لِإِصْرَارِهِمْ، حِينَ رَأَى الْعَلامَاتِ قَبْلَ نُزُولِ الْعَذَابِ، وَرَوَى أَنَّ عَقْرَهُمُ النَّاقَةَ كَانَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، وَنَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ يَوْمَ السَّبْتِ. وَرُوِيَ أَنَّهُ خَرَجَ فِي مِائَةٍ وَعَشَرَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ يَبْكِي، فَالْتَفَتَ فَرَأَى الدُّخَانَ سَاطِعًا، فَعَلِمَ أَنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا، وَكَانُوا أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةِ دَارٍ، وَرُوِيَ أَنَّهُ رَجَعَ بِمَنْ مَعَهُ فَسَكَنُوا دِيَارَهُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ صَحَّ خِطَابُ الْمَوْتَى وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[4]؟

قُلْتُ: قَدْ يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ مَيِّتٌ، وَكَانَ قَدْ نَصَحَهُ حَيًّا فَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ حَتَّى أَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي التَّهْلُكَةِ: يَا أَخِي، كَمْ نَصَحْتُكَ، وَكَمْ قُلْتُ لَكَ، فَلَمْ تَقْبَلْ مِنِّي؟

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[5]: حِكَايَةُ حَالٍ مَاضِيَةٍ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[1]

﴿وَلُوطًا﴾[2]: وَأَرْسَلْنَا لُوطًا.

وَ﴿إِذْ﴾[3]: ظَرْفٌ لِأَرْسَلْنَا، أَوْ "وَاذْكُرْ لُوطًا" وَ"إِذْ" بَدَلٌ مِنْهُ، بِمَعْنَى: وَاذْكُرْ وَقْتَ.

﴿قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾[4]: أَتَفْعَلُونَ السَّيِّئَةَ الْمُتَمَادِيَةَ فِي الْقُبْحِ؟!

﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا﴾[5]: مَا عَمِلَهَا قَبْلَكُمْ، وَالْبَاءُ لِلتَّعْدِيَةِ مِنْ قَوْلِكَ: سَبَقْتُهُ بِالْكُرَةِ، إِذَا ضَرَبْتَهَا قَبْلَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –عَلَيْهِ السَّلامُ–: "سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ".

﴿مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[6]: "مِنَ" الْأُولَى: زَائِدَةٌ، لِتَوْكِيدِ النَّفْيِ وَإِفَادَةِ مَعْنَى الاسْتِغْرَاقِ، وَالثَّانِيَةُ: لِلتَّبْعِيضِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَوْقِعُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ؟

قُلْتُ: هِيَ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ، أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ أَوَّلًا بِقَوْلِهِ: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾[7]، ثُمَّ وَبَّخَهُمْ عَلَيْهَا، فَقَالَ: أَنْتُمْ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَهَا، أَوْ عَلَى أَنَّهُ جَوَابٌ لِسُؤَالٍ مُقَدَّرٍ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: لِمَا لا تَأْتِيهَا؟ فَقَالَ: مَا سَبَقَكُمْ بِهَا أَحَدٌ، فَلا تَفْعَلُوا مَا لَمْ تُسْبَقُوا بِهِ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾[1] : بَيَانٌ لِقَوْلِهِ: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾[2]، وَالْهَمْزَةُ مِثْلُهَا فِي ﴿أَتَأْتُونَ﴾[3] لِلْإِنْكَارِ وَالتَّعْظِيمِ.

وَقُرِئَ: "إِنَّكُمْ"، عَلَى الْإِخْبَارِ الْمُسْتَأْنَفِ ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾[4]، مِنْ: أَتَى الْمَرْأَةَ إِذَا غَشِيَهَا.

﴿شَهْوَةً﴾[5]: مَفْعُولٌ لَهُ، أَيْ: لِلِاشْتِهَاءِ لا حَامِلَ لَكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا مُجَرَّدُ الشَّهْوَةِ مِنْ غَيْرِ دَاعٍ آخَرَ، وَلا ذَمَّ أَعْظَمُ مِنْهُ، لِأَنَّهُ وَصْفٌ لَهُمْ بِالْبَهِيمِيَّةِ، أَنَّهُ لا دَاعِيَ لَهُمْ مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ الْبَتَّةَ، كَطَلَبِ النَّسْلِ وَنَحْوِهُ، أَوْ حَالٌ بِمَعْنَى مُشْتَهِينَ تَابِعِينَ لِلشَّهْوَةِ، غَيْرَ مُلْتَفِتِينَ إِلَى السَّمَاجَةِ.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾[6] : أَضْرَبَ عَنِ الْإِنْكَارِ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنْهُمْ بِالْحَالِ الَّتِي تُوجِبُ ارْتِكَابَ الْقَبَائِحِ، وَتَدْعُو إِلَى اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، وَهُوَ أَنَّهُمْ قَوْمٌ عَادَتُهُمُ الْإِسْرَافُ وَتَجَاوُزُ الْحُدُودِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَمِنْ ثَمَّ أَسْرَفُوا فِي بَعْضِ قَضَاءِ الشَّهْوَةِ، حَتَّى تَجَاوَزُوا الْمُعْتَادَ إِلَى غَيْرِ الْمُعْتَادِ، وَنَحْوُهُ: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾[7].

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا﴾[8]، يَعْنِي: مَا أَجَابُوهُ بِمَا يَكُونُ جَوَابًا عَمَّا كَلَّمَهُمْ بِهِ لُوطٌ –عَلَيْهِ السَّلامُ– مِنْ إِنْكَارِ الْفَاحِشَةِ، وَتَعْظِيمِ أَمْرِهَا، وَوَسْمِهِمْ بِسِمَةِ الْإِسْرَافِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الشَّرِّ كُلِّهِ، لَكِنَّهُمْ جَاءُوا بِشَيْءٍ آخَرَ لا يَتَعَلَّقُ بِكَلامِهِ وَنَصِيحَتِهِ، مِنَ الْأَمْرِ بِإِخْرَاجِهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَرْيَتِهِمْ، ضَجَرًا بِهِمْ وَبِمَا يُسْمِعُونَهُمْ مِنْ وَعْظِهِمْ وَنُصْحِهِمْ، قَوْلُهُمْ: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[9]: سُخْرِيَةً بِهِمْ، وَبِتَطَهُّرِهِمْ مِنَ الْفَوَاحِشِ، وَافْتِخَارًا بِمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْقَذَارَةِ، كَمَا يَقُولُ الشُّطَّارُ مِنَ الْفَسَقَةِ لِبَعْضِ الصُّلَحَاءِ إِذَا وَعَظَهُمْ: أَبْعِدُوا عَنَّا هَذَا الْمُتَقَشِّفَ، وَأَرِيحُونَا مِنْ هَذَا الْمُتَزَهِّدَ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الشُّعَرَاءِ، الآية 16.

8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

9 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَأَهْلَهُ﴾[1]: وَمَنْ يَخْتَصُّ بِهِ مِنْ ذَوِيهِ أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[2]: مِنَ الَّذِينَ غَبَرُوا فِي دِيَارِهِمْ، أَيْ: بَقُوا فَهَلَكُوا، وَالتَّذْكِيرُ لِتَغْلِيبِ الذُّكُورِ عَلَى الْإِنَاثِ، وَكَانَتْ كَافِرَةً مُوَالِيَةً لِأَهْلُ سَدُومَ.

وَرُوِيَ: أَنَّهَا الْتَفَتَتْ فَأَصَابَهَا حَجَرٌ فَمَاتَتْ.

وَقِيلَ: كَانَتِ الْمُؤْتَفِكَةُ خَمْسَ مَدَائِنَ.

وَقِيلَ: كَانُوا أَرْبَعَةَ آلافٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ، فَأَمْطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْكِبْرِيتَ وَالنَّارَ.

وَقِيلَ: خَسَفَ بِالْمُقِيمِينَ مِنْهُمْ، وَأُمْطِرَتِ الْحِجَارَةُ عَلَى مُسَافِرِيهِمْ وَشُذَّاذِهِمْ.

وَقِيلَ: أُمْطِرَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ خُسِفَ بِهِمْ.

وَرُوِيَ: أَنَّ تَاجِرًا مِنْهُمْ كَانَ فِي الْحَرَمِ، فَوَقَفَ لَهُ الْحَجَرُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا حَتَّى قَضَى تِجَارَتَهُ، وَخَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ فَوَقَعَ عَلَيْهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ: فَرْقٍ بَيْنَ مَطَرَ وَأَمْطَرَ؟

قُلْتُ: يُقَالُ مَطَرَتْهُمُ السَّمَاءُ وَوَادٍ مَمْطُورٌ، وَفِي نَوَابِغِ الْكَلِمِ: حَرَى غَيْرُ مَمْطُورٍ، وَحَرِيٌّ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مَمْطُورٍ.

وَمَعْنَى ﴿مَطَرْنَاهُمْ﴾[3]: أَصَابَتْهُمُ الْمَطَرُ، كَقَوْلِهِمْ: غَاثَتْهُمْ، وَوَبِلَتْهُمْ، وَجَادَتْهُمْ، وَرَهَمَتْهُمْ، وَيُقَالُ: أَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ كَذَا، بِمَعْنَى أَرْسَلَتْهُ عَلَيْهِمْ إِرْسَالَ الْمَطَرِ، ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[4]، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾[5].

وَمَعْنَى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾[6] : وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ نَوْعًا مِنَ الْمَطَرِ عَجِيبًا، يَعْنِي: الْحِجَارَةَ.

أَلا تُرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾[7] ؟!

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْحِجْرِ، الآية 2.

5 سُورَةُ الْحِجْرِ، الآية 2.

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ النَّمْلِ، الآية 58.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[1]

كَانَ يُقَالُ لِشُعَيْبٍ –عَلَيْهِ السَّلامُ– خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ، لِحُسْنِ مُرَاجَعَتِهِ قَوْمَهُ، وَكَانُوا أَهْلَ بَخْسٍ لِلْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[2]: مُعْجِزَةٌ شَاهِدَةٌ بِصِحَّةِ نُبُوَّتِي أَوْجَبَتْ عَلَيْكُمُ الْإِيمَانَ بِي، وَالْأَخْذَ بِمَا آمُرُكُمْ بِهِ، وَالانْتِهَاءَ عَمَّا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ، فَأَوْفُوا وَلا تَبْخَسُوا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا كَانَتْ مُعْجِزَتُهُ؟

قُلْتُ: قَدْ وَقَعَ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ كَانَتْ لَهُ مُعْجِزَةٌ، لِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[3]، وَلِأَنَّهُ لا بُدَّ لِمُدَّعِي النُّبُوَّةِ مِنْ مُعْجِزَةٍ تَشْهَدُ لَهُ وَتُصَدِّقُهُ، وَإِلَّا لَمْ تَصِحَّ دَعْوَاهُ، وَكَانَ مُتَنَبِّئًا، لا نَبِيًّا، غَيْرَ أَنَّ مُعْجِزَتَهُ لَمْ تُذْكَرْ فِي الْقُرْآنِ، كَمَا لَمْ تُذْكَرْ أَكْثَرُ مُعْجِزَاتِ نَبِيِّنَا –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِيهِ.

وَمِنْ مُعْجِزَاتِ شُعَيْبٍ –عَلَيْهِ السَّلامُ–: مَا رُوِيَ مِنْ مُحَارَبَةِ عَصَى مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلامُ– التِّنِّينَ، حِينَ دَفَعَ إِلَيْهِ غَنَمَهُ، وَوِلادَةِ الْغَنَمِ الدِّرْعَ، خَاصَّةً حِينَ وَعَدَهُ أَنْ تَكُونَ لَهُ الدِّرْعُ مِنْ أَوْلادِهَا، وَوُقُوعِ عَصَى آدَمَ –عَلَيْهِ السَّلامُ– عَلَى يَدِهِ فِي الْمَرَّاتِ السَّبْعِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، لِأَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا كَانَتْ قَبْلَ أَنْ يُسْتَنْبَأَ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلامُ–، فَكَانَتْ مُعْجِزَاتٍ لِشُعَيْبٍ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قِيلَ: ﴿الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾[1]، وَهَلَّا قِيلَ: الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، كَمَا فِي سُورَةِ هُودٍ –عَلَيْهِ السَّلامُ–؟

قُلْتُ: أُرِيدَ بِالْكَيْلِ: آلَةُ الْكَيْلِ، وَهُوَ "الْمِكْيَالُ"، أَوْ سُمِّيَ مَا يُكَالُ بِهِ الْكَيْلَ، كَمَا قِيلَ: الْعَيْشُ، لِمَا يُعَاشُ بِهِ، أَوْ أُرِيدَ: فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَوَزْنَ الْمِيزَانِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمِيزَانُ كَالْمِيعَادِ وَالْمِيلادِ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ، وَيُقَالُ: بَخَسْتُهُ حَقَّهُ: إِذَا نَقَصْتَهُ إِيَّاهُ، وَمِنْهُ.

قِيلَ لِلْمَكْسِ: ﴿الْبَخْسُ﴾[2]، وَفِي أَمْثَالِهِمْ: تَحْسَبُهَا حَمْقَاءَ، وَهِيَ بَاخِسٌ.

وَقِيلَ: ﴿أَشْيَاءَهُمْ﴾[3]، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَبْخَسُونَ النَّاسَ كُلَّ شَيْءٍ فِي مُبَايَعَاتِهِمْ، أَوْ كَانُوا مِكَاسِينَ لا يَدَّعُونَ شَيْئًا، إِلَّا مَكَسُوهُ كَمَا يَفْعَلُ أُمَرَاءُ الْحَرَمَيْنِ.

وَرُوِيَ: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا دَخَلَ الْغَرِيبُ بَلَدَهُمْ أَخَذُوا دَرَاهِمَهُ الْجِيَادَ، وَقَالُوا: هِيَ زُيُوفٌ فَقَطَعُوهَا قِطَاعًا، ثُمَّ أَخَذُوهَا بِنُقْصَانٍ ظَاهِرٍ أَوْ أَعْطَوْهُ بَدَلَهَا زُيُوفًا.

﴿بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾[4]: بَعْدَ الْإِصْلاحِ فِيهَا، أَيْ: لا تُفْسِدُوا فِيهَا بَعْدَمَا أَصْلَحَ فِيهَا الصَّالِحُونَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمُ الْعَامِلِينَ بِشَرَائِعِهِمْ، وَإِضَافَتُهُ كَإِضَافَةِ قَوْلِهِ: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[5]، بِمَعْنَى: بَلْ مَكْرُكُمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَوْ بَعْدَ إِصْلاحِ أَهْلِهَا عَلَى الْمُضَافِ.

"ذَلِكُمْ": إِشَارَةٌ إِلَى مَا ذُكِرَ مِنَ الْوَفَاءِ بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ، وَتَرْكِ الْبَخْسِ، وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، أَوْ إِلَى الْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ.

وَمَعْنَى: ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾[6] يَعْنِي: فِي الْإِنْسَانِيَّةِ وَحُسْنِ الْأُحْدُوثَةِ، وَمَا تَطْلُبُونَهُ مِنَ التَّكَسُّبِ وَالتَّرَبُّحِ، لِأَنَّ النَّاسَ أَرْغَبُ فِي مُتَاجَرَتِكُمْ إِذَا عَرَفُوا مِنْكُمُ الْأَمَانَةَ وَالسَّوِيَّةَ.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[7]: إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ لِي فِي قَوْلِي ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ سَبَأٍ، الآية 33.

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾[1]: وَلا تَقْتَدُوا بِالشَّيْطَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[2]، فَتَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ، أَيْ: بِكُلِّ مِنْهَاجٍ مِنْ مَنَاهِجِ الدِّينِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالصِّرَاطِ سَبِيلُ الْحَقِّ قَوْلُهُ: ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[3].

وَمَحَلُّ ﴿تُوعَدُونَ﴾[4]، وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ: النَّصْبُ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: وَلا تَقْعُدُوا مُوعِدِينَ وَصَادِّينَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَبَاغِيهَا عِوَجًا.

فَإِنْ قُلْتَ: صِرَاطُ الْحَقِّ وَاحِدٌ، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[5]، فَكَيْفَ قِيلَ: بِكُلِّ صِرَاطٍ؟

قُلْتُ: صِرَاطُ الْحَقِّ وَاحِدٌ، وَلَكِنَّهُ يَتَشَعَّبُ إِلَى مَعَارِفَ، وَحُدُودٍ، وَأَحْكَامٍ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَكَانُوا إِذَا رَأَوْا أَحَدًا يَشْرَعُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا أَوْعَدُوهُ وَصَدُّوهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِلامَ يَرْجِعُ الضَّمِيرُ فِي ﴿آمَنَ بِهِ﴾[6]؟

قُلْتُ: إِلَى كُلِّ صِرَاطٍ، تَقْدِيرُهُ: تُوعِدُونَ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَتَصُدُّونَ عَنْهُ، فَوَضَعَ الظَّاهِرَ الَّذِي هُوَ سَبِيلُ اللَّهِ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ، زِيَادَةً فِي تَقْبِيحِ أَمْرِهِمْ، وَدَلالَةً عَلَى عِظَمِ مَا يَصُدُّونَ عَنْهُ.

وَقِيلَ: كَانُوا يَجْلِسُونَ عَلَى الطُّرُقِ وَالْمَرَاصِدِ، فَيَقُولُونَ لِمَنْ مَرَّ بِهِمْ: إِنَّ شُعَيْبًا كَذَّابٌ، فَلا يَفْتِنَنَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ قُرَيْشٌ بِمَكَّةَ.

وَقِيلَ: كَانُوا يَقْطَعُونَ الطُّرُقَ.

وَقِيلَ: كَانُوا عَشَّارِينَ ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾[7]: وَتَطْلُبُونَ لِسَبِيلِ اللَّهِ عِوَجًا، أَيْ: تَصِفُونَهَا لِلنَّاسِ بِأَنَّهَا سَبِيلٌ مُعْوَجَّةٌ غَيْرُ مُسْتَقِيمَةٍ، لِتَصُدُّوهُمْ عَنْ سُلُوكِهَا وَالدُّخُولِ فِيهَا، أَوْ يَكُونُ تَهَكُّمًا بِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ لَهَا مَا هُوَ مُحَالٌ، لِأَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ لا يَعْوَجُّ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَنْعَامِ، الآية 153.
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً﴾[1]: إِذْ مَفْعُولٌ بِهِ غَيْرَ ظَرْفٍ، أَيْ: وَاذْكُرُوا عَلَى جِهَةِ الشُّكْرِ وَقْتَ كَوْنِكُمْ قَلِيلًا عَدَدُكُمْ.

﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾[2]: اللَّهُ، وَوَفَّرَ عَدَدَكُمْ.

قِيلَ: إِنَّ مَدْيَنَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ تَزَوَّجَ بِنْتَ لُوطٍ، فَوَلَدَتْ، فَرَمَى اللَّهُ فِي نَسْلِهَا بِالْبَرَكَةِ، وَالنَّمَاءِ، فَكَثُرُوا وَفَشَوْا، وَيَجُوزُ إِذْ كُنْتُمْ مُقِلِّينَ فُقَرَاءَ فَكَثَّرَكُمْ، فَجَعَلَكُمْ مُكْثِرِينَ مُوسِرِينَ، أَوْ كُنْتُمْ أَقِلَّةً أَذِلَّةً، فَأَعَزَّكُمْ بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ وَالْعُدَدِ.

﴿عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[3]: آخِرُ أَمْرِ مَنْ أَفْسَدَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ، كَقَوْمِ نُوحٍ، وَهُودٍ، وَصَالِحٍ، وَلُوطٍ، وَكَانُوا قَرِيبِي الْعَهْدِ مِمَّا أَصَابَ الْمُؤْتَفِكَةُ.

فَاصْبِرُوا: فَتَرَبَّصُوا وَانْتَظِرُوا.

﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾[4]، أَيْ: بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، بِأَنْ يَنْصُرَ الْمُحِقِّينَ عَلَى الْمُبْطِلِينَ، وَيُظْهِرَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا وَعِيدٌ لِلْكَافِرِينَ بِانْتِقَامِ اللَّهِ مِنْهُمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾[5] أَوْ هُوَ عِظَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَحَثٌّ عَلَى الصَّبْرِ، وَاحْتِمَالُ مَا كَانَ يَلْحَقُهُمْ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَنْ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَيَنْتَقِمَ لَهُمْ مِنْهُمْ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خِطَابًا لِلْفَرِيقَيْنِ، أَيْ: لِيَصْبِرِ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَذَى الْكُفَّارِ، وَلِيَصْبِرِ الْكُفَّارُ عَلَى مَا يَسُوءُهُمْ مِنْ إِيمَانِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ، فَيَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[6]، لِأَنَّ حُكْمَهُ حَقٌّ وَعَدْلٌ، لا يُخَافُ فِيهِ الْحَيْفُ.

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾[1]

أَيْ: لَيَكُونَنَّ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ: إِمَّا إِخْرَاجُكُمْ، وَإِمَّا عَوْدُكُمْ فِي الْكُفْرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ خَاطَبُوا شُعَيْبًا –عَلَيْهِ السَّلامُ– بِالْعَوْدِ فِي الْكُفْرِ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[2] ، وَكَيْفَ أَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾[3]، وَالْأَنْبِيَاءُ –عَلَيْهِمُ السَّلامُ– لا يَجُوزُ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّغَائِرِ إِلَّا مَا لَيْسَ فِيهِ تَنْفِيرٌ، فَضْلًا عَنِ الْكَبَائِرِ، فَضْلًا عَنِ الْكُفْرِ؟

قُلْتُ: لَمَّا قَالُوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ﴾[4] ، فَعَطَفُوا عَلَى ضَمِيرِهِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْإِيمَانِ مِنْهُمْ بَعْدَ كُفْرِهِمْ، قَالُوا: لَتَعُودُنَّ، فَغَلَّبُوا الْجَمَاعَةَ عَلَى الْوَاحِدِ، فَجَعَلُوهُمْ عَائِدِينَ جَمِيعًا، إِجْرَاءً لِلْكَلامِ عَلَى حُكْمِ التَّغْلِيبِ.

وَعَلَى ذَلِكَ أَجْرَى شُعَيْبٌ –عَلَيْهِ السَّلامُ– جَوَابَهُ، فَقَالَ: إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا، وَهُوَ يُرِيدُ عَوْدَ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ نَظَّمَ نَفْسَهُ فِي جَمَّلَتِهِمْ، وَإِنْ كَانَ بَرِيئًا مِنْ ذَلِكَ، إِجْرَاءً لِكَلامِهِ عَلَى حُكْمِ التَّغْلِيبِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[5]، وَاللَّهُ –تَعَالَى– مُتَعَالٍ أَنْ يَشَاءَ رِدَّةَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَوْدَهُمْ فِي الْكُفْرِ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ خِذْلانَنَا وَمَنْعَنَا الْأَلْطَافَ، لِعِلْمِهِ أَنَّهَا لا تَنْفَعُ فِينَا، وَتَكُونُ عَبَثًا، وَالْعَبَثُ: قَبِيحٌ لا يَفْعَلُهُ الْحَكِيمُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[6]، أَيْ: هُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ مِمَّا كَانَ وَمَا يَكُونُ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَحْوَالَ عِبَادِهِ كَيْفَ تَتَحَوَّلُ، وَقُلُوبَهُمْ كَيْفَ تَتَقَلَّبُ، وَكَيْفَ تَقْسُو بَعْدَ الرِّقَّةِ، وَتَمْرَضُ بَعْدَ الصِّحَّةِ، وَتَرْجِعُ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾[1]: فِي أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيُوَفِّقَنَا لِازْدِيَادِ الْإِيقَانِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[2]: حَسْمًا لِطَمَعِهِمْ فِي الْعَوْدِ، لِأَنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ لِعَوْدِهِمْ فِي الْكُفْرِ مُحَالٌ خَارِجٌ عَنِ الْحِكْمَةِ.

﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾[3]: الْهَمْزَةُ: لِلِاسْتِفْهَامِ، وَالْوَاوُ: وَاوُ الْحَالِ، تَقْدِيرُهُ: أَتُعِيدُونَنَا فِي مِلَّتِكُمْ فِي حَالِ كَرَاهَتِنَا، وَمَعَ كَوْنِنَا كَارِهِينَ، وَمَا يَكُونُ لَنَا، وَمَا يَنْبَغِي لَنَا، وَمَا يَصِحُّ لَنَا.

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا﴾[4]: احْكُمْ بَيْنَنَا، وَ"الْفَتَّاحَةُ": الْحُكُومَةُ، أَوْ أَظْهِرْ أَمْرَنَا حَتَّى يَتَفَتَّحَ مَا بَيْنَنَا.

﴿وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾[5]: وَيَنْكَشِفَ بِأَنْ تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ عَذَابًا يَتَبَيَّنُ مَعَهُ أَنَّهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾[6]، كَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[7].

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ أُسْلُوبُ قَوْلِهِ: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾[8]؟

قُلْتُ: هُوَ إِخْبَارٌ مُقَيَّدٌ بِالشَّرْطِ، وَفِيهِ وَجْهَانِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ كَلامًا مُسْتَأْنَفًا فِيهِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: مَا أَكْذَبَنَا عَلَى اللَّهِ أَنْ عُدْنَا فِي الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلامِ، لِأَنَّ الْمُرْتَدَّ أَبْلَغُ فِي الافْتِرَاءِ مِنَ الْكَافِرِ، لِأَنَّ الْكَافِرَ مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، حَيْثُ يَزْعُمُ أَنَّ لِلَّهِ نِدًّا وَلا نِدَّ لَهُ، وَالْمُرْتَدُّ مِثْلُهُ فِي ذَلِكَ وَزَائِدٌ عَلَيْهِ، حَيْثُ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ تَبَيَّنَ لَهُ مَا خَفِيَ عَلَيْهِ مِنَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

– وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ قَسَمًا عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ اللَّامِ، بِمَعْنَى: وَاللَّهِ لَقَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ يُوسُفَ، الآية 80.

8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾[1]

﴿وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾، أَيْ: أَشْرَافُهُمْ لِلَّذِينِ دُونَهُمْ يُثَبِّطُونَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ.

﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾[2]: لِاسْتِبْدَالِكُمُ الضَّلالَةَ بِالْهُدَى، كَقَوْلِهِ – تَعَالَى–: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾[3].

وَقِيلَ: تَخْسَرُونَ بِاتِّبَاعِهِ فَوَائِدَ الْبَخْسِ وَالتَّطْفِيفِ، لِأَنَّهُ يَنْهَاكُمْ عَنْهُمَا، وَيَحْمِلُكُمْ عَلَى الْإِيفَاءِ وَالتَّسْوِيَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا جَوَابُ الْقَسَمِ الَّذِي وَطَّأَتْهُ اللَّامُ فِي: ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾[4]، وَجَوَابُ الشَّرْطِ؟

قُلْتُ: قَوْلُهُ: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾[5]، سَادٌّ مَسَدَّ الْجَوَابَيْنِ.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا ﴾[6]: مُبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾[7]، وَكَذَلِكَ: ﴿كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾[8].

وَفِي هَذَا الابْتِدَاءِ مَعْنَى الاخْتِصَاصِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: الَّذِينَ اتَّبَعُوا شُعَيْبًا قَدْ أَنْجَاهُمُ اللَّهُ، الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا هُمُ الْمَخْصُوصُونَ بِأَنْ أُهْلِكُوا وَاسْتُؤْصِلُوا، كَأَنْ لَمْ يُقِيمُوا فِي دَارِهِمْ، لِأَنَّ الَّذِينَ اتَّبَعُوا شُعَيْبًا قَدْ أَنْجَاهُمُ اللَّهُ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الآية 16.
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا﴾[1] هُمُ الْمَخْصُوصُونَ بِالْخُسْرَانِ الْعَظِيمِ، دُونَ أَتْبَاعِهِ، فَإِنَّهُمُ الرَّابِحُونَ.

وَفِي هَذَا الاسْتِئْنَافِ وَالابْتِدَاءِ وَهَذَا التَّكْرِيرِ: مُبَالَغَةٌ فِي رَدِّ مُقَالَةِ الْمَلَإِ لِأَشْيَاعِهِمْ، وَتَسْفِيهٌ لِرَأْيِهِمْ، وَاسْتِهْزَاءٌ بِنُصْحِهِمْ لِقَوْمِهِمْ، وَاسْتِعْظَامٌ لِمَا جَرَى عَلَيْهِمْ.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾[2]

الْأَسَى: شِدَّةُ الْحُزْنِ.

قَالَ الْعَجَّاجُ:

وَانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ مِنْ فَرَطِ الْأَسَى

اشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَى قَوْمِهِ، ثُمَّ أَنْكَرَ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ: فَكَيْفَ يَشْتَدُّ حُزْنِي عَلَى قَوْمٍ لَيْسُوا بِأَهْلٍ لِلْحُزْنِ عَلَيْهِمْ، لِكُفْرِهِمْ، وَاسْتِحْقَاقِهِمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ: لَقَدْ أُعْذِرْتُ إِلَيْكُمْ فِي الْإِبْلاغِ، وَالنَّصِيحَةِ، وَالتَّحْذِيرِ مِمَّا حَلَّ بِكُمْ، فَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلِي، وَلَمْ تُصَدِّقُونِي، فَكَيْفَ آسِي عَلَيْكُمْ؟ يَعْنِي: أَنَّهُ لا يَأْسَى عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا أَحِقَّاءَ بِالْأَسَى.

وَقَرَأَ يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ: "فَكَيْفَ إِيسَى"، بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[3]

﴿إِلاّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾[4]: بِالْبُؤْسِ وَالْفَقْرِ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَالضَّرَّاءِ﴾[1]: بِالضُّرِّ، وَالْمَرَضِ، لِاسْتِكْبَارِهِمْ عَنِ اتِّبَاعِ نَبِيِّهِمْ، وَتَعَزُّزِهِمْ عَلَيْهِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾[2]: لِيَتَضَرَّعُوا، وَيَتَذَلَّلُوا، وَيَخْطُّوا أَرْدِيَةَ الْكِبْرِ وَالْعِزَّةِ.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾[3]، أَيْ: أَعْطَيْنَاهُمْ بَدَلَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ، وَالْمِحْنَةِ، وَالرَّخَاءِ، وَالصِّحَّةِ، وَالسِّعَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾[4].

﴿حَتَّى عَفَوْا﴾[5]: كَثُرُوا وَنَمَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، مِنْ قَوْلِهِمْ: عَفَا النَّبَاتُ، وَعَفَا الشَّحْمُ وَالْوَبَرُ: إِذَا كَثُرَتْ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "وَأَعْفُوا عَنِ اللِّحَى".

وَقَالَ الْحُطَيْئَةُ:

بِمُسْتَأْسِدِ الْقِرْيَانِ عَافَ نَبَاتُهُ.....

وَقَالَ:

وَلَكِنَّا نَعُضُّ السَّيْفَ مِنْهَا بِأَسْوَقَ عَافِيَاتِ الشَّحْمِ كُومِ

﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾[6]، يَعْنِي: وَأَبْطَرَتْهُمُ النِّعْمَةُ، وَأَشَرُوا، فَقَالُوا: هَذِهِ عَادَةُ الدَّهْرِ، يُعَاقَبُ فِي النَّاسِ بَيْنَ الضَّرَّاءِ وَالسَّرَّاءِ، وَقَدْ مَسَّ آبَاؤُنَا نَحْوَ ذَلِكَ، وَمَا هُوَ بِابْتِلَاءٍ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، فَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ ابْتِلَائِهِمْ بِالسَّيِّئَاتِ وَالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْ نَأْخُذَهُمْ بِالْعَذَابِ.

﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾[7]: أَشَدَّ الْأَخْذِ وَأَفْظَعَهُ، وَهُوَ أَخْذُهُمْ فَجْأَةً مِنْ غَيْرِ شُعُورٍ مِنْهُمْ.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[8]

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية 168.

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

اللَّامُ فِي الْقُرَى: إِشَارَةٌ إِلَى الْقُرَى الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ﴾[1]، كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ تِلْكَ الْقُرَى الَّذِينَ كَذَّبُوا وَأُهْلِكُوا، ﴿آمَنُوا﴾[2]: بَدَلَ كُفْرِهِمْ، ﴿وَاتَّقَوْا﴾[3] الْمَعَاصِي مَكَانَ ارْتِكَابِهَا.

﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[4]: لَآتَيْنَاهُمْ بِالْخَيْرِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَقِيلَ: أَرَادَ الْمَطَرَ وَالنَّبَاتَ.

﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ﴾[5]: بِسُوءِ كَسْبِهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ اللَّامُ فِي الْقُرَى لِلْجِنْسِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى فَتْحِ الْبَرَكَاتِ عَلَيْهِمْ؟

قُلْتُ: تَيْسِيرُهَا عَلَيْهِمْ كَمَا يُيَسِّرُ أَمْرَ الْأَبْوَابِ الْمُسْتَغْلَقَةِ بِفَتْحِهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: فَتَحْتُ عَلَى الْقَارِئِ، إِذَا تَعَذَّرَتْ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ فَيَسَّرْتُهَا عَلَيْهِ بِالتَّلْقِينِ.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[6]

"الْبَيَاتُ": يَكُونُ بِمَعْنَى الْبَيْتُوتَةِ، يُقَالُ: بَاتَ بَيَاتًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[7]، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى التَّبْيِيتِ، كَالسَّلَامِ بِمَعْنَى التَّسْلِيمِ، يُقَالُ: بَيَّتَهُ الْعَدُوُّ بَيَاتًا.

فَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَائِتِينَ، أَوْ وَقْتَ بَيَاتٍ، أَوْ مُبَيِّتًا، أَوْ مُبَيِّتِينَ، أَوْ يَكُونُ بِمَعْنَى تَبْيِيتًا، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَنْ يُبَيِّتَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية 94.

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية 4.

وَ﴿ضُحًى﴾[1]: نُصِبَ عَلَى الظَّرْفِ، يُقَالُ: أَتَانَا ضُحًى، وَضَحْيًا، وَضِحَاءً.

وَالضُّحَى -فِي الْأَصْلِ-: اسْمٌ لِضَوْءِ الشَّمْسِ إِذَا أَشْرَقَتْ، وَارْتَفَعَتْ، وَالْفَاءُ وَالْوَاوُ فِي ﴿أَفَأَمِنَ﴾[2].

وَ﴿أَوَأَمِنَ﴾[3]: حَرْفَا عَطْفٍ دَخَلَتْ عَلَيْهِمَا هَمْزَةُ الْإِنْكَارِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ؟ وَلِمَ عُطِفَتِ الْأُولَى بِالْفَاءِ وَالثَّانِيَةُ بِالْوَاوِ؟

قُلْتُ: الْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾[4].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى إِلَى يَكْسِبُونَ﴾[5] وَقَعَ اعْتِرَاضًا بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ.

وَإِنَّمَا عُطِفَ بِالْفَاءِ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: فَعَلُوا، وَصَنَعُوا، فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً، أَبَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا، وَأَمِنُوا أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى؟

وَقُرِئَ: "أَوْ أَمِنَ" عَلَى الْعَطْفِ بِـ "أَوْ".

﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[6]: يَشْتَغِلُونَ بِمَا لا يُجْدِي عَلَيْهِمْ كَأَنَّهُمْ يَلْعَبُونَ.

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ
إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[7]

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ رَجَعَ فَعَطَفَ بِالْفَاءِ قَوْلَهُ: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾[8]؟

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

قُلْتُ: هُوَ تَكْرِيرٌ لِقَوْلِهِ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾[1]، وَمَكْرُ اللَّهِ: اسْتِعَارَةٌ لِأَخْذِهِ الْعَبْدَ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُ، وَلِاسْتِدْرَاجِهِ؛ فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ فِي خَوْفِهِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، كَالْمُحَارِبِ الَّذِي يَخَافُ مِنْ عَدُوِّهِ الْكَمِينِ، وَالْبَيَاتِ، وَالْغِيلَةِ.

وَعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، أَنَّ ابْنَتَهُ قَالَتْ لَهُ: مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَنَامُونَ، وَلا أَرَاكَ تَنَامُ، فَقَالَ: يَا بِنْتَاهُ، إِنَّ أَبَاكِ يَخَافُ الْبَيَاتَ، أَرَادَ قَوْلَهُ: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا﴾[2].

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾[3]

إِذَا قُرِئَ: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾[4] بِالْيَاءِ، كَانَ ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ﴾[5]: مَرْفُوعًا بِأَنَّهُ فَاعِلُهُ، بِمَعْنَى: أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَخْلُفُونَ مَنْ خَلا قَبْلَهُمْ فِي دِيَارِهِمْ، وَيَرِثُونَ أَرْضَهُمْ هَذَا الشَّأْنُ، وَهُوَ أَنَّا لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، كَمَا أَصَبْنَا مَنْ قَبْلَهُمْ، وَأَهْلَكْنَا الْوَارِثِينَ كَمَا أَهْلَكْنَا الْمُوَرِّثِينَ.

وَإِذَا قُرِئَ بِالنُّونِ، فَهُوَ مَنْصُوبٌ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَوَلَمْ يَهْدِ اللَّهُ لِلْوَارِثِينَ هَذَا الشَّأْنَ، بِمَعْنَى: أَوَلَمْ نُبَيِّنْ لَهُمْ أَنَّا ﴿لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾[6]: كَمَا أَصَبْنَا مَنْ قَبْلَهُمْ، وَإِنَّمَا عَدَّى فِعْلَ الْهِدَايَةِ بِاللَّامِ، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى التَّبْيِينِ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ تَعَلَّقَ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[7]؟

قُلْتُ: فِيهِ أَوْجُهٌ: أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ مَعْنَى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾[8]، كَأَنَّهُ قِيلَ: يَغْفُلُونَ عَنِ الْهِدَايَةِ، وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، أَوْ عَلَى يَرِثُونَ الْأَرْضَ، أَوْ يَكُونُ مُنْقَطِعًا بِمَعْنَى: وَنَحْنُ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية 197.

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ: ﴿وَنَطْبَعُ﴾[1] بِمَعْنَى "وَطَبَعْنَا"، كَمَا: ﴿لَوْ نَشَاءُ﴾[2] بِمَعْنَى: لَوْ شِئْنَا، وَيُعْطَفُ عَلَى أَصَبْنَاهُمْ؟

قُلْتُ: لا يُسَاعِدُ عَلَيْهِ الْمَعْنَى، لِأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا مَطْبُوعًا عَلَى قُلُوبِهِمْ، مَوْصُوفِينَ بِصِفَةِ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنِ اقْتِرَافِ الذُّنُوبِ وَالْإِصَابَةِ بِهَا، وَهَذَا التَّفْسِيرُ يُؤَدِّي إِلَى خُلُوِّهِمْ عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– لَوْ شَاءَ لاتَّصَفُوا بِهَا.

﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾[3]

﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا﴾[4]، كَقَوْلِهِ: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾[5] فِي أَنَّهُ مُبْتَدَأٌ، وَخَبَرٌ، وَحَالٌ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ: ﴿الْقُرَى﴾[6]: صِفَةً لِـ ﴿تِلْكَ﴾[7]، وَ﴿نَقُصُّ﴾[8]: خَبَرًا، وَأَنْ يَكُونَ: ﴿الْقُرَى نَقُصُّ﴾[9]: خَبَرًا بَعْدَ خَبَرٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾[10] حَتَّى يَكُونَ كَلامًا مُفِيدًا؟

قُلْتُ: هُوَ مُفِيدٌ، وَلَكِنْ بِشَرْطِ التَّقْيِيدِ بِالْحَالِ، كَمَا يُفِيدُ بِشَرْطِ التَّقْيِيدِ بِالصِّفَةِ فِي قَوْلِكَ: هُوَ الرَّجُلُ الْكَرِيمُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى الْإِخْبَارِ عَنِ الْقُرَى بِنَقْصِ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا؟

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ هُودٍ، الآية 72.

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[8] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[9] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[10] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: أَنَّ تِلْكَ الْقُرَى الْمَذْكُورَةَ نَقُصُّ عَلَيْكَ بَعْضَ أَنْبَائِهَا، وَلَهَا أَنْبَاءٌ غَيْرُهَا لَمْ نَقُصَّهَا عَلَيْكَ.

﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾[1]، عِنْدَ مَجِيءِ الرُّسُلِ بِالْبَيِّنَاتِ بِمَا كَذَّبُوهُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ مَجِيءِ الرُّسُلِ، أَوْ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَى آخِرِ أَعْمَارِهِمْ بِمَا كَذَّبُوا بِهِ أَوَّلًا حِينَ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ، أَيِ: اسْتَمَرُّوا عَلَى التَّكْذِيبِ مِنْ لَدُنْ مَجِيءِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ إِلَى أَنْ مَاتُوا مُصِرِّينَ، لا يَرْعَوُونَ وَلا تَلِينُ شَكِيمَتُهُمْ فِي كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ مَعَ تَكْرَارِ الْمَوَاعِظِ عَلَيْهِمْ، وَتَتَابُعِ الْآيَاتِ.

وَمَعْنَى اللَّامِ: تَأْكِيدُ النَّفْيِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ كَانَ مُنَافِيًا لِحَالِهِمْ فِي التَّصْمِيمِ عَلَى الْكُفْرِ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: هُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[2].

﴿كَذَلِكَ﴾[3]: مِثْلُ ذَلِكَ الطَّبْعِ الشَّدِيدِ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾[4]

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾[5]: الضَّمِيرُ لِلنَّاسِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، أَيْ: وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِ النَّاسِ مِنْ عَهْدٍ، يَعْنِي: أَنَّ أَكْثَرَهُمْ نَقَضَ عَهْدَ اللَّهِ، وَمِيثَاقَهُ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى.

﴿وَإِنْ وَجَدْنَا﴾: وَإِنَّ الشَّأْنَ وَالْحَدِيثَ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ فَاسِقِينَ، خَارِجِينَ عَنِ الطَّاعَةِ مَارِقِينَ، وَالْآيَةُ: اعْتِرَاضٌ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْأُمَمِ الْمَذْكُورِينَ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا عَاهَدُوا اللَّهَ فِي ضُرٍّ وَمَخَافَةٍ، لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا لَنُؤْمِنَنَّ، ثُمَّ نَجَّاهُمْ نَكَثُوا، كَمَا قَالَ قَوْمُ فِرْعَوْنَ لِمُوسَى –عَلَيْهِ السَّلامُ– : ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾[6]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾[7]، وَالْوُجُودُ بِمَعْنَى:

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْعَامِ، الآية 28.

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

الْعِلْمِ مِنْ قَوْلِكَ: وَجَدْتُ زَيْدًا ذَا الْحِفَاظِ، بِدَلِيلِ دُخُولِ "إِنِ" الْمُخَفَّفَةِ، وَاللَّامِ الْفَارِقَةِ، وَلا يُسَوَّغُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، وَالْأَفْعَالِ الدَّاخِلَةِ عَلَيْهِمَا.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[1]

﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾[2]: الضَّمِيرُ لِلرُّسُلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾[3]، أَوْ لِلْأُمَمِ.

﴿فَظَلَمُوا﴾[4]: فَكَفَرُوا بِآيَاتِنَا، أَجْرَى الظُّلْمَ مَجْرَى الْكُفْرِ، لِأَنَّهُمَا مِنْ وَادٍ وَاحِدٍ ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[5]، أَوْ فَظَلَمُوا النَّاسَ بِسَبَبِهَا حِينَ أَوْعَدُوهُمْ وَصَدُّوهُمْ عَنْهَا، وَآذَوْا مَنْ آمَنَ بِهَا، وَلِأَنَّهُ إِذَا وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا، فَكَفَرُوا بَدَلَ الْإِيمَانِ، كَانَ كُفْرُهُمْ بِهَا ظُلْمًا.

فَلِذَلِكَ قِيلَ: فَظَلَمُوا بِهَا، أَيْ: كَفَرُوا بِهَا وَاضِعِينَ الْكُفْرَ غَيْرَ مَوْضِعِهِ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْإِيمَانِ، يُقَالُ لِمُلُوكِ مِصْرَ: "الْفَرَاعِنَةِ"، كَمَا يُقَالُ لِمُلُوكِ فَارِسَ: "الْأَكَاسِرَةِ"، فَكَأَنَّهُ قَالَ: يَا مَلِكَ مِصْرَ، وَكَانَ اسْمُهُ "قَابُوسَ"، وَقِيلَ: "الْوَلِيدَ بْنَ مُصْعَبِ بْنِ الرَّيَّانِ".

﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ﴾[6]: فِيهِ أَرْبَعُ قِرَاءَاتٍ، الْمَشْهُورَةُ: "وَحَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لا أَقُولَ"، وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ، "وَحَقِيقٌ أَنْ لا أَقُولَ"، وَهِيَ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ، وَ"حَقِيقٌ بِأَنْ لا أَقُولَ"، وَهِيَ قِرَاءَةُ أُبَيٍّ، وَفِي الْمَشْهُورَةِ إِشْكَالٌ، وَلا تَخْلُو مِنْ وُجُوهٍ:

– أَحَدُهَا: أَنْ تَكُونَ مِمَّا يُقْلَبُ مِنَ الْكَلامِ لِأَمْنِ الْإِلْبَاسِ، كَقَوْلِهِ:

.....وَتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضَّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ

---

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية 135.

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية 101.

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ لُقْمَانَ، الآية 13.

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَمَعْنَاهُ: وَتَشْقَى الضَّيَاطِرَةُ بِالرِّمَاحِ، "وَحَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لا أَقُولُ"، وَهِيَ قِرَاءَةٌ نَافِعٍ.

– وَالثَّانِي: أَنَّ مَا لَزِمَكَ فَقَدْ لَزِمْتَهُ، فَلَمَّا كَانَ قَوْلُ الْحَقِّ حَقِيقًا عَلَيْهِ، كَانَ هُوَ حَقِيقًا عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ، أَيْ: لازِمًا لَهُ.

– وَالثَّالِثُ: أَنْ يَضْمَنَ: ﴿حَقِيقٌ﴾[1] مَعْنَى حَرِيصٍ، كَمَا ضَمِنَ: ﴿هَيَّجَنِي﴾[2] مَعْنَى ذَكَّرَنِي فِي بَيْتِ الْكِتَابِ.

– وَالرَّابِعُ –وَهُوَ الْأَوْجَهُ– الْأَدْخَلُ فِي نُكَتِ الْقُرْآنِ: أَنْ يَغْرَقَ مُوسَى فِي وَصْفِ نَفْسِهِ بِالصِّدْقِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ، لا سِيَّمَا وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ فِرْعَوْنَ قَالَ لَهُ لَمَّا قَالَ: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3]، كَذَبْتَ، فَيَقُولُ: أَنَا حَقِيقٌ عَلَيَّ قَوْلُ الْحَقِّ، أَيْ: وَاجِبٌ عَلَيَّ قَوْلُ الْحَقِّ أَنْ أَكُونَ أَنَا قَائِلُهُ، وَالْقَائِمُ بِهِ، وَلا يَرْضَى إِلَّا بِمِثْلِي نَاطِقًا بِهِ.

﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[4]: فَخَلِّهِمْ حَتَّى يَذْهَبُوا مَعِي، رَاجِعِينَ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي هِيَ وَطَنُهُمْ وَمَوْلِدُ آبَائِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ يُوسُفَ –عَلَيْهِ السَّلامُ– لَمَّا تُوُفِّيَ، وَانْقَرَضَتِ الْأَسْبَاطُ، غَلَبَ فِرْعَوْنُ نَسْلَهُمْ، وَاسْتَعْبَدَهُمْ، فَأَنْقَذَهُمُ اللَّهُ بِمُوسَى –عَلَيْهِ السَّلامُ–، وَكَانَ بَيْنَ الْيَوْمِ الَّذِي دَخَلَ يُوسُفُ مِصْرَ وَالْيَوْمِ الَّذِي دَخَلَهُ مُوسَى أَرْبَعُمِائَةِ عَامٍ.

﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾[5]

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قَالَ لَهُ: ﴿فَأْتِ بِهَا﴾[6] بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾[7]؟

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

قُلْتُ: مَعْنَاهُ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ مِنْ عِنْدِ مَنْ أَرْسَلَكَ بِآيَةٍ، فَأْتِنِي بِهَا، وَأَحْضِرْهَا عِنْدِي، لِتَصِحَّ دَعْوَاكَ، وَيَثْبُتَ صِدْقُكَ.

﴿ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾[1]: ظَاهِرُ أَمْرِهِ لا يُشَكُّ فِي أَنَّهُ ثُعْبَانٌ، وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ ثُعْبَانًا ذَكَرًا، أَشْعَرَ، فَاغِرًا فَاهُ، بَيْنَ لَحْيَيْهِ ثَمَانُونَ ذِرَاعًا، وَضَعَ لَحْيَهُ الْأَسْفَلَ فِي الْأَرْضِ، وَلَحْيَهُ الْأَعْلَى عَلَى سُورِ الْقَصْرِ، ثُمَّ تَوَجَّهَ نَحْوَ فِرْعَوْنَ لِيَأْخُذَهُ، فَوَثَبَ فِرْعَوْنُ مِنْ سَرِيرِهِ، وَهَرَبَ، وَأَحْدَثَ، وَلَمْ يَكُنْ أَحْدَثَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَهَرَبَ النَّاسُ وَصَاحُوا، وَحَمَلَ عَلَى النَّاسِ، فَانْهَزَمُوا، فَمَاتَ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، قَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَدَخَلَ فِرْعَوْنُ الْبَيْتَ، وَصَاحَ: يَا مُوسَى، خُذْهُ، وَأَنَا أُومِنُ بِكَ، وَأُرْسِلُ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَخَذَهُ مُوسَى فَعَادَ عَصًى.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ يَتَعَلَّقُ: ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾[2]؟

قُلْتُ: يَتَعَلَّقُ بِـ ﴿بَيْضَاءُ﴾[3]، وَالْمَعْنَى: فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَّارَةِ، وَلا تَكُونُ بَيْضَاءَ لِلنَّظَّارَةِ إِلَّا إِذَا كَانَ بَيَاضًا عَجِيبًا، خَارِجًا عَنِ الْعَادَةِ، يَجْتَمِعُ النَّاسُ لِلنَّظَرِ إِلَيْهِ، كَمَا تَجْتَمِعُ النَّظَّارَةُ لِلْعَجَائِبِ.

وَذَلِكَ مَا يُرْوَى: أَنَّهُ أَرَى فِرْعَوْنَ يَدَهُ وَقَالَ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: يَدُكَ، ثُمَّ أَدْخَلَهَا جَيْبَهُ، وَعَلَيْهِ مَدْرَعَةُ صُوفٍ وَنَزَعَهَا، فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ بَيَاضًا نُورَانِيًّا، غَلَبَ شُعَاعُهَا شُعَاعَ الشَّمْسِ، وَكَانَ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلامُ– آدَمَ شَدِيدَ الْأُدْمَةِ.

﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾[4]

﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾[5]، أَيْ: عَالِمٌ بِالسِّحْرِ، مَاهِرٌ فِيهِ، قَدْ أَخَذَ عُيُونَ النَّاسِ بِخُدْعَةٍ مِنْ خُدَعِهِ، حَتَّى خَيَّلَ إِلَيْهِمُ الْعَصَى حَيَّةً، وَالْآدَمَ أَبْيَضَ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ عَزَى هَذَا الْكَلامُ إِلَى فِرْعَوْنَ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ، وَأَنَّهُ قَالَهُ لِلْمَلَأِ وَعُزِيَ هَهُنَا إِلَيْهِمْ.

قُلْتُ: قَدْ قَالَهُ هُوَ، وَقَالُوهُ هُمْ، فَحَكَى قَوْلَهُ ثَمَّ وَقَوْلَهُمْ هَهُنَا، أَوْ قَالَهُ ابْتِدَاءً فَتَلَقَّتْهُ مِنْهُ الْمَلَأُ، فَقَالُوهُ لِأَعْقَابِهِمْ، أَوْ قَالُوهُ عَنْهُ لِلنَّاسِ عَلَى طَرِيقِ التَّبْلِيغِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُلُوكُ: يَرَى الْوَاحِدُ مِنْهُمُ الرَّأْيَ، فَيُكَلِّمُ بِهِ مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْخَاصَّةِ، ثُمَّ تَبْلُغُهُ الْخَاصَّةُ الْعَامَّةَ.

وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّهُمْ أَجَابُوهُ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾[1].

وَقُرِئَ: "سَحَّارٍ"، أَيْ: يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ مِثْلِهِ فِي الْعِلْمِ وَالْمَهَارَةِ، أَوْ بِخَيْرٍ مِنْهُ، وَكَانَتْ هَذِهِ مُؤَامَرَةً مَعَ الْقِبْطِ.

وَقَوْلُهُمْ: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[2]: مِنْ أَمَرْتُهُ فَأَمَرَنِي بِكَذَا، إِذَا شَاوَرْتُهُ، فَأَشَارَ عَلَيْكَ بِرَأْيٍ، وَقِيلَ: قَالَ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟ مِنْ كَلامِ فِرْعَوْنَ، قَالَهُ لِلْمَلَأِ لِمَا قَالُوا لَهُ: إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟ قَالُوا: أَرْجِئْهُ وَأَخَاهُ، وَمَعْنَى أَرْجِئْهُ وَأَخَاهُ: أَخِّرْهُمَا، وَأَصْدِرْهُمَا عَنْكَ، حَتَّى تَرَى رَأْيَكَ فِيهِمَا، وَتَدَبُّرَ أَمْرِهِمَا، وَقِيلَ: احْبِسْهُمَا.

وَقُرِئَ: "أَرْجِئْهُ"، بِالْهَمْزَةِ، "وَأَرْجِهْ"، مِنْ أَرْجَاءَهُ وَأَرْجَاهُ.

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[3]

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ فَقَالُوا؟

قُلْتُ: هُوَ عَلَى تَقْدِيرِ سَائِلٍ سَأَلَ: مَا قَالُوا إِذْ جَاءُوهُ؟ فَأُجِيبَ بِقَوْلِهِ: ﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾[4]، أَيْ: جُعِلا عَلَى الْغَلَبَةِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَقُرِئَ: "إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا"، عَلَى الْإِخْبَارِ، وَإِثْبَاتِ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ، وَإِيجَابِهِ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: لا بُدَّ لَنَا مِنْ أَجْرٍ، وَالتَّنْكِيرُ لِلتَّعْظِيمِ، كَقَوْلِ الْعَرَبِ: إِنَّ لَهُ لَإِبِلًا، وَإِنَّ لَهُ لَغَنَمًا، يَقْصِدُونَ الْكَثْرَةَ.

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[1]، مَا الَّذِي عُطِفَ عَلَيْهِ؟

قُلْتُ: هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى مَحْذُوفٍ سَدَّ مَسَدَّهُ حَرْفُ الْإِيجَابِ، كَأَنَّهُ قَالَ إِيجَابًا لِقَوْلِهِمْ: إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا، نَعَمْ إِنَّ لَكُمْ لَأَجْرًا، وَإِنَّكُمْ لِمَنِ الْمُقَرَّبِينَ، أَرَادَ: إِنِّي لَأَقْتَصِرُ بِكُمْ عَلَى الثَّوَابِ وَحْدَهُ، وَإِنَّ لَكُمْ مَعَ الثَّوَابِ مَا يَقِلُّ مَعَهُ الثَّوَابُ، وَهُوَ التَّقْرِيبُ وَالتَّعْظِيمُ، لِأَنَّ الْمُثَابَ إِنَّمَا يَتَهَنَّأُ بِمَا يَصِلُ إِلَيْهِ وَيَغْتَبِطُ بِهِ إِذَا نَالَ مَعَهُ الْكَرَامَةَ وَالرِّفْعَةَ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: تَكُونُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ وَآخِرَ مَنْ يَخْرُجُ، وَرَوَى: أَنَّهُ دَعَا بِرُؤَسَاءِ السَّحَرَةِ، وَمُعَلِّمِيهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا صَنَعْتُمْ؟ قَالُوا: قَدْ عَلِمْنَا سِحْرًا لا يُطِيقُهُ سَحَرَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَمْرًا مِنَ السَّمَاءِ، فَإِنَّهُ لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَرُوِيَ أَنَّهُمْ كَانُوا ثَمَانِينَ أَلْفًا، وَقِيلَ: سَبْعِينَ أَلْفًا، وَقِيلَ: بِضْعَةٍ وَثَلاثِينَ أَلْفًا، وَاخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ، فَمِنْ مُقِلٍّ وَمِنْ مُكْثِرٍ، وَقِيلَ: كَانَ يُعَلِّمُهُمْ مَجُوسِيَّانِ مِنْ أَهْلِ نِينَوَى، وَقِيلَ: قَالَ فِرْعَوْنُ: لا نُغَالِبُ مُوسَى إِلَّا بِمَا هُوَ مِنْهُ، يَعْنِي السِّحْرَ.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾[2]

تَخْيِيرُهُمْ إِيَّاهُ أَدَبٌ حَسَنٌ رَاعَوْهُ مَعَهُ، كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ الصِّنَاعَاتِ إِذَا الْتَقَوْا كَالْمُتَنَاظِرِينَ، قَبْلَ أَنْ يَتَخَاوَضُوا فِي الْجِدَالِ، وَالْمُتَصَارِعِينَ قَبْلَ أَنْ يَتَآخَذُوا لِلصِّرَاعِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَقَوْلُهُمْ: ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾[1]: فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى رَغْبَتِهِمْ فِي أَنْ يَلْقُوا قَبْلَهُ مِنْ تَأْكِيدِ ضَمِيرِهِمُ الْمُتَّصِلِ بِالْمُنْفَصِلِ، وَتَعْرِيفِ الْخَبَرِ، أَوْ تَعْرِيفِ الْخَبَرِ وَإِقْحَامِ الْفَصْلِ، وَقَدْ سَوَّغَ لَهُمْ مُوسَى مَا تَرَاغَبُوا فِيهِ، ازْدِرَاءً لِشَأْنِهِمْ، وَقِلَّةَ مُبَالاةٍ بِهِمْ، وَثِقَةً بِمَا كَانَ بِصَدَدِهِ مِنَ التَّأْيِيدِ السَّمَاوِيِّ، وَأَنَّ الْمُعْجِزَةَ لَنْ يَغْلِبَهَا سِحْرٌ أَبَدًا.

﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾[2]: أَرُوهَا بِالْحِيَلِ وَالشَّعْوَذَةِ، وَخَيَّلُوا إِلَيْهَا مَا الْحَقِيقَةُ بِخِلافِهِ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[3].

رُوِيَ: أَنَّهُمْ أَلْقَوْا حِبَالًا غِلاظًا، وَخَشَبًا طِوَالًا، فَإِذَا هِيَ أَمْثَالُ الْحَيَّاتِ، قَدْ مَلَأَتِ الْأَرْضَ، وَرَكِبَ بَعْضُهَا بَعْضًا.

﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾[4]: وَأَرْهَبُوهُمْ إِرْهَابًا شَدِيدًا، كَأَنَّهُمُ اسْتَدْعَوْا رَهْبَتَهُمْ.

﴿بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[5]: فِي بَابِ السِّحْرِ، رُوِيَ أَنَّهُمْ لَوَّنُوا حِبَالَهُمْ وَخَشَبَهُمْ، وَجَعَلُوا فِيهَا مَا يُوهِمُ الْحَرَكَةَ، قِيلَ: جَعَلُوا فِيهَا الزِّئْبَقَ.

﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾[6]: مَا مَوْصُولَةٌ أَوْ مَصْدَرِيَّةٌ، بِمَعْنَى: مَا يَأْفِكُونَهُ، أَيْ: يَقْلِبُونَهُ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ وَيُزَوِّرُونَهُ، أَوْ إِفْكُهُمْ تَسْمِيَةً لِلْمَأْفُوكِ بِالْإِفْكِ.

رُوِيَ أَنَّهَا لَمَّا تَلَقَّفَتْ مُلِئَ الْوَادِي مِنَ الْخَشَبِ، وَالْحِبَالِ، رَفَعَهَا مُوسَى فَرَجَعَتْ عَصًى كَمَا كَانَتْ، وَأَعْدَمَ اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ تِلْكَ الْأَجْرَامِ الْعَظِيمَةِ، أَوْ فَرَّقَهَا أَجْزَاءً لَطِيفَةً، قَالَتْ لِلسَّحَرَةِ: لَوْ كَانَ هَذَا سِحْرًا، لَبَقِيَتْ حِبَالُنَا وَعِصِيُّنَا.

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾[7]: فَحَصَلَ وَثَبَتَ، وَمِنْ بِدَعِ التَّفَاسِيرِ: "فَوَقَعَ قُلُوبُهُمْ" أَيْ: فَأَثَّرَ فِيهَا مِنْ قَوْلِهِمْ، قَاسَ وَقِيعَ.

﴿وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾[8]: وَصَارُوا أَذِلَّاءَ مَبْهُوتِينَ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ طه، الآية 66.

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[8] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ﴾[1]: وَخَرُّوا سُجَّدًا، كَأَنَّمَا أَلْقَاهُمْ مُلْقٍ، لِشِدَّةِ خُرُورِهِمْ.

وَقِيلَ: لَمْ يَتَمَالَكُوا مِمَّا رَأَوْا، فَكَأَنَّهُمْ أُلْقُوا.

وَعَنْ قَتَادَةَ: كَانُوا أَوَّلَ النَّهَارِ كُفَّارًا سَحَرَةً، وَفِي آخِرِهِ شُهَدَاءَ بَرَرَةً.

وَعَنِ الْحَسَنِ: تَرَاهُ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ، وَنَشَأَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، يَبِيعُ دِينَهُ بِكَذَا وَكَذَا، وَهَؤُلَاءِ كُفَّارٌ نَشَأُوا فِي الْكُفْرِ، بَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2]

﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾[3]: عَلَى الْإِخْبَارِ، أَيْ: فَعَلْتُمْ هَذَا الْفِعْلَ الشَّنِيعَ، تَوْبِيخًا لَهُمْ وَتَقْرِيعًا.

وَقُرِئَ: "أَآمَنْتُمْ"، بِحَرْفِ الاسْتِفْهَامِ، وَمَعْنَاهُ: الْإِنْكَارُ، وَالاسْتِبْعَادُ.

﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾[4] : إِنَّ صُنْعَكُمْ هَذَا لَحِيلَةٌ احْتَلْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَمُوسَى فِي مِصْرَ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى هَذِهِ الصَّحْرَاءِ، قَدْ تَوَاطَأْتُمْ عَلَى ذَلِكَ لِغَرَضٍ لَكُمْ، وَهُوَ أَنْ تُخْرِجُوا مِنْهَا الْقِبْطَ وَتُسْكِنُوهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ فِرْعَوْنَ، تَمْوِيهًا عَلَى النَّاسِ لِئَلَّا يَتَّبِعُوا السَّحَرَةَ فِي الْإِيمَانِ.

وَرُوِيَ أَنَّ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– قَالَ لِلسَّاحِرِ الْأَكْبَرِ: أَتُؤْمِنُ بِي إِنْ غَلَبْتُكَ؟ قَالَ: لَآتِيَنَّ بِسِحْرٍ لا يَغْلِبُهُ سِحْرٌ، وَإِنْ غَلَبْتَنِي لَأُومِنَنَّ بِكَ، وَفِرْعَوْنُ يَسْمَعُ، فَلِذَلِكَ قَالَ مَا قَالَ.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[5]: وَعِيدٌ أَجْمَلَهُ ثُمَّ فَصَّلَهُ بِقَوْلِهِ: "قَطَّعْنَ"، وَقُرِئَ: "لَأَقْطَعَنَّ" بِالتَّخْفِيفِ، وَكَذَلِكَ: "ثُمَّ صَلَّبَنَّكُمْ ".

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿مِنْ خِلافٍ﴾[1]: مِنْ كُلِّ شِقٍّ طَرَفًا، وَقِيلَ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَطَعَ مِنْ خِلافٍ وَصَلَبَ لَفِرْعَوْنُ.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[2]

﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾[3]: فِيهِ أَوْجُهٌ، أَنْ يُرِيدُوا: إِنَّا لا نُبَالِي بِالْمَوْتِ، لِانْقِلابِنَا إِلَى لِقَاءِ رَبِّنَا، وَرَحْمَتِهِ، وَخَلاصِنَا مِنْكَ، وَمِنْ لِقَائِكَ، أَوْ نَنْقَلِبُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْجَزَاءِ، فَيُثِيبُنَا عَلَى شَدَائِدِ الْقَطْعِ وَالصَّلْبِ، أَوْ إِنَّا جَمِيعًا -يَعْنُونَ أَنْفُسَهُمْ- وَفِرْعَوْنُ نَنْقَلِبُ إِلَى اللَّهِ فَيَحْكُمُ بَيْنَنَا، أَوْ إِنَّا لا مَحَالَةَ مَيِّتُونَ مُنْقَلِبُونَ إِلَى اللَّهِ، فَمَا تَقْدِرُ أَنْ تَفْعَلَ بِنَا إِلَّا مَا لا بُدَّ لَنَا مِنْهُ.

﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلا أَنْ آمَنَّا﴾[4]: وَمَا تَعِيبُ مِنَّا إِلَّا الْإِيمَانَ بِآيَاتِ اللَّهِ، أَرَادُوا: وَمَا تَعِيبُ مِنَّا إِلَّا مَا هُوَ أَصْلُ الْمَنَاقِبِ وَالْمُفَاخِرِ كُلِّهَا، وَهُوَ الْإِيمَانُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ:

وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ.....

﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾[5]: هَبْ لَنَا صَبْرًا وَاسِعًا وَأَكْثِرْهُ عَلَيْنَا، حَتَّى يَفِيضَ عَلَيْنَا وَيَغْمُرَنَا، كَمَا يَفْرُغُ الْمَاءَ فَرَاغًا.

وَعَنْ بَعْضِ السَّلَفِ: إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيُفْرِغُ عَلَى أَخِيهِ ذَنُوبًا ثُمَّ يَقُولُ: قَدْ مَازَحْتُكَ، أَيْ: يَغْمُرُهُ بِالْحَيَاءِ وَالْخَجَلِ، أَوْ صَبَّ عَلَيْنَا مَا يُطَهِّرُنَا مِنْ أَوْضَارِ الْآثَامِ، وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى مَا تَوَعَّدْنَا بِهِ فِرْعَوْنَ، لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ إِذَا اسْتَقَامُوا وَصَبَرُوا، كَانَ ذَلِكَ مَطْهَرَةً لَهُمْ.

﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[6]: ثَابِتِينَ عَلَى الْإِسْلامِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[1]

﴿وَيَذَرَكَ﴾[2]: عَطْفٌ عَلَى: "يُفْسِدُوا"، لِأَنَّهُ إِذَا تَرَكَهُمْ وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ مُؤَدِّيًا إِلَى مَا دَعَوْهُ فَسَادًا، وَإِلَى تَرْكِهِ، وَتَرْكِ آلِهَتِهِ، فَكَأَنَّهُ تَرَكَهُمْ لِذَلِكَ، أَوْ هُوَ جَوَابٌ لِلِاسْتِفْهَامِ بِالْوَاوِ، كَمَا يُجَابُ بِالْفَاءِ، نَحْوَ قَوْلِ الْحُطَيْئَةِ:

أَلَمْ أَكُ جَارَكُمْ وَيَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ الْمَوَدَّةُ وَالْإِخَاءُ

وَالنَّصْبُ بِإِضْمَارِ "أَنْ" تَقْدِيرُهُ: أَيَكُونُ مِنْكَ تَرْكُ مُوسَى، وَيَكُونُ تَرْكُهُ إِيَّاكَ وَآلِهَتَكَ.

وَقُرِئَ: "وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ" بِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى أَتَذَرُ مُوسَى، بِمَعْنَى: أَتَذَرُهُ وَأَيَذَرُكَ، يَعْنِي: تُطْلِقُ لَهُ ذَلِكَ، أَوْ يَكُونُ مُسْتَأْنَفًا أَوْ حَالًا عَلَى مَعْنَى: أَتَذَرُهُ، وَهُوَ يَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "وَيَذَرْكَ" بِالْجَزْمِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: يُفْسِدُوا، كَمَا قُرِئَ: "فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ"، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَصَّدَّقَ.

وَقَرَأَ أَنَسٌ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "وَنَذَرَكَ"، بِالنُّونِ وَالنُّصْبِ، أَيْ: يَصْرِفُنَا عَنْ عِبَادَتِكَ فَنَذَرَهَا.

وَقُرِئَ: وَيَذَرَكَ وَإِلاهَتَكَ، أَيْ: عِبَادَتَكَ، وَرُوِيَ: أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ وَافَقَ السَّحَرَةَ عَلَى الْإِيمَانِ سِتُّمِائَةِ أَلْفِ نَفْسٍ، فَأَرَادُوا بِالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ذَلِكَ، وَخَافُوا أَنْ يَغْلِبُوا عَلَى الْمَلِكِ، وَقِيلَ: صَنَعَ فِرْعَوْنُ لِقَوْمِهِ أَصْنَامًا وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوهَا، تَقَرُّبًا إِلَيْهِ، كَمَا يَعْبُدُ عَبَدَةُ الْأَصْنَامِ الْأَصْنَامَ، وَيَقُولُونَ: لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وَلِذَلِكَ قَالَ: "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى".

﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾[3] يَعْنِي: سَنُعِيدُ عَلَيْهِمْ مَا كُنَّا مَحَنَّاهُمْ بِهِ مِنْ قَتْلِ الْأَبْنَاءِ، لِيَعْلَمُوا أَنَّا عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الْغَلَبَةِ وَالْقَهْرِ، وَأَنَّهُمْ مَقْهُورُونَ تَحْتَ أَيْدِينَا كَمَا كَانُوا، وَأَنَّ غَلَبَةَ مُوسَى لا أَثَرَ لَهَا فِي مُلْكِنَا وَاسْتِيلائِنَا، وَلِئَلَّا يَتَوَهَّمَ الْعَامَّةُ أَنَّهُ هُوَ الْمَوْلُودُ الَّذِي أَخْبَرَ

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

الْمُنَجِّمُونَ وَالْكَهَنَةُ بِذَهَابِ مُلْكِنَا عَلَى يَدِهِ، فَيُثَبِّطَهُمْ ذَلِكَ عَنْ طَاعَتِنَا، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اتِّبَاعِهِ، وَأَنَّهُ مُنْتَظَرٌ بَعْدُ.

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[1]

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾[2] قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ –حِينَ قَالَ فِرْعَوْنُ: سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ فَجَزِعُوا مِنْهُ وَتَضَجَّرُوا– يُسَكِّنُهُمْ، وَيُسَلِّيهِمْ، وَيَعِدُهُمُ النُّصْرَةَ عَلَيْهِمْ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ مَا وَعَدَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ إِهْلاكِ الْقِبْطِ، وَتَوْرِيثِهِمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ أَخْلَيْتَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ عَنِ الْوَاوِ، وَأَدْخَلْتَ عَلَى الَّتِي قَبْلَهَا؟

قُلْتُ: هِيَ جُمْلَةٌ مُبْتَدَأَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ، وَأَمَّا: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ﴾[3]: فَمَعْطُوفَةٌ عَلَى مَا سَبَقَهَا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾[4].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ﴾[5]: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ اللَّامُ لِلْعَهْدِ، وَيُرَادُ أَرْضُ مِصْرَ خَاصَّةً، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ﴾[6]، وَأَنْ تَكُونَ لِلْجِنْسِ فَيَتَنَاوَلُ أَرْضَ مِصْرَ، لِأَنَّهَا مَنْ جِنْسِ الْأَرْضِ، كَمَا قَالَ ضَمْرَةُ: إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ، فَأَرَادَ بِالْمَرْءِ الْجِنْسَ، وَغَرَضُهُ أَنْ يَتَنَاوَلَهُ تَنَاوُلًا أَوَّلِيًّا.

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[7]: بِشَارَةٌ بِأَنَّ الْخَاتِمَةَ الْمَحْمُودَةَ لِلْمُتَّقِينَ مِنْهُمْ وَمِنَ الْقِبْطِ، وَأَنَّ الْمَشِيئَةَ مُتَنَاوِلَةٌ لَهُمْ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الزُّمَرِ، الآية 74.

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَقَرَأَ: "وَالْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ" بِالنَّصْبِ: أُبَيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ، عَطْفًا عَلَى الْأَرْضِ.

﴿أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾[1]: يَعْنُونَ قَتْلَ أَبْنَائِهِمْ قَبْلَ مَوْلِدِ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلامُ– إِلَى أَنِ اسْتُنْبِئَ، وَإِعَادَتُهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَمَا كَانُوا يُسْتَعْبَدُونَ بِهِ، وَيُمْتَهَنُونَ فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَدَمِ، وَالْمِهَنِ، وَيَمَسُّونَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ.

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾[2]: تَصْرِيحٌ بِمَا رَمَزَ إِلَيْهِ مِنَ الْبِشَارَةِ قَبْلُ، وَكَشَفَ عَنْهُ وَهُوَ إِهْلاكُ فِرْعَوْنَ، وَاسْتِخْلافُهُمْ بَعْدَهُ فِي أَرْضِ مِصْرَ.

﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[3]: فَيَرَى الْكَائِنُ مِنْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ حَسَنَهُ، وَقَبِيحَهُ، وَشُكْرَ النِّعْمَةِ، وَكُفْرَانَهَا، لِيُجَازِيَكُمْ عَلَى حَسَبِ مَا يُوجَدُ مِنْكُمْ.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ –رَحِمَهُ اللَّهُ– أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الْمَنْصُورِ قَبْلَ الْخِلافَةِ، وَعَلَى مَائِدَتِهِ رَغِيفٌ أَوْ رَغِيفَانِ، فَطَلَبَ زِيَادَةً لِعَمْرٍو فَلَمْ تُوجَدْ، فَقَرَأَ عَمْرٌو هَذِهِ الْآيَةَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْدَمَا اسْتُخْلِفَ، فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، وَقَالَ: قَدْ بَقِيَ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[4]

﴿بِالسِّنِينَ﴾[5] : بِسِنِيِّ الْقَحْطِ، وَ"السَّنَةُ": مِنَ الْأَسْمَاءِ الْغَالِبَةِ كَالدَّابَّةِ، وَالنَّجْمِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَقَدِ اشْتَقُّوا مِنْهَا، فَقَالُوا: أَسْنَتَ الْقَوْمُ، بِمَعْنَى: أُقْحِطُوا.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: أَمَّا "السُّنُونَ"، فَكَانَتْ لِبَادِيَتِهِمْ وَأَهْلِ مَوَاشِيهِمْ؛ وَأَمَّا "نَقْصُ الثَّمَرَاتِ"، فَكَانَ فِي أَمْصَارِهِمْ.

وَعَنْ كَعْبٍ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا تَحْمِلُ النَّخْلَةُ إِلَّا تَمْرَةً.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[1]: فَيَتَنَبَّهُوا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ لِإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَتَكْذِيبِهِمْ لِآيَاتِ اللَّهِ، وَلِأَنَّ النَّاسَ فِي حَالِ الشِّدَّةِ أَضْرَعُ خُدُودًا، وَأَلْيَنُ أَعْطَافًا، وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً.

وَقِيلَ: عَاشَ فِرْعَوْنُ أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ، وَلَمْ يَرَ مَكْرُوهًا فِي ثَلاثِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَلَوْ أَصَابَهُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ وَجَعٌ أَوْ جُوعٌ أَوْ حُمَّى لَمَا ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ.

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[2]

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾[3]: مِنَ الْخِصْبِ وَالرَّخَاءِ.

﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾[4]: أَيْ: هَذِهِ مُخْتَصَّةٌ بِنَا، وَنَحْنُ مُسْتَحِقُّوهَا، وَلَمْ نَزَلْ فِي النِّعْمَةِ وَالرَّفَاهِيَةِ، وَاللَّامُ مِثْلُهَا فِي قَوْلِكَ: الْجُلُّ لِلْفَرَسِ.

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾[5]: مِنْ ضِيقَةٍ وَجَدْبٍ.

﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾[6]: يَتَطَيَّرُوا بِهِمْ، وَيَتَشَاءَمُوا، وَيَقُولُوا: هَذِهِ بِشُؤْمِهِمْ، وَلَوْلا مَكَانُهُمْ لَمَا أَصَابَتْنَا، كَمَا قَالَتِ الْكَفَرَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قِيلَ؟ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ بِإِذَا وَتَعْرِيفِ الْحَسَنَةِ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِإِنْ وَتَنْكِيرِ السَّيِّئَةِ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ جِنْسَ الْحَسَنَةِ وُقُوعُهُ كَالْوَاجِبِ، لِكَثْرَتِهِ وَاتِّسَاعِهِ. وَأَمَّا السَّيِّئَةُ، فَلا تَقَعُ إِلَّا فِي النُّدْرَةِ، وَلا يَقَعُ إِلَّا شَيْءٌ مِنْهَا؛ وَمِنْهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ: قَدْ عَدَدْتُ أَيَّامَ الْبَلاءِ، فَهَلْ عَدَدْتَ أَيَّامَ الرَّخَاءِ؟

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾[1]، أَيْ: سَبَبُ خَيْرِهِمْ وَشَرِّهِمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ حُكْمُهُ وَمَشِيئَتُهُ، وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَشَاءُ مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ، وَلَيْسَ شُؤْمُ أَحَدٍ وَلا يُمْنُهُ بِسَبَبٍ فِيهِ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[2].

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: أَلا إِنَّمَا سَبَبُ شُؤْمِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ عَمَلُهُمُ الْمَكْتُوبُ عِنْدَهُ الَّذِي يَجْرِي عَلَيْهِمْ مَا يَسُوءُهُمْ لِأَجْلِهِ، وَيُعَاقَبُونَ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِمْ بِمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ – سُبْحَانَهُ–: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾[3]، الْآيَةَ، وَلا طَائِرَ أَشْأَمَ مِنْ هَذَا.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "إِنَّمَا طَيْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ"، وَهُوَ اسْمٌ لِجَمْعِ طَائِرٍ غَيْرَ تَكْسِيرٍ، وَنَظِيرُهُ: التَّجْرُ، وَالرَّكْبُ، وَعِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ: هُوَ تَكْسِيرٌ.

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾[4]

﴿مَهْمَا﴾[5]: هِيَ مَا الْمُضَمَّنَةُ مَعْنَى الْجَزَاءِ، ضُمَّتْ إِلَيْهَا "مَا" الْمَزِيدَةُ الْمُؤَكِّدَةُ لِلْجَزَاءِ فِي قَوْلِكَ: مَتَى مَا تَخْرُجُ أَخْرُجُ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾[6].

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾[7]: إِلَّا أَنَّ الْأَلِفَ قُلِبَتْ هَاءً اسْتِثْقَالًا لِتَكْرِيرِ الْمُتَجَانِسَيْنِ، وَهُوَ الْمَذْهَبُ السَّدِيدُ الْبَصْرِيُّ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ "مَهْ": هِيَ الصَّوْتُ الَّذِي يُصَوِّتُ بِهِ الْكَافُّ، وَ "مَا" لِلْجَزَاءِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: كَفَّ مَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَحَلُّ مَهْمَا؟

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ النِّسَاءِ، الآية 78.

[3] سُورَةُ غَافِرٍ، الآية 46.

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ النِّسَاءِ، الآية 78.

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

قُلْتُ: الرَّفْعُ بِمَعْنَى: أَيُّمَا شَيْءٍ تَأْتِنَا بِهِ، أَوِ النَّصْبُ، بِمَعْنَى: أَيَّمَا شَيْءٍ تَحْضُرْنَا تَأْتِنَا بِهِ، وَمِنْ آيَةٍ: تَبْيِينٌ لِمَهْمَا، وَالضَّمِيرَانِ فِي "بِهِ" وَ"بِهَا": رَاجِعَانِ إِلَى مَهْمَا، إِلَّا أَنَّ أَحَدَهُمَا ذُكِّرَ عَلَى اللَّفْظِ، وَالثَّانِيَ أُنِّثَ عَلَى الْمَعْنَى، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُ زُهَيْرٍ:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ

وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي عِدَادِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي يُحَرِّفُهَا مَنْ لا يَدَ لَهُ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، فَيَضَعُهَا غَيْرَ مَوْضِعِهَا، وَيَحْسَبُ مَهْمَا بِمَعْنَى مَتَى مَا، وَيَقُولُ مَهْمَا جِئْتَنِي أَعْطَيْتُكَ.

وَهَذَا مِنْ وَضْعِهِ، وَلَيْسَ مِنْ كَلامِ وَاضِعِ الْعَرَبِيَّةِ فِي شَيْءٍ.

ثُمَّ يَذْهَبُ فَيُفَسِّرُ: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾[1]: بِمَعْنَى الْوَقْتِ، فَيُلْحِدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ، وَهُوَ لا يَشْعُرُ.

وَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا يُوجِبُ الْجُثُوَّ بَيْنَ يَدَيِ النَّاظِرِ فِي كِتَابِ سِيبَوَيْهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ سَمَّوْهَا آيَةً، ثُمَّ قَالُوا لِتَسْحَرَنَا بِهَا؟

قُلْتُ: مَا سَمَّوْهَا آيَةً لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهَا آيَةٌ، وَإِنَّمَا سَمَّوْهَا اعْتِبَارًا لِتَسْمِيَةِ مُوسَى، وَقَصَدُوا بِذَلِكَ الاسْتِهْزَاءَ، وَالتَّلَهِّيَ.

﴿الطُّوفَانَ﴾[2]: مَا طَافَ بِهِمْ، وَغَلَبَهُمْ مِنْ مَطَرٍ أَوْ سَيْلٍ، قِيلَ: طَغَى الْمَاءُ فَوْقَ حُرُوثِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ مُطِرُوا ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ فِي ظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ لا يَرَوْنَ شَمْسًا وَلا قَمَرًا، وَلا يَقْدِرُ أَحَدُهُمْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ دَارِهِ.

وَقِيلَ: أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ حَتَّى كَادُوا يَهْلَكُونَ، وَبُيُوتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبُيُوتُ الْقِبْطِ مُشْتَبِكَةٌ، فَامْتَلَأَتْ بُيُوتُ الْقِبْطِ مَاءً حَتَّى قَامُوا فِي الْمَاءِ إِلَى تَرَاقِيهِمْ، فَمَنْ جَلَسَ غَرِقَ، وَلَمْ تَدْخُلْ بُيُوتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَطْرَةٌ، وَفَاضَ الْمَاءُ عَلَى وَجْهِ أَرْضِهِمْ، وَرَكَدَ فَمَنَعَهُمْ مِنَ الْحَرْثِ وَالْبِنَاءِ وَالتَّصَرُّفِ، وَدَامَ عَلَيْهِمْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ.

وَعَنْ أَبِي قِلابَةَ: "الطُّوفَانُ": الْجُدَرِيُّ، وَهُوَ أَوَّلُ عَذَابٍ وَقَعَ فِيهِمْ، فَبَقِيَ فِي الْأَرْضِ، وَقِيلَ: هُوَ "الْمُوتَانُ" وَقِيلَ: الطَّاعُونُ، فَقَالُوا لِمُوسَى: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَكْشِفُ عَنَّا وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِكَ، فَدَعَا فَرُفِعَ عَنْهُمْ، فَمَا آمَنُوا، فَنَبَتَ لَهُمْ تِلْكَ السَّنَةَ مِنَ الْكَلَأِ وَالزَّرْعِ مَا لَمْ يُعْهَدْ بِمِثْلِهِ، فَأَقَامُوا شَهْرًا، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَرَادَ فَأَكَلَتْ عَامَّةَ زُرُوعِهِمْ وَثِمَارِهِمْ، ثُمَّ أَكَلَتْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْأَبْوَابَ، وَسُقُوفَ الْبُيُوتِ، وَالثِّيَابَ، وَلَمْ يَدْخُلْ بُيُوتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْهَا شَيْءٌ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

فَفَزِعُوا إِلَى مُوسَى وَوَعَدُوهُ التَّوْبَةَ، فَكَشَفَ عَنْهُمْ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ: خَرَجَ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلامُ– إِلَى الْفَضَاءِ، فَأَشَارَ بِعَصَاهُ نَحْوَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَرَجَعَ الْجَرَادُ إِلَى النَّوَاحِي الَّتِي جَاءَ مِنْهَا، فَقَالُوا: مَا نَحْنُ بِتَارِكِي دِينِنَا فَأَقَامُوا شَهْرًا، فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقُمَّلَ.

وَهُوَ الْحَنَانُ فِي قَوْلِ أَبِي عُبَيْدَةَ كِبَارُ الْقِرْدَانِ، وَقِيلَ: الدُّبَا، وَهُوَ أَوْلادُ الْجَرَادِ، وَقِيلَ: نَبَاتُ أَجْنِحَتِهَا. وَقِيلَ: الْبَرَاغِيثُ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: السُّوسُ، فَأَكَلَ مَا أَبْقَاهُ الْجَرَادُ، وَلَحِسَ الْأَرْضَ، وَكَانَ يَدْخُلُ بَيْنَ ثَوْبِ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ جِلْدِهِ فَيَمُصُّهُ، وَكَانَ يَأْكُلُ أَحَدُهُمْ طَعَامًا فَيَمْتَلِئَ قَمْلًا، وَكَانَ يُخْرِجُ أَحَدُهُمْ عَشْرَةَ أَجْرِبَةٍ إِلَى الرَّحَى فَلا يُرَدُّ مِنْهَا إِلَّا يَسِيرًا.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّهُ كَانَ إِلَى جَنْبِهِمْ كَثِيبٌ أَعْفَرُ، فَضَرَبَهُ مُوسَى بِعَصَاهُ، فَصَارَ قُمَّلًا، فَأَخَذَتْ فِي أَبْشَارِهِمْ، وَأَشْعَارِهِمْ، وَأَشْفَارِ عُيُونِهِمْ وَحَوَاجِبِهِمْ، وَلَزِمَ جُلُودَهُمْ كَأَنَّهُ الْجُدَرِيُّ، فَصَاحُوا، وَصَرَخُوا، وَفَزِعُوا إِلَى مُوسَى، فَرُفِعَ عَنْهُمْ، فَقَالُوا: قَدْ تَحَقَّقْنَا الْآنَ أَنَّكَ سَاحِرٌ، وَعَزَّةِ فِرْعَوْنَ لا نُصَدِّقُكَ أَبَدًا، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ شَهْرٍ الضَّفَادِعَ، فَدَخَلَتْ بُيُوتَهُمْ، وَامْتَلَأَتْ مِنْهَا آنِيَتُهُمْ وَأَطْعِمَتُهُمْ، وَلا يَكْشِفُ أَحَدٌ شَيْئًا مِنْ ثَوْبٍ، وَلا طَعَامٍ، وَلا شَرَابٍ إِلَّا وَجَدَ فِيهِ الضَّفَادِعَ.

وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَثَبَتَ الضُّفْدَعُ إِلَى فِيهِ، وَكَانَتْ تَمْتَلِئُ مِنْهَا مَضَاجِعُهُمْ فَلا يَقْدِرُونَ عَلَى الرُّقَادِ، وَكَانَتْ تَقْذِفُ بِأَنْفُسِهَا فِي الْقُدُورِ وَهِيَ تَغْلِي، وَفِي التَّنَانِيرِ وَهِيَ تَفُورُ، فَشَكَوْا إِلَى مُوسَى، وَقَالُوا: ارْحَمْنَا هَذِهِ الْمَرَّةَ، فَمَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ نَتُوبَ الْبَتَّةَ النَّصُوحَ وَلا نَعُودُ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعُهُودَ، وَدَعَا فَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ نَقَضُوا الْعَهْدَ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الدَّمَ، فَصَارَتْ مِيَاهُهُمْ دَمًا، فَشَكَوْا إِلَى فِرْعَوْنَ، فَقَالَ: إِنَّهُ سَحَرَكُمْ فَكَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الْقِبْطِيِّ وَالْإِسْرَائِيلِيِّ عَلَى إِنَاءٍ وَاحِدٍ، فَيَكُونُ مَا يَلِي الْإِسْرَائِيلِيَّ مَاءً، وَمَا يَلِي الْقِبْطِيَّ دَمًا، وَيَسْتَقِيَانِ مِنْ مَاءٍ وَاحِدٍ، فَيَخْرُجُ لِلْقِبْطِيِّ الدَّمُ، وَلِلْإِسْرَائِيلِيِّ الْمَاءُ، حَتَّى أَنَّ الْمَرْأَةَ الْقِبْطِيَّةَ تَقُولُ لِجَارَتِهَا الْإِسْرَائِيلِيَّةِ: اجْعَلِي الْمَاءَ فِي فِيكِ ثُمَّ مُجِّيهِ فِي فِيَّ، فَيَصِيرُ الْمَاءُ فِي فِيهَا دَمًا، وَعَطِشَ فِرْعَوْنُ حَتَّى أَشْفَى عَلَى الْهَلاكِ، فَكَانَ يَمُصُّ الْأَشْجَارَ الرَّطْبَةَ، فَإِذَا مَضَغَهَا صَارَ مَاؤُهَا الطَّيِّبُ مِلْحًا أُجَاجًا.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ: سَالَ عَلَيْهِمُ النِّيلُ دَمًا، وَقِيلَ: سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الرُّعَافَ.

وَرُوِيَ: أَنَّ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلامُ– مَكَثَ فِيهِمْ بَعْدَ مَا غَلَبَ السَّحَرَةُ عِشْرِينَ سَنَةً يُرِيهِمْ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَرُوِيَ: أَنَّهُ لَمَّا أَرَاهُمُ الْيَدَ، وَالْعَصَا، وَنَقْصَ الثُّفُوسِ، وَالثَّمَرَاتِ، قَالَ: يَا رَبِّ، إِنَّ عَبْدَكَ هَذَا قَدْ عَلا فِي الْأَرْضِ، فَخُذْهُ بِعُقُوبَةٍ تَجْعَلُهَا لَهُ وَلِقَوْمِهِ نِقْمَةً، وَلِقَوْمِي عِظَةً، وَلِمَنْ بَعْدِي آيَةً، فَحِينَئِذٍ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ، ثُمَّ الْجَرَادَ، ثُمَّ مَا بَعْدَهُ مِنَ النِّقَمِ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "وَالْقَمْلَ"، بِفَتْحِ الْقَافِ وَسُكُونِ الْمِيمِ، يُرِيدُ "الْقَمْلَ" الْمَعْرُوفَ.

﴿آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ﴾[1]: نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، وَمَعْنَى مُفَصَّلاتٍ: مُبَيَّنَاتٌ، ظَاهِرَاتٌ، لا يُشْكِلُ عَلَى عَاقِلٍ أَنَّهَا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي لا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ، وَأَنَّهَا عِبْرَةٌ لَهُمْ، وَنِقْمَةٌ عَلَى كُفْرِهِمْ، أَوْ فَصْلٌ بَيْنَ بَعْضِهَا وَبَعْضٍ بِزَمَانٍ تُمْتَحَنُ فِيهِ أَحْوَالُهُمْ، وَيُنْظَرُ أَيَسْتَقِيمُونَ عَلَى مَا وَعَدُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، أَمْ يَنْكُثُونَ، إِلْزَامًا لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؟

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[2]

﴿بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾[3] : مَا مَصْدَرِيَّةٌ.

وَالْمَعْنَى: بِعَهْدِهِ عِنْدَكَ، وَهُوَ النُّبُوَّةُ.

وَالْبَاءُ إِمَّا أَنْ تَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾[4] عَلَى وَجْهَيْنِ:

– أَحَدُهُمَا أَسْعِفْنَا إِلَى مَا نَطْلُبُ إِلَيْكَ مِنَ الدُّعَاءِ لَنَا بِحَقِّ مَا عِنْدَكَ مِنْ عَهْدِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ بِالنُّبُوَّةِ؛

– أَوِ ادْعُ اللَّهَ لَنَا مُتَوَسِّلًا إِلَيْهِ بِعَهْدِهِ عِنْدَكَ.

وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَسَمًا مُجَابًا بِلَنُؤْمِنَنَّ، أَيْ: أَقْسَمْنَا بِعَهْدِ اللَّهِ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ﴾[1] إِلَى حَدٍّ مِنَ الزَّمَنِ هُمْ بَالِغُوهُ، لا مَحَالَ فَمُعَذَّبُونَ فِيهِ لا يَنْفَعُهُمْ مَا تَقَدَّمَ لَهُمْ مِنَ الْإِمْهَالِ وَكَشْفِ الْعَذَابِ إِلَى حُلُولِهِ.

﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾[2] جَوَابُ "لَمَّا"، يَعْنِي: فَلَمَّا كَشَفْنَاهُ عَنْهُمْ فَاجَاءُوا النَّكْثَ، وَبَادَرُوا لَمْ يُؤَخِّرُوهُ، وَلَكِنْ كَمَا كُشِفَ عَنْهُمْ نَكَثُوا.

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[3] : فَأَرَدْنَا الانْتِقَامَ مِنْهُمْ ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ﴾[4].

وَ﴿الْيَمِّ﴾[5]: الْبَحْرِ الَّذِي لا يُدْرَكُ قَعْرُهُ.

وَقِيلَ: هُوَ لُجَّةُ الْبَحْرِ وَمُعْظَمُ مَائِهِ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ التَّيَمُّمِ، لِأَنَّ الْمُسْتَنْفِعِينَ بِهِ يَقْصِدُونَهُ.

﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾[6]، أَيْ: كَانَ إِغْرَاقُهُمْ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ بِالْآيَاتِ، وَغَفْلَتِهِمْ عَنْهَا، وَقِلَّةِ فِكْرِهِمْ فِيهَا.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾[7]

﴿الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾[8]: هُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، كَانَ يَسْتَضْعِفُهُمْ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ.

وَالْأَرْضُ: أَرْضُ مِصْرَ وَالشَّامِ، مَلَكَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ بَعْدَ الْفَرَاعِنَةِ وَالْعَمَالِقَةِ، وَتَصَرَّفُوا كَيْفَ شَاءُوا فِي أَطْرَافِهَا، وَنَوَاحِيهَا الشَّرْقِيَّةِ وَالْغَرْبِيَّةِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[8] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿بَارَكْنَا فِيهَا﴾[1] بِالْخِصْبِ وَسِعَةِ الْأَرْزَاقِ.

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾[2].

قَوْلُهُ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾[3]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[4].

وَالْحُسْنَى: تَأْنِيثُ الْأَحْسَنِ صِفَةٌ لِلْكَلِمَةِ.

وَمَعْنَى "تَمَّتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ": مَضَتْ عَلَيْهِمْ، وَاسْتَمَرَّتْ مِنْ قَوْلِكَ: تَمَّ عَلَى الْأَمْرِ إِذَا مَضَى عَلَيْهِ.

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾[5]: بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ، وَحَسْبُكَ بِهِ حَاثًّا عَلَى الصَّبْرِ، وَدَالًّا عَلَى أَنَّ مَنْ قَابَلَ الْبَلاءَ بِالْجَزَعِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَمَنْ قَابَلَهُ بِالصَّبْرِ، وَانْتِظَارِ النَّصْرِ ضَمِنَ اللَّهُ لَهُ الْفَرَجَ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: عَجِبْتُ مِمَّنْ خَفَّ كَيْفَ خَفَّ، وَقَدْ سَمِعَ قَوْلَهُ، وَتَلا الْآيَةَ. وَمَعْنَى "خَفَّ": طَاشَ جَزَعًا وَقِلَّةَ صَبْرٍ، وَلَمْ يَرْزُنْ رَزَانَةَ أُولِي الصَّبْرِ.

وَقَرَأَ عَاصِمٌ فِي رِوَايَةٍ: "وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى"، وَنَظِيرُهُ: ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[6].

﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾[7]: مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَيُسَوُّونَ مِنَ الْعِمَارَاتِ وَبِنَاءِ الْقُصُورِ.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾[8]: مِنَ الْجَنَّاتِ، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾[9]: أَوْ وَمَا كَانُوا يَرْفَعُونَ مِنَ الْأَبْنِيَةِ الْمُشَيَّدَةِ فِي السَّمَاءِ، كَصَرْحِ هَامَانَ وَغَيْرِهِ.

وَقُرِئَ: "يَعْرِشُونَ"، بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ، وَذَكَرَ الْيَزِيدِيُّ أَنَّ الْكَسْرَ أَفْصَحُ، وَبَلَغَنِي أَنَّهُ قَرَأَ بَعْضُ النَّاسِ: "يَغْرِسُونَ"، مِنْ غَرْسِ الْأَشْجَارِ، وَمَا أَحْسَبُهُ إِلَّا تَصْحِيفًا مِنْهُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ النَّجْمِ، الآية 18.

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[8] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[9] سُورَةُ الْأَنْعَامِ، الآية 141.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1]

وَهَذَا آخِرُ مَا اقْتَصَّ اللَّهُ مِنْ نَبَأِ فِرْعَوْنَ وَالْقِبْطِ وَتَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَظُلْمِهِمْ، وَمَعَاصِيهِمْ ثُمَّ أَتْبَعُهُ اقْتِصَاصَ نَبَأِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَا أَحْدَثُوهُ -بَعْدَ إِنْقَاذِهِمْ مِنْ مَمْلَكَةِ فِرْعَوْنَ وَاسْتِعْبَادِهِ، وَمُعَايَنَتِهِمُ الْآيَاتِ الْعِظَامَ، وَمُجَاوَزَتِهِمُ الْبَحْرَ- مِنْ عِبَادَةِ الْبَقَرِ، وَطَلَبِ رُؤْيَةِ اللَّهِ جَهْرَةً، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، لِيُعْلَمَ حَالُ الْإِنْسَانِ، وَأَنَّهُ كَمَا وَصَفَهُمْ ظَلُومٌ، كَفَارٌ، جَهُولٌ، كَنُودٌ، إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ.

﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[2]، وَلِيُسَلَّى رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِمَّا رَأَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْمَدِينَةِ، وَرُوِيَ أَنَّهُ عَبَرَ بِهِمْ مُوسَى يَوْمَ عَاشُورَاءَ بَعْدَ مَا أَهْلَكَ اللَّهُ -تَعَالَى- فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامُوهُ شُكْرًا لِلَّهِ -تَعَالَى-.

﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ﴾[3]: فَمَرُّوا عَلَيْهِمْ.

﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾[4]: يُوَاظِبُونَ عَلَى عِبَادَتِهَا وَيُلَازِمُونَهَا.

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: كَانَتْ تَمَاثِيلَ بَقَرٍ: وَذَلِكَ أَوَّلُ شَأْنِ الْعِجْلِ، وَقِيلَ: كَانُوا قَوْمًا مِنْ لَخْمٍ.

وَقِيلَ: كَانُوا مِنَ الْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ أُمِرَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بِقِتَالِهِمْ.

وَقُرِئَ: "وَجَوَّزْنَا"، بِمَعْنَى أَجَزْنَا، يُقَالُ: أَجَازَ الْمَكَانَ وَجَوَّزَهُ وَجَاوَزَهُ بِمَعْنَى جَازَهُ، كَقَوْلِكَ: أَعْلَاهُ وَعَلَاهُ وَعَالَاهُ.

وَقُرِئَ: "يَعْكُفُونَ"، بِضَمِّ الْكَافِ وَكَسْرِهَا.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ سَبَإٍ، الآية 13.

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾[1]: صَنَمًا نَعْكُفُ عَلَيْهِ.

﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[2]: أَصْنَامٌ يَعْكُفُونَ عَلَيْهَا، "وَمَا" كَافَّةٌ لِلْكَافِ، وَلِذَلِكَ وَقَعَتِ الْجُمْلَةُ بَعْدَهَا.

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّ يَهُودِيًّا قَالَ لَهُ: اخْتَلَفْتُمْ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ مَاؤُهُ، فَقَالَ: قُلْتُمُ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا قَبْلَ أَنْ تَجِفَّ أَقْدَامُكُمْ.

﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[3]: تَعَجُّبٌ مِنْ قَوْلِهِمْ عَلَى أَثَرِ مَا رَأَوْا مِنَ الْآيَةِ الْعُظْمَى وَالْمُعْجِزَةِ الْكُبْرَى، فَوَصَفَهُمْ بِالْجَهْلِ الْمُطْلَقِ وَأَكَّدَهُ، لِأَنَّهُ لا جَهْلَ أَعْظَمُ مِمَّا رَأَى مِنْهُمْ وَلا أَشْنَعُ.

﴿إِنَّ هَؤُلاءِ﴾[4] يَعْنِي: عَبَدَةَ تِلْكَ التَّمَاثِيلِ.

﴿مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ﴾[5]: مُدَمَّرٌ مُكَسَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ، مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَاءٌ مُتَبَّرٌ، إِذَا كَانَ فَضَّاضًا، وَيُقَالُ لِكِسَارِ الذَّهَبِ: التِّبْرُ، أَيْ: يُتَبِّرُ اللَّهُ، وَيَهْدِمُ دِينَهُمُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ عَلَى يَدَيَّ، وَيُحَطِّمُ أَصْنَامَهُمْ هَذِهِ وَيَتْرُكُهَا رُضَاضًا.

﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[6]، أَيْ: مَا عَمِلُوا شَيْئًا مِنْ عِبَادَتِهَا فِيمَا سَلَفَ إِلَّا وَهُوَ بَاطِلٌ، مُضْمَحِلٌّ، لا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ زَعْمُهُمْ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ، كَمَا قَالَ –تَعَالَى– : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[7].

وَفِي إِيقَاعِ ﴿هَؤُلاءِ﴾[8] اسْمًا لِإِنَّ، وَتَقْدِيمِ خَبَرِ الْمُبْتَدَأِ مِنَ الْجُمْلَةِ الْوَاقِعَةِ خَبَرًا لَهَا وَسْمٌ لِعَبَدَةِ الْأَصْنَامِ بِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُعَرَّضُونَ لِلتَّبَارِ، وَأَنَّهُ لا يَعْدُوهُمُ الْبَتَّةَ، وَأَنَّهُ لَهُمْ ضَرْبَةُ لازِبٍ، لِيُحَذِّرَهُمْ عَاقِبَةَ مَا طَلَبُوا، وَيُبَغِّضَ أَلِيهِمْ مَا أَحَبُّوا.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْفُرْقَانِ، الآية 23.

[8] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾[1]: أَغَيْرَ الْمُسْتَحِقِّ لِلْعِبَادَةِ أَطْلُبُ لَكُمْ مَعْبُودًا، وَهُوَ فَعَلَ بِكُمْ مَا فَعَلَ دُونَ غَيْرِهِ، مِنَ الاخْتِصَاصِ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي لَمْ يُعْطَهَا أَحَدٌ غَيْرُكُمْ، لِتَخْتَصُّوهُ بِالْعِبَادَةِ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ غَيْرَهُ.

وَمَعْنَى الْهَمْزَةِ: الْإِنْكَارُ وَالتَّعَجُّبُ مِنْ طَلَبَتِهِمْ –مَعَ كَوْنِهِمْ مَغْمُورِينَ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ– عِبَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ.

﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾[2]: يَبْغُونَكُمْ شِدَّةَ الْعَذَابِ، مِنْ سَامَ السِّلْعَةَ إِذَا طَلَبَهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَحَلُّ يَسُومُونَكُمْ؟

قُلْتُ: هُوَ اسْتِئْنَافٌ لا مَحَلَّ لَهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الْمُخَاطَبِينَ أَوْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، وَذلك مَنَّ: إِشَارَةٌ إِلَى الْإِنْجَاءِ أَوْ إِلَى الْعَذَابِ، "وَالْبَلاءُ": النِّعْمَةُ أَوِ الْمِحْنَةُ، وَقُرِئَ: يَقْتُلُونَ، بِالتَّخْفِيفِ.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[3]

وَرُوِيَ: أَنَّ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلامُ– وَعَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ بِمِصْرَ إِنْ أَهْلَكَ اللَّهُ عَدُوَّهُمْ، أَتَاهُمْ بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فِيهِ بَيَانُ مَا يَأْتُونَ وَمَا يَذَرُونَ. فَلَمَّا هَلَكَ فِرْعَوْنُ، سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ الْكِتَابَ، فَأَمَرَهُ بِصَوْمِ ثَلاثِينَ يَوْمًا، وَهُوَ شَهْرُ ذِي الْقِعْدَةِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

فَلَمَّا أَتَمَّ الثَّلاثِينَ، أَنْكَرَ خُلُوفَ فِيهِ فَسَوَّكَ، فَقَالَتِ الْمَلائِكَةُ: كُنَّا نَشُمُّ مِنْ فِيكَ رَائِحَةَ الْمِسْكِ فَأَفْسَدْتَهُ بِالسِّوَاكِ.

وَقِيلَ: أَوْحَى اللَّهُ –تَعَالَى– إِلَيْهِ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدِي مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ –تَعَالَى– أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا عَشَرَةَ أَيَّامٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ لِذَلِكَ.

وَقِيلَ: أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَصُومَ ثَلاثِينَ يَوْمًا، وَأَنْ يَعْمَلَ فِيهَا بِمَا يُقَرِّبُهُ مِنَ اللَّهِ، ثُمَّ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ التَّوْرَاةُ فِي الْعَشْرِ وَكُلِّمَ فِيهَا، وَلَقَدْ أَجْمَلَ ذِكْرَ الْأَرْبَعِينَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَفَصَّلَهَا هَهُنَا.

وَ﴿مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾[1]: مَا وَقَّتَهُ لَهُ مِنَ الْوَقْتِ وَضَرَبَهُ لَهُ.

وَ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[2] : نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: تَمَّ بَالِغًا هَذَا الْعَدَدَ، وَ ﴿هَارُونَ﴾[3]: عَطْفُ بَيَانٍ لِأَخِيهِ.

وَقُرِئَ: بِالضَّمِّ عَلَى النِّدَاءِ.

﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾[4]: كُنْ خَلِيفَتِي فِيهِمْ.

﴿وَأَصْلِحْ﴾[5]: وَكُنْ مُصْلِحًا، أَوْ: وَأَصْلِحْ مَا يَجِبُ أَنْ يُصْلَحَ مِنْ أُمُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَنْ دَعَاكَ مِنْهُمْ إِلَى الْإِفْسَادِ، فَلا تَتْبَعْهُ وَلا تُطِعْهُ.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[6]

﴿لِمِيقَاتِنَا﴾[7]: لِوَقْتِنَا الَّذِي وَقَّتْنَا لَهُ حَدَّدْنَاهُ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَمَعْنَى: "اللَّامِ": الاخْتِصَاصُ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: وَاخْتُصَّ مَجِيئُهُ بِمِيقَاتِنَا، كَمَا تَقُولُ: أَتَيْتُهُ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنَ الشَّهْرِ.

﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[1]: مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، كَمَا يُكَلِّمُ الْمَلَكَ، وَتَكْلِيمُهُ: أَنْ يَخْلُقَ الْكَلامُ مَنْطُوقًا بِهِ فِي بَعْضِ الْأَجْرَامِ، كَمَا خَلَقَهُ مَخْطُوطًا فِي اللَّوْحِ.

وَرُوِيَ: أَنَّ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلامُ– كَانَ يَسْمَعُ ذَلِكَ الْكَلامَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: كَلَّمَهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَكَتَبَ لَهُ الْأَلْوَاحَ.

وَقِيلَ: إِنَّمَا كَلَّمَهُ فِي أَوَّلِ الْأَرْبَعِينَ.

﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[2]: ثَانِي مَفْعُولَيْ ﴿أَرِنِي﴾[3] مَحْذُوفٌ، أَيْ: أَرِنِي نَفْسَكَ أَنْظُرْ إِلَيْكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: الرُّؤْيَةُ عَيْنُ النَّظَرِ، فَكَيْفَ قِيلَ: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ؟

قُلْتُ: مَعْنَى أَرِنِي نَفْسَكَ، اجْعَلْنِي مُتَمَكِّنًا مِنْ رُؤْيَتِكَ بِأَنْ تَتَجَلَّى لِي، فَأَنْظُرُ إِلَيْكَ وَأَرَاكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ قَالَ: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾[4] وَلَمْ يَقُلْ: "لَنْ تَنْظُرَ إِلَيَّ" لِقَوْلِهِ: ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[5]؟

قُلْتُ: لَمَّا قَالَ: ﴿أَرِنِي﴾[6] بِمَعْنَى: اجْعَلْنِي مُتَمَكِّنًا مِنَ الرُّؤْيَةِ الَّتِي هِيَ الْإِدْرَاكُ، عَلِمَ أَنَّ الطِّلْبَةَ هِيَ الرُّؤْيَةُ، لا النَّظَرُ الَّذِي لا إِدْرَاكَ مَعَهُ، فَقِيلَ: "لَنْ تَرَانِي"، وَلَمْ يَقُلْ: "لَنْ تَنْظُرَ إِلَيَّ".

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ طَلَبَ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلامُ– ذَلِكَ وَهُوَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا لا يَجُوزُ، وَبِتَعَالِيهِ عَنِ الرُّؤْيَةِ الَّتِي هِيَ إِدْرَاكٌ بِبَعْضِ الْحَوَاسِّ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَذَلِكَ إِنَّمَا يَصِحُّ فِيمَا كَانَ فِي جِهَةٍ، وَمَا لَيْسَ بِجِسْمٍ، وَلا عَرَضٍ، فَمُحَالٌ أَنْ يَكُونَ فِي جِهَةٍ، وَمَنْعُ الْمُجْبِرَةِ إِحَالَتَهُ فِي الْعُقُولِ غَيْرُ لازِمٍ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِأَوَّلِ مُكَابَرَتِهِمْ وَارْتِكَابِهِمْ، وَكَيْفَ يَكُونُ طَالِبُهُ، وَقَدْ قَالَ -حِينَ أَخَذَتِ الرَّجْفَةُ الَّذِينَ قَالُوا: أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً-: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾[1] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾[2]: فَتَبَرَّأَ مِنْ فِعْلِهِمْ، وَدَعَاهُمْ سُفَهَاءَ وَضُلَّالًا؟

قُلْتُ: مَا كَانَ طَلَبُ الرُّؤْيَةِ إِلَّا لِيُبَكِّتَ هَؤُلاءِ الَّذِينَ دَعَاهُمْ سُفَهَاءَ وَضُلَّالًا، وَتَبَرَّأَ مِنْ فِعْلِهِمْ، وَلِيُلْقِمَهُمُ الْحَجَرَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ حِينَ طَلَبُوا الرُّؤْيَةَ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ وَأَعْلَمَهُمُ الْخَطَأَ، وَنَبَّهَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، فَلَجُّوا وَتَمَادَوْا فِي لُجَاجِهِمْ، وَقَالُوا: لا بُدَّ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً؛ فَأَرَادَ أَنْ يَسْمَعُوا النَّصَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِاسْتِحَالَةِ ذَلِكَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾[3]: لِيَتَيَقَّنُوا وَيَنْزَاحَ عَنْهُمْ مَا دَخَلَهُمْ مِنَ الشُّبْهَةِ، فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[4].

فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَّا قَالَ: أَرِهِمْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا كَلَّمَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلامُ- وَهُمْ يَسْمَعُونَ، فَلَمَّا سَمِعُوا كَلامَ رَبِّ الْعِزَّةِ أَرَادُوا أَنْ يَرَى مُوسَى ذَاتَهُ فَيُبْصِرُوهُ مَعَهُ، كَمَا أَسْمَعَهُ كَلامَهُ، فَسَمِعُوهُ مَعَهُ، إِرَادَةً مَبْنِيَّةً عَلَى قِيَاسٍ فَاسِدٍ، فَلِذَلِكَ قَالَ مُوسَى: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[5]، وَلِأَنَّهُ إِذَا زُجِرَ عَمَّا طَلَبَ، وَأُنْكِرَ عَلَيْهِ فِي نُبُوَّتِهِ وَاخْتِصَاصِهِ وَزُلْفَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ -تَعَالَى-، وَقِيلَ لَهُ: لَنْ يَكُونَ ذَلِكَ، كَانَ غَيْرُهُ أَوْلَى بِالْإِنْكَارِ، لِأَنَّ الرَّسُولَ إِمَامُ أُمَّتِهِ، فَكَانَ مَا يُخَاطَبُ بِهِ أَوْ مَا يُخَاطِبُ رَاجِعًا إِلَيْهِمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[6]، وَمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الْمُقَابَلَةِ الَّتِي هِيَ مَحْضُ التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ تَرْجَمَةٌ عَنْ مُقْتَرَحِهِمْ وَحِكَايَةٌ لِقَوْلِهِمْ، وَجِلَ صَاحِبُ الْجَمَلِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ مَنْظُورًا إِلَيْهِ، مُقَابِلًا بِحَاسَّةِ النَّظَرِ، فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ أَعْرَقُ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

-تَعَالَى- مِنْ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ، وَعَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ، وَالنَّظَّامِ، وَأَبِي الْهُذَيْلِ وَالشَّيْخَيْنِ، وَجَمِيعِ الْمُتَكَلِّمِينَ؟!

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى "لَنْ"؟

قُلْتُ: تَأْكِيدُ النَّفْيِ الَّذِي تُعْطِيهِ: "لا"، وَذَلِكَ أَنَّ: "لا" تَنْفِي الْمُسْتَقْبَلَ، تَقُولُ: لا أَفْعَلُ غَدًا، فَإِذَا أَكَّدَتْ نَفْيَهَا.

قُلْتُ: لَنْ أَفْعَلَ غَدًا، وَالْمَعْنَى: إِنَّ فِعْلَهُ يُنَافِي حَالِي، كَقَوْلِهِ: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾[1]، فَقَوْلُهُ: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾[2]: نَفْيٌ لِلرُّؤْيَةِ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ، وَلَنْ تَرَانِي تَأْكِيدٌ وَبَيَانٌ، لِأَنَّ الْمَنْفِيَّ مُنَافٍ لِصِفَاتِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ اتَّصَلَ الاسْتِدْرَاكُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾[3] بِمَا قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: اتَّصَلَ بِهِ عَلَى مَعْنَى أَنَّ النَّظَرَ إِلَيَّ مُحَالٌ، فَلا تَطْلُبْهُ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِنَظَرٍ آخَرَ: وَهُوَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى الْجَبَلِ الَّذِي يَرْجُفُ بِكَ، وَبِمَنْ طَلَبَتَ الرُّؤْيَةَ لِأَجْلِهِمْ، كَيْفَ أَفْعَلُ بِهِ، وَكَيْفَ أَجْعَلُهُ دَكًّا بِسَبَبِ طَلَبِكَ الرُّؤْيَةَ؟ لِتَسْتَعْظِمَ مَا أَقْدَمْتَ عَلَيْهِ بِمَا أُرِيكَ مِنْ عِلْمِ أَثَرِهِ، كَأَنَّهُ -عَزَّ وَعَلا- حَقَّقَ عِنْدَ طَلَبِ الرُّؤْيَةِ مَا مَثَّلَهُ عِنْدَ نِسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾[4].

﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾[5]: كَمَا كَانَ مُسْتَقِرًّا ثَابِتًا ذَاهِبًا فِي جِهَاتِهِ.

﴿فَسَوْفَ تَرَانِي﴾[6]: تَعْلِيقٌ لِوُجُودِ الرُّؤْيَةِ مَوْجُودٌ مَا لا يَكُونُ مِن اسْتِقْرَارِ الْجَبَلِ مَكَانَهُ حِينَ يُدْرِكُهُ دَكًّا وَيُسَوِّيهِ بِالْأَرْضِ.

وَهَذَا كَلامٌ مُدْمَجٌ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ، وَارِدٌ عَلَى أُسْلُوبٍ عَجِيبٍ وَنَمَطٍ بَدِيعٍ، أَلا تَرَى كَيْفَ تَخَلَّصَ مِنَ النَّظَرِ إِلَى النَّظَرِ بِكَلِمَةِ الاسْتِدْرَاكِ؟ ثُمَّ كَيْفَ بَنَى الْوَعِيدَ بِالرَّجْفَةِ الْكَائِنَةِ بِسَبَبِ طَلَبِ النَّظَرِ عَلَى الشَّرِيطَةِ فِي وُجُودِ الرُّؤْيَةِ؟

---

[1] سُورَةُ الْحَجِّ، الآية 73.

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ مَرْيَمَ، الآيتان 90-91.

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

أَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾[1] : فَلَمَّا ظَهَرَ لَهُ اقْتِدَارُهُ وَتَصَدَّى لَهُ أَمْرُهُ وَإِرَادَتُهُ.

﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾[2] أَيْ: مَدْكُوكًا مَصْدَرٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ كَضَرْبِ الْأَمِيرِ، وَالدَّكُّ وَالدَّقُّ أَخَوَانِ، كَالشَّكِّ وَالشَّقِّ.

وَقُرِئَ: " دَكَّاءَ "، وَالدَّكَّاءُ: اسْمٌ لِلرَّابِيَةِ النَّاشِزَةِ مِنَ الْأَرْضِ، كَالدَّكَّةِ أَوْ أَرْضًا دَكَّاءَ مُسْتَوِيَةً، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: نَاقَةٌ دَكَّاءُ مُتَوَاضِعَةُ السَّنَامِ.

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ : قَالَ لِي الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ: ابْسُطْ يَدَكَ دَكَّاءَ، أَيْ: مُدَّهَا مُسْتَوِيَةً،

وَقَرَأَ يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ: دَكًّا، أَيْ: قِطَعًا، "دَكًّا": جَمْعُ: دَكَّاءَ.

﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾[3] : مِنْ هَوْلِ مَا رَأَى، وَصَعِقَ مِنْ بَابِ: فَعَلْتُهُ فَفَعِلَ، يُقَالُ: صَعَقْتُهُ فَصَعِقَ، وَأَصْلُهُ: مِنَ الصَّاعِقَةِ، وَيُقَالُ لَهَا: "الصَّاقِعَةُ"، مِنْ صَقَعَهُ إِذَا ضَرَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَمَعْنَاهُ: خَرَّ مُغْشِيًا عَلَيْهِ غَشْيَةً كَالْمَوْتِ.

وَرُوِيَ: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مَرَّتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مَغْشِيٌّ عَلَيْهِ، فَجَعَلُوا يَلْكُزُونَهُ بِأَرْجُلِهِمْ، وَيَقُولُونَ: يَا ابْنَ النِّسَاءِ الْحُيَّضِ أَطَمِعْتَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّ الْعِزَّةِ؟

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾[4]: مِنْ صَعَقَتْهُ.

﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾[5]: أُنَزِّهُكَ مِمَّا لا يَجُوزُ عَلَيْكَ مِنَ الرُّؤْيَةِ وَغَيْرِهَا.

﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾[6]: مِنْ طَلَبِ الرُّؤْيَةِ.

﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[7]: بِأَنَّكَ لَسْتَ بِمَرْئِيٍّ وَلا مُدْرَكٍ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَوَاسِّ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَإِنْ كَانَ طَلَبُ الرُّؤْيَةِ لِلْغَرَضِ الَّذِي ذَكَرْتَهُ، فَمِمَّ تَابَ؟

قُلْتُ: مِنْ إِجْرَائِهِ تِلْكَ الْمَقَالَةَ الْعَظِيمَةَ، وَإِنْ كَانَ لِغَرَضٍ صَحِيحٍ عَلَى لِسَانِهِ، مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ فِيهِ مِنَ اللَّهِ –تَعَالَى– فَانْظُرْ إِلَى إِعْظَامِ اللَّهِ –تَعَالَى– أَمْرَ الرُّؤْيَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَكَيْفَ

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

أَرْجَفَ الْجَبَلَ بِطَالِبِهَا وَجَعَلَهُ دَكًّا، وَكَيْفَ أَصْعَقَهُمْ وَلَمْ يُخْلِ كَلِيمَهُ مِنْ نَفَيَانِ ذَلِكَ، مُبَالَغَةً فِي إِعْظَامِ الْأَمْرِ، وَكَيْفَ سَبَّحَ رَبَّهُ مُلْتَجِئًا إِلَيْهِ، وَتَابَ مِنْ إِجْرَاءِ تِلْكَ الْكَلِمَةِ عَلَى لِسَانِهِ، وَقَالَ: أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ تَعَجَّبَ مِنَ الْمُتَّسِمِينَ بِالْإِسْلَامِ الْمُتَّسِمِينَ بِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، كَيْفَ اتَّخَذُوا هَذِهِ الْعَظِيمَةَ مَذْهَبًا، وَلا يُغْرُنَّكَ تَسَتُّرُهُمْ بِالْبَلْكَفَةِ، فَإِنَّهُ مِنْ مَنْصُوبَاتِ أَشْيَاخِهِمْ، وَالْقَوْلُ مَا قَالَ بَعْضُ الْعَدْلِيَّةِ فِيهِمْ:

لَجَمَاعَةٌ سَمَّوْا هَوَاهُمْ سُنَّـــةً وَجَمَاعَةٌ حُمْرٌ لَعَمْرِي مُوكَفَــهْ
قَدْ شَبَّهُوهُ بِخَلْقِهِ وَتَخَوَّفُـــوا شَنْعَ الْوَرَى فَتَسَتَّرُوا بِالْبَلْكَفَهْ

وَتَفْسِيرٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنْ يُرِيدَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[1] عَرِّفْنِي نَفْسَكَ تَعْرِيفًا وَاضِحًا جَلِيًّا، كَأَنَّهَا إِرَاءَةٌ فِي جَلائِهَا بِآيَةٍ مِثْلِ آيَاتِ الْقِيَامَةِ الَّتِي تَضْطَرُّ الْخَلْقَ إِلَى مَعْرِفَتِكَ.

﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[2]: أَعْرِفُكَ مَعْرِفَةَ اضْطِرَارٍ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: "سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ"، بِمَعْنَى: سَتَعْرِفُونَهُ مَعْرِفَةً جَلِيَّةً هِيَ فِي الْجَلاءِ كَإِبْصَارِكُمُ [الْقَمَرَ إِذَا امْتَلأَ وَاسْتَوَى.

﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾[3]، أَيْ: لَنْ تُطِيقَ مَعْرِفَتِي عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ، وَلَنْ تَحْتَمِلَ قُوَّتُكَ تِلْكَ الْآيَةَ الْمُضْطَرَّةَ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ، فَإِنِّي أُورِدُ عَلَيْهِ، وَأُظْهِرُ لَهُ آيَةً مِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ. فَإِنْ ثَبَتَ لِتَجَلِّيهَا وَاسْتَقَرَّ مَكَانَهُ وَلَمْ يَتَضَعْضَعْ، فَسَوْفَ تَثْبُتُ لَهَا وَتُطِيقُهَا.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾[4]: فَلَمَّا ظَهَرَتْ لَهُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ.

﴿جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾[5]: لِعِظَمِ مَا رَأَى.

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾[6]: مِمَّا اقْتَرَحْتَ وَتَجَاسَرْتَ.

﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[7]: بِعَظَمَتِكَ وَجَلالِكَ، وَأَنْ شَيْئًا لا يَقُومُ لِبَطْشِكَ وَبَأْسِكَ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[1]

﴿اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾[2]: اخْتَرْتُكَ عَلَى أَهْلِ زَمَانِكَ وَآثَرْتُكَ عَلَيْهِمْ.

﴿بِرِسَالاتِي﴾[3]، وَهِيَ: أَسْفَارُ التَّوْرَاةِ.

﴿وَبِكَلامِي﴾[4]: وَبِتَكْلِيمِي إِيَّاكَ.

﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾[5]: مَا أَعْطَيْتُكَ مِنْ شَرَفِ النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ.

﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[6]: عَلَى النِّعْمَةِ فِي ذَلِكَ فَهِيَ مِنْ أَجَلِّ النِّعَمِ، وَقِيلَ: خَرَّ مُوسَى صَعِقًا يَوْمَ عَرَفَةَ، وَأُعْطِيَ التَّوْرَاةَ يَوْمَ النَّحْرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قِيلَ: اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ وَكَانَ هَارُونُ مُصْطَفًى مِثْلَهُ نَبِيًّا؟

قُلْتُ: أَجَلْ، وَلَكِنَّهُ كَانَ تَابِعًا لَهُ وَرِدْءًا وَوَزِيرًا، وَالْكَلِيمُ: هُوَ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلامُ– وَالْأَصِيلُ فِي حَمْلِ الرِّسَالَةِ.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[7]

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

ذَكَرُوا فِي عَدَدِ الْأَلْوَاحِ، وَفِي جَوْهَرِهَا، وَطُولِهَا أَنَّهَا كَانَتْ عَشْرَةَ أَلْوَاحٍ. وَقِيلَ: سَبْعَةً، وَقِيلَ: لَوْحَيْنِ، وَأَنَّهَا كَانَتْ مِنْ زُمُرُّدٍ جَاءَ بِهَا جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلامُ-. وَقِيلَ: مِنْ زَبَرْجَدَةٍ خَضْرَاءَ وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ.

وَقِيلَ: أَمَرَ اللَّهُ مُوسَى بِقَطْعِهَا مِنْ صَخْرَةٍ صَمَّاءَ لِينُهَا لَهُ، فَقَطَعَهَا بِيَدِهِ وَشَقَّهَا بِأَصَابِعِهِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: كَانَتْ مِنْ خَشَبٍ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فِيهَا التَّوْرَاةُ، وَأَنَّ طُولَهَا كَانَ عَشَرَةَ أَذْرُعٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾[12]: فِي مَحَلِّ النَّصْبِ مَفْعُولُ كَتَبْنَا.

وَ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً﴾[3]: بَدَلٌ مِنْهُ.

وَالْمَعْنَى: كَتَبْنَا لَهُ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ فِي دِينِهِمْ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَتَفْصِيلِ الْأَحْكَامِ.

وَقِيلَ: أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ، وَهِيَ سَبْعُونَ وَقْرَ بِعِيرٍ، يُقْرَأُ الْجُزْأُ مِنْهُ فِي سَنَةٍ لَمْ يَقْرَأْهَا إِلَّا أَرْبَعَةُ نَفَرٍ: مُوسَى، وَيُوشَعُ، وَعُزَيْرٌ، وَعِيسَى -عَلَيْهِمُ السَّلامُ-.

وَعَنْ مُقَاتِلٍ: كَتَبَ فِي الْأَلْوَاحِ: "إِنِّي أَنَا اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، لا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، وَلا تَقْطَعُوا السَّبِيلَ، وَلا تَحْلِفُوا بِاسْمِي كَاذِبِينَ، فَإِنَّ مِنْ حَلَفَ بِاسْمِي كَاذِبًا فَلا أُزَكِّيهِ، وَلا تَقْتُلُوا وَلا تَزْنُوا وَلا تَعُقُّوا الْوَالِدَيْنِ".

﴿فَخُذْهَا﴾[4]، فَقُلْنَا لَهُ: خُذْهَا، عَطْفًا عَلَى كَتَبْنَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾[5].

وَالضَّمِيرُ فِي "خُذْهَا": لِلْأَلْوَاحِ، أَوْ لِكُلِّ شَيْءٍ، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْأَشْيَاءِ، أَوِ الرِّسَالاتِ، أَوْ لِلتَّوْرَاةِ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَمَعْنَى ﴿بِقُوَّةٍ﴾[1]: بِجِدٍّ وَعَزِيمَةٍ فَعَلَ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.

﴿يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾[2]، أَيْ: فِيهَا مَا هُوَ حَسَنٌ وَأَحْسَنُ، كَالاقْتِصَاصِ، وَالْعَفْوِ، وَالانْتِصَارِ، وَالصَّبْرِ، فَمُرْهُمْ أَنْ يَحْمِلُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي الْأَخْذِ بِمَا هُوَ أَدْخَلُ فِي الْحُسْنِ وَأَكْثَرُ لِلثَّوَابِ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[3].

وَقِيلَ: يَأْخُذُوا بِمَا هُوَ وَاجِبٌ أَوْ نَدْبٌ، لِأَنَّهُ أَحْسَنُ مِنَ الْمُبَاحِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: يَأْخُذُوا بِمَا أُمِرُوا بِهِ، دُونَ مَا نُهُوا عَنْهُ، عَلَى قَوْلِكَ: الصَّيْفُ أَحَرُّ مِنَ الشِّتَاءِ.

﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[4]: يُرِيدُ دَارَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَهِيَ مِصْرُ، كَيْفَ أَقْفَرَتْ مِنْهُمْ، وَدُمِّرُوا لِفِسْقِهِمْ، لِتَعْتَبِرُوا فَلا تَفْسُقُوا مِثْلَ فِسْقِهِمْ فَيُنَكَّلَ بِكُمْ مِثْلَ نَكَالِهِمْ.

وَقِيلَ: مَنَازِلُ عَادٍ، وَثَمُودَ، وَالْقُرُونِ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، لِفِسْقِهِمْ فِي مَمَرِّكُمْ عَلَيْهَا فِي أَسْفَارِكُمْ.

وَقِيلَ: دَارُ الْفَاسِقِينَ: نَارُ جَهَنَّمَ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "سَأُورِيكُمْ"، وَهِيَ لُغَةٌ فَاشِيَةٌ بِالْحِجَازِ، يُقَالُ: أَوْرِنِي كَذَا، وَأَوْرَيْتُهُ، وَوَجْهُهُ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَوْرَيْتُ الزَّنْدَ، كَأَنَّ الْمَعْنَى: بَيِّنْهُ لِي وَأَنِرْهُ لِأَسْتَبِينَهُ.

وَقُرِئَ: "سَأُورِثُكُمْ"، قِرَاءَةً حَسَنَةً يُصَحِّحُهَا قَوْلُهُ: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾[5].

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾[6]: بِالطَّبْعِ عَلَى قُلُوبِ الْمُتَكَبِّرِينَ وَخِذْلانِهِمْ، فَلا يُفَكِّرُونَ فِيهَا وَلا يَعْتَبِرُونَ بِهَا، غَفْلَةً وَانْهِمَاكًا فِيمَا يَشْغَلُهُمْ عَنْهَا مِنْ شَهَوَاتِهِمْ.

وَعَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ: ذُكِرَ لَنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِذَا عَظَّمَتْ أُمَّتِي الدُّنْيَا نُزِعَ عَنْهَا هَيْبَةُ الْإِسْلامِ، وَإِذَا تَرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ حُرِمَتْ بَرَكَةَ الْوَحْيِ".

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الزُّمَرِ، الآية 55.

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية 137.

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَقِيلَ: سَأَصْرِفُهُمْ عَنْ إِبْطَالِهَا وَإِنِ اجْتَهَدُوا كَمَا اجْتَهَدَ فِرْعَوْنُ أَنْ يُبْطِلَ آيَةَ مُوسَى، بِأَنْ جَمَعَ لَهَا السَّحَرَةَ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا عُلُوَّ الْحَقِّ وَانْتِكَاسَ الْبَاطِلِ.

وَيَجُوزُ: سَأَصْرِفُهُمْ عَنْهَا وَعَنِ الطَّعْنِ فِيهَا وَالاسْتِهَانَةِ بِهَا، وَتَسْمِيَتِهَا سِحْرًا بِإِهْلاكِهِمْ، وَفِيهِ إِنْذَارٌ لِلْمُخَاطَبِينَ مِنْ عَاقِبَةِ الَّذِينَ يَصْرِفُونَ عَنِ الْآيَاتِ، لِتَكَبُّرِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِهَا، لِئَلَّا يَكُونُوا مِثْلَهُمْ فَيُسْلَكَ بِهِمْ سَبِيلَهُمْ.

﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[1]: فِيهِ وَجْهَانِ: أَنْ يَكُونَ حَالًا بِمَعْنَى يَتَكَبَّرُونَ غَيْرَ مُحِقِّينَ، لِأَنَّ التَّكَبُّرَ بِالْحَقِّ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنْ يَكُونَ صِلَةً لِفِعْلِ التَّكَبُّرِ، أَيْ: يَتَكَبَّرُونَ بِمَا لَيْسَ بِحَقٍّ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ دِينِهِمْ.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ﴾[2] مِنَ الْآيَاتِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَيْهِمْ.

﴿لا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾[3]: وَقَرَأَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: "وَإِنْ يُرَوْا" بِضَمِّ الْيَاءِ.

وَقُرِئَ: "سَبِيلَ الرُّشْدِ"، وَ"الرَّشَدِ"، وَ"الرَّشَادِ"، كَقَوْلِهِمُ: السُّقْمُ، وَالسَّقَمُ، وَالسَّقَامُ، وَمَا أَسْفَهَ مَنْ رَكِبَ الْمَفَازَةَ، فَإِنْ رَأَى طَرِيقًا مُسْتَقِيمًا أَعْرَضَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ، وَإِنْ رَأَى مُعْتَسِفًا مُرْدِيًا أَخَذَ فِيهِ وَسَلَكَهُ، فَفَاعِلُ نَحْوِ ذَلِكَ فِي دِينِهِ أَسَفَهُ.

﴿ذَلِكَ﴾[4]: فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ أَوِ النَّصْبِ عَلَى مَعْنَى: ذَلِكَ الصَّرْفُ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ أَوْ صَرَفَهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ الصَّرْفَ بِسَبَبِهِ.

﴿وَلِقَاءِ الآخِرَةِ﴾[5]: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى الْمَفْعُولِ بِهِ، أَيْ: وَلِقَائِهِمُ الْآخِرَةَ وَمُشَاهَدَتِهِمْ أَحْوَالَهَا، وَمِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى الظَّرْفِ بِمَعْنَى: وَلِقَاءُ مَا وَعَدَ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾[2]: مِنْ بَعْدِ فِرَاقِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى الطُّوْرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قِيلَ: وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى عِجْلًا، وَالْمُتَّخَذُ هُوَ السَّامِرِيُّ؟

قُلْتُ: فِيهِ وَجْهَانِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنْ يُنْسَبَ الْفِعْلُ إِلَيْهِمْ، لِأَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ بَاشَرَهُ وَوُجِدَ فِيمَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، كَمَا يُقَالُ: بَنُو تَمِيمٍ قَالُوا كَذَا وَفَعَلُوا كَذَا، وَالْقَائِلُ وَالْفَاعِلُ وَاحِدٌ، وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا مُرِيدِينَ لِاتِّخَاذِهِ رَاضِينَ بِهِ، فَكَأَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَيْهِ.

– وَالثَّانِي: أَنْ يُرَادَ وَاتَّخَذُوهُ إِلَهًا وَعَبَدُوهُ.

وَقُرِئَ: "مِنْ حُلِيِّهِمْ" بِضَمِّ الْحَاءِ وَالتَّشْدِيدِ، جَمْعُ حُلِيٍّ، كَذَكْرٍ وَذُكِرٍّ، وَ"مِنْ حُلِيِّهِمْ" –بِالْكَسْرِ– لِلْإِتْبَاعِ كَدُلِيٍّ، وَ"مِنْ حُلِيِّهِمْ"، عَلَى التَّوْحِيدِ، وَالْحُلِيُّ: اسْمٌ لِمَا يُتَحَسَّنُ بِهِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قَالَ: مِنْ حُلِيِّهِمْ، وَلَمْ يَكُنِ الْحُلِيُّ لَهُمْ، إِنَّمَا كَانَتْ عَوَارِيَ فِي أَيْدِيهِمْ؟

قُلْتُ: الْإِضَافَةُ تَكُونُ بِأَدْنَى مُلَابَسَةٍ، وَكَوْنُهَا عَوَارِيَّ فِي أَيْدِيهِمْ كَفَى بِهِ مُلَابَسَةً عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ مَلَكُوهَا بَعْدَ الْمُهْلِكِينَ، كَمَا مَلَكُوا غَيْرَهَا مِنْ أَمْلَاكِهِمْ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ –عَزَّ وَعَلَا–: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[3]؟!

﴿جَسَدًا﴾[4]: بَدَنًا ذَا لَحْمٍ وَدَمٍ كَسَائِرِ الْأَجْسَادِ.

وَ﴿الْخُوَارُ﴾[5]: صَوْتُ الْبَقَرِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الشُّعَرَاءِ، الآيات 57–58–59.

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّ السَّامِرِيَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنْ أَثَرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ –عَلَيْهِ السَّلامُ– يَوْمَ قَطْعِ الْبَحْرِ، فَقَذَفَهُ فِي الْعَجَلِ، فَكَانَ عِجْلًا لَهُ خُوَارٌ.

وَقَرَأَ عَلِيٌّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "جُؤَارٌ"، بِالْجِيمِ وَالْهَمْزَةِ، مِنْ جَأَرَ إِذَا صَاحَ، وَانْتِصَابُ جَسَدًا عَلَى الْبَدَلِ مِنْ: "عِجْلًا".

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾[1]: حِينَ اتَّخَذُوهُ إِلَهًا أَنَّهُ لا يَقْدِرُ عَلَى كَلامٍ وَلا عَلَى هِدَايَةِ سَبِيلٍ، حَتَّى لا يَخْتَارُوهُ عَلَى مَنْ "لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِهِ لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُهُ"، وَهُوَ الَّذِي هَدَى الْخَلْقَ إِلَى سُبُلِ الْحَقِّ وَمَنَاهِجِهِ بِمَا رَكَزَ فِي الْعُقُولِ مِنَ الْأَدِلَّةِ، وَبِمَا أُنْزِلَ فِي كُتُبِهِ.

ثُمَّ ابْتَدَأَ، فَقَالَ: ﴿اتَّخَذُوهُ﴾[2]، أَيْ: أَقْدَمُوا عَلَى مَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ الْمُنْكَرِ.

﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾[3]: وَاضِعِينَ كُلَّ شَيْءٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَلَمْ يَكُنِ اتِّخَاذُ الْعِجْلِ بِدْعًا مِنْهُمْ، وَلا أَوَّلَ مَنَاكِيرِهِمْ.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾[4]: وَلَمَّا اشْتَدَّ نَدَمُهُمْ وَحَسْرَتُهُمْ عَلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ، لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ مَنِ اشْتَدَّ نَدَمُهُ وَحَسْرَتُهُ أَنْ يَعَضَّ يَدَهُ غَمًّا، فَتَصِيرُ يَدُهُ مَسْقُوطًا فِيهَا، لِأَنَّ فَاهُ قَدْ وَقَعَ فِيهَا.

وَ﴿سُقِطَ﴾[5]: مُسْنَدٌ إِلَى: ﴿فِي أَيْدِيهِمْ﴾[6]، وَهُوَ مِنْ بَابِ الْكِنَايَةِ.

وَقَرَأَ أَبُو السَّمَيْفَعِ: سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ، عَلَى تَسْمِيَةِ الْفَاعِلِ، أَيْ: وَقَعَ الْعَضُّ فِيهَا.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَاهُ سَقَطَ النَّدَمُ فِي أَيْدِيهِمْ، أَيْ: فِي قُلُوبِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، كَمَا يُقَالُ: حَصَلَ فِي يَدِهِ مَكْرُوهٌ، وَإِنْ كَانَ مُحَالًا أَنْ يَكُونَ فِي الْيَدِ، تَشْبِيهًا لِمَا يَحْصُلُ فِي الْقَلْبِ وَفِي النَّفْسِ، بِمَا يَحْصُلُ فِي الْيَدِ وَيُرَى بِالْعَيْنِ.

﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾[7]: وَتَبَيَّنُوا لَهُمْ تَبَيُّنًا كَأَنَّهُمْ أَبْصَرُوهُ بِعُيُونِهِمْ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَقُرِئَ: "لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَتَغْفِرْ لَنَا"، وَبِالتَّاءِ، وَرَبَّنَا، بِالنَّصْبِ عَلَى النِّدَاءِ، وَهَذَا كَلامُ التَّائِبِينَ، كَمَا قَالَ آدَمُ وَحَوَّاءُ –عَلَيْهِمَا السَّلامُ–: "وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا".

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1]

الْأَسِفُ: الشَّدِيدُ الْغَضَبِ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[2].

وَقِيلَ: هُوَ الْحَزِينُ.

﴿خَلَفْتُمُونِي﴾[3]: قُمْتُمْ مَقَامِي وَكُنْتُمْ خُلَفَائِي مِنْ بَعْدِي، وَهَذَا الْخِطَابُ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعَبَدَةِ الْعِجْلِ مِنَ السَّامِرِيِّ وَأَشْيَاعِهِ، أَوْ لِوُجُوهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُمْ هَارُونُ –عَلَيْهِ السَّلامُ– وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْهُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾[4].

وَالْمَعْنَى: بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي، حَيْثُ عَبَدْتُمُ الْعِجْلَ مَكَانَ عِبَادَةِ اللَّهِ، أَوْ حَيْثُ لَمْ تَكُفُّوا مَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيْنَ مَا تَقْتَضِيهِ بِئْسَ مِنَ الْفَاعِلِ وَالْمَخْصُوصِ بِالذَّمِّ؟

قُلْتُ: الْفَاعِلُ مُضْمَرٌ يُفَسِّرُهُ مَا خَلَفْتُمُونِي، وَالْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: بِئْسَ خِلافَةً خَلَفْتُمُونِيهَا مِنْ بَعْدِ خِلافَتِكُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ مَعْنَى لِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ بَعْدِي﴾[5] بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾[6]؟

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية 142.

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

قُلْتُ: مَعْنَاهُ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَيْتُمْ مِنِّي، مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَنَفْيِ الشُّرَكَاءِ عَنْهُ، وَإِخْلاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، أَوْ مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتُ أَحْمِلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَأَكْفِهِمْ عَمَّا طَمَحَتْ نَحْوَهُ أَبْصَارُهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْبَقَرِ، حِينَ قَالُوا: ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[1]؛ وَمِنْ حَقِّ الْخُلَفَاءِ أَنْ يَسِيرُوا بِسِيرَةِ الْمُسْتَخْلَفِ مِنْ بَعْدِهِ وَلا يُخَالِفُوهُ، وَنَحْوُهُ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾[2]، أَيْ: مِنْ بَعْدِ أُولَئِكَ الْمَوْصُوفِينَ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، يُقَالُ: عَجِلَ عَنِ الْأَمْرِ إِذَا تَرَكَهُ غَيْرَ تَامٍّ.

وَنَقِيضُهُ: تَمَّ عَلَيْهِ وَأَعْجَلَهُ عَنْهُ غَيْرُهُ، وَيَضْمَنُ مَعْنَى سَبَقَ، فَيَتَعَدَّى تَعْدِيَتَهُ، فَيُقَالُ: عَجِلْتُ الْأَمْرَ، وَالْمَعْنَى: أَعَجِلْتُمْ عَنْ أَمْرِ رَبِّكُمْ، وَهُوَ انْتِظَارُ مُوسَى حَافِظِينَ لِعَهْدِهِ وَمَا وَصَّاكُمْ بِهِ، فَبَنَيْتُمُ الْأَمْرَ عَلَى أَنَّ الْمِيعَادَ قَدْ بَلَغَ آخِرَهُ وَلَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكُمْ، فَحَدَّثْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِمَوْتِي، فَغَيَّرْتُمْ كَمَا غَيَّرَتِ الْأُمَمُ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِمْ.

وَرُوِيَ: أَنَّ السَّامِرِيَّ قَالَ لَهُمْ –حِينَ أَخْرَجَ لَهُمُ الْعِجْلَ وَقَالَ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى–: إِنَّ مُوسَى لَنْ يَرْجِعَ، وَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ.

وَرُوِيَ: أَنَّهُمْ عَدُّوا عِشْرِينَ يَوْمًا بِلَيَالِيهَا فَجَعَلُوهَا أَرْبَعِينَ، ثُمَّ أَحْدَثُوا مَا أَحْدَثُوا.

﴿وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ﴾[3]: وَطَرَحَهَا لِمَا لَحِقَهُ مِنْ فَرْطِ الدَّهَشِ وَشِدَّةِ الضَّجَرِ عِنْدَ اسْتِمَاعِهِ حَدِيثَ الْعِجْلِ، غَضَبًا لِلَّهِ وَحَمِيَّةً لِدِينِهِ، وَكَانَ فِي نَفْسِهِ حَدِيدًا شَدِيدَ الْغَضَبِ، وَكَانَ هَارُونُ أَلْيَنَ مِنْهُ جَانِبًا، وَلِذَلِكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مُوسَى.

وَرُوِيَ: أَنَّ التَّوْرَاةَ كَانَتْ سَبْعَةَ أَسْبَاعٍ، فَلَمَّا أَلْقَى الْأَلْوَاحَ تَكَسَّرَتْ، فَرَفَعَ مِنْهَا سِتَّةَ أَسْبَاعِهَا وَبَقِيَ مِنْهَا سُبْعٌ وَاحِدٌ، وَكَانَ فِيمَا رُفِعَ تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ، وَالرَّحْمَةُ.

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾[4]، أَيْ: بِشَعْرِ رَأْسِهِ ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾[5]: بِذُؤَابَتِهِ، وَذَلِكَ لِشِدَّةِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي اسْتَفَزَّهُ وَذَهَبَ بِفِطْنَتِهِ، وَظَنَّا بِأَخِيهِ أَنَّهُ فَرَّطَ فِي الْكَفِّ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية 138.

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية 138.

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿ابْنَ أُمَّ﴾[1] قُرِئَ بِالْفَتْحِ، تَشْبِيهًا بِخَمْسَةَ عَشَرَ، وَبِالْكَسْرِ عَلَى طَرْحِ يَاءِ الْإِضَافَةِ، "وَابْنَ أُمِّي" وَبِالْيَاءِ، "وَابْنَ إِمِّ"، بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَالْمِيمِ.

وَقِيلَ: كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَإِنْ صَحَّ فَإِنَّمَا أَضَافَهُ إِلَى الْأُمِّ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمَا مِنْ بَطْنٍ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ أَدْعَى إِلَى الْعَطْفِ وَالرِّقَّةِ، وَأَعْظَمُ لِلْحَقِّ الْوَاجِبِ، وَلِأَنَّهَا كَانَتْ مُؤْمِنَةً فَاعْتُدَّ بِنَسَبِهَا، وَلِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي قَاسَتْ فِيهِ الْمَخَاوِفَ وَالشَّدَائِدَ فَذَكَّرَهُ بِحَقِّهَا.

﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾[2]، يَعْنِي: أَنَّهُ لَمْ يَأْلُ جُهْدًا فِي كَفِّهِمْ بِالْوَعْظِ وَالْإِنْذَارِ، وَبِمَا بَلَّغَتْهُ طَاقَتُهُ مَنْ بَذْلِ الْقُوَّةِ فِي مُضَادَّتِهِمْ حَتَّى قَهَرُوهُ وَاسْتَضْعَفُوهُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَقْتُلُوهُ.

﴿فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ﴾[3]: فَلا تَفْعَلْ بِي مَا هُوَ أُمْنِيَتُهُمْ مِنَ الاسْتِهَانَةِ بِي وَالْإِسَاءَةِ إِلَيَّ.

وَقُرِئَ: "فَلا يُشَمَّتُ بِي الْأَعْدَاءُ"، عَلَى نَهْيِ الْأَعْدَاءِ عَنِ الشَّمَاتَةِ، وَالْمُرَادُ أَنْ لا يَحِلَّ بِهِ مَا يَشْمَتُونَ بِهِ لِأَجْلِهِ.

﴿وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[4]: وَلا تَجْعَلْنِي فِي مَوْجِدَتِكَ عَلَيَّ وَعُقُوبَتِكَ لِي قَرِينًا لَهُمْ وَصَاحِبًا، أَوْ وَلا تَعْتَقِدْ أَنِّي وَاحِدٌ مِنَ الظَّالِمِينَ مَعَ بَرَاءَتِي مِنْهُمْ وَمِنْ ظُلْمِهِمْ، لَمَّا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ أَخُوهُ وَذَكَرَ لَهُ شَمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي﴾[5]: لِيُرْضِيَ أَخَاهُ، وَيُظْهِرَ لِأَهْلِ الشَّمَاتَةِ رِضَاهُ عَنْهُ، فَلا تُتِمَّ لَهُمْ شَمَاتَتَهُمْ. وَاسْتَغْفَرَ لِنَفْسِهِ مِمَّا فَرَطَ مِنْهُ إِلَى أَخِيهِ، وَلِأَخِيهِ أَنْ عَسَى فَرَّطَ فِي حُسْنِ الْخِلافَةِ، وَطَلَبَ أَلَّا يَتَفَرَّقَا عَنْ رَحْمَتِهِ، وَلا تَزَالُ مُنْتَظِمَةً لَهُمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾[6]

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾[1] الْغَضَبُ: مَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ قَتْلِ أَنْفُسِهِمْ، وَالذِّلَّةُ: خُرُوجُهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، لِأَنَّ ذُلَّ الْغُرْبَةِ مَثَلٌ مَضْرُوبٌ.

وَقِيلَ: هُوَ مَا نَالَ أَبْنَاءَهُمْ، وَهُمْ بَنُو قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، مِنْ غَضَبِ اللَّهِ -تَعَالَى- بِالْقَتْلِ وَالْجَلاءِ، وَمِنَ الذِّلَّةِ بِضَرْبِ الْجِزْيَةِ.

﴿الْمُفْتَرِينَ﴾[2]: الْمُتَكَذِّبِينَ عَلَى اللَّهِ، وَلا فِرْيَةَ أَعْظَمُ مِنْ قَوْلِ السَّامِرِيِّ: هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالذِّلَّةِ وَحْدَهَا، وَيُرَادُ: سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ فِي الْآخِرَةِ، وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ. وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3]

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾[4]: مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي كُلِّهَا.

﴿ثُمَّ تَابُوا﴾[5]: ثُمَّ رَجَعُوا.

﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾[6]: إِلَى اللَّهِ وَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ.

﴿وَآمَنُوا﴾[7]: وَأَخْلَصُوا الْإِيمَانَ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾[8]: مِنْ بَعْدِ تِلْكَ الْعَظَائِمِ.

﴿لَغَفُورٌ﴾[9]: لَسَتُورٌ عَلَيْهِمْ مَحَّاءٌ لِمَا كَانَ مِنْهُمْ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

9 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿رَحِيمٌ﴾[1]: مُنْعِمٌ عَلَيْهِمْ بِالْجَنَّةِ، وَهَذَا حُكْمٌ عَامٌّ يَدْخُلُ تَحْتَهُ مُتَّخِذُو الْعِجْلِ وَمَنْ عَدَاهُمْ، عَظُمَ جِنَايَتُهُمْ أَوْ لا ثُمَّ أَرْدَفَهَا تَعْظِيمَ رَحْمَتِهِ، لِيَعْلَمَ أَنَّ الذُّنُوبَ وَإِنْ جَلَّتْ وَعَظُمَتْ، فَإِنَّ عَفْوَهُ وَكَرَمَهُ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ، وَلَكِنْ لا بُدَّ مِنْ حِفْظِ الشَّرِيطَةِ، وَهِيَ وُجُوبُ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَمَا وَرَاءَهُ طَمَعٌ فَارِغٌ، وَأَشْعَبِيَّةٌ بَارِدَةٌ، لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا حَازِمٌ.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[2]

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾[3]: هَذَا مَثَلٌ، كَأَنَّ الْغَضَبَ كَانَ يُغْرِيهِ عَلَى مَا فَعَلَ، وَيَقُولُ لَهُ: قُلْ لِقَوْمِكَ كَذَا، وَأَلْقِ الْأَلْوَاحَ، وَجُرَّ بِرَأْسِ أَخِيكَ إِلَيْكَ، فَتَرَكَ النُّطْقَ بِذَلِكَ، وَقَطَعَ الْإِغْرَاءَ، وَلَمْ يَسْتَحْسِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ، وَلَمْ يَسْتَفْصِحْهَا كُلُّ ذِي طَبْعٍ سَلِيمٍ، وَذَوْقٍ صَحِيحٍ إِلَّا لِذَلِكَ، وَلِأَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ شُعَبِ الْبَلاغَةِ؛ وَإِلَّا فَمَا لِقِرَاءَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ: "وَلَمَّا سَكَنَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ"، لا تَجِدُ النَّفْسُ عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْهَزَّةِ، وَطَرَفًا مِنْ تِلْكَ الرَّوْعَةِ.

وَقُرِئَ: "وَلَمَّا سَكَتَ"، وَ"أَسْكَتَ"، أَيْ: أَسْكَتَهُ اللَّهُ، أَوْ أَخُوهُ بِاعْتِذَارِهِ إِلَيْهِ وَتَنَصُّلِهِ.

وَالْمَعْنَى: وَلَمَّا طَفِئَ غَضَبُهُ، ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾[4]: الَّتِي أَلْقَاهَا.

﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾[5]: وَفِيمَا نُسِخَ مِنْهَا، أَيْ: كُتِبَ، وَ"النُّسْخَةُ": فُعْلَةٌ، بِمَعْنَى: مَفْعُولٍ، كَالْخُطْبَةِ.

﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[6]: دَخَلَتِ اللَّامُ لِتَقَدُّمِ الْمَفْعُولِ، لِأَنَّ تَأَخُّرَ الْفِعْلِ عَنْ مَفْعُولِهِ يُكْسِبُهُ ضَعْفًا، وَنَحْوُهُ: ﴿لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[7]، وَتَقُولُ: لَكَ ضَرَبْتُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ يُوسُفَ، الآية 43.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مِنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مِنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾[2] أَيْ: مِنْ قَوْمِهِ، فَحُذِفَ الْجَارُّ أَوْصَلَ الْفِعْلَ، كَقَوْلِهِ:

وَمِنَّا الَّذِي اخْتِيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً

قِيلَ: اخْتَارَ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ سِبْطًا، مِنْ كُلِّ سِبْطٍ سِتَّةٌ حَتَّى تَتَامُّوا اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ، فَقَالَ: لِيَتَخَلَّفَ مِنْكُمْ رَجُلانِ، فَتَشَاحُّوا، فَقَالَ: إِنَّ لِمَنْ قَعَدَ مِنْكُمْ مِثْلَ أَجْرِ مَنْ خَرَجَ، فَقَعَدَ كَالِبُ وَيُوشَعُ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمْ يُصِبْ إِلَّا سِتِّينَ شَيْخًا، فَأَوْحَى اللَّهُ -تَعَالَى- إِلَيْهِ أَنْ تَخْتَارَ مِنَ الشُّبَّانِ عَشْرَةً، فَاخْتَارَهُمْ فَأَصْبَحُوا شُيُوخًا، وَقِيلَ: كَانُوا أَبْنَاءً مَا عَدَا الْعِشْرِينَ، وَلَمْ يَتَجَاوَزُوا الْأَرْبَعِينَ، قَدْ ذَهَبَ عَنْهُمُ الْجَهْلُ وَالصِّبَا، فَأَمَرَهُمْ مُوسَى أَنْ يَصُومُوا، وَيَتَطَهَّرُوا، وَيُطَهِّرُوا ثِيَابَهُمْ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمْ إِلَى طَوْرِ سَيْنَاءَ لِمِيقَاتِ رَبِّهِ، وَكَانَ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يَأْتِيَهُ فِي سَبْعِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

فَلَمَّا دَنَا مُوسَى مِنَ الْجَبَلِ، وَقَعَ عَلَيْهِ عَمُودُ الْغَمَامِ حَتَّى تَغَشَّى الْجَبَلُ كُلُّهُ، وَدَنَا مُوسَى وَدَخَلَ فِيهِ، وَقَالَ لِلْقَوْمِ: ادْنُوا، فَدَنَوْا، حَتَّى إِذَا دَخَلُوا فِي الْغَمَامِ وَقَعُوا سُجَّدًا، فَسَمِعُوهُ وَهُوَ يُكَلِّمُ مُوسَى يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ: افْعَلْ، وَلا تَفْعَلْ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

ثُمَّ انْكَشَفَ الْغَمَامُ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ، فَطَلَبُوا الرُّؤْيَةَ فَوَعَظَهُمْ، وَزَجَرَهُمْ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا مُوسَى، لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً، فَقَالَ: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ، يُرِيدُ: أَنْ يَسْمَعُوا الرَّدَّ وَالْإِنْكَارَ مِنْ جِهَتِهِ، فَأُجِيبَ: بِ ﴿لَنْ تَرَانِي﴾[1]، وَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَصَعِقُوا.

وَلَمَّا كَانَتِ الرَّجْفَةُ، "قَالَ" مُوسَى: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾[2].

وَهَذَا تَمَنٍّ مِنْهُ لِلْإِهْلَاكِ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَا رَأَى مِنْ تَبِعَةِ طَلَبَةِ الرُّؤْيَةِ، كَمَا يَقُولُ النَّادِمُ عَلَى الْأَمْرِ إِذَا رَأَى سُوءَ الْمَغَبَّةِ: لَوْ شَاءَ اللَّهُ، لَأَهْلَكَنِي قَبْلَ هَذَا.

﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾[3] يَعْنِي: أَتُهْلِكُنَا جَمِيعًا، يَعْنِي: نَفْسَهُ وَإِيَّاهُمْ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا طَلَبَ الرُّؤْيَةَ زَجْرًا لِلسُّفَهَاءِ، وَهُمْ طَلَبُوهَا سَفَهًا وَجَهْلًا.

﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ﴾[4]، أَيْ: مِحْنَتُكَ وَابْتِلاؤُكَ حِينَ كَلَّمْتَنِي وَسَمِعُوا كَلامَكَ، فَاسْتَدَلُّوا بِالْكَلامِ عَلَى الرُّؤْيَةِ اسْتِدْلالًا فَاسِدًا، حَتَّى افْتَتَنُوا وَضَلُّوا.

﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾[5]، تَضِلُّ بِالْمِحْنَةِ الْجَاهِلِينَ غَيْرَ الثَّابِتِينَ فِي مَعْرِفَتِكَ، وَتَهْدِي الْعَالِمِينَ بِكَ الثَّابِتِينَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ إِضْلالًا مِنَ اللَّهِ وَهُدًى مِنْهُ، لِأَنَّ مِحْنَتَهُ لَمَّا كَانَتْ سَبَبًا لِأَنْ ضَلُّوا وَاهْتَدَوْا، فَكَأَنَّهُ أَضَلَّهُمْ بِهَا، وَهَدَاهُمْ عَلَى الاتِّسَاعِ فِي الْكَلامِ.

﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾[6]: مَوْلانَا الْقَائِمُ بِأُمُورِنَا.

﴿وَاكْتُبْ لَنَا﴾[7]: وَأَثْبِتْ لَنَا وَأَقْسِمْ.

﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾[8]: عَافِيَةً، وَحَيَاةً طَيِّبَةً، وَتَوْفِيقًا فِي الطَّاعَةِ.

﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾[9]: الْجَنَّةُ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

9 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[1]: تُبْنَا إِلَيْكَ، وَهَادَ إِلَيْهِ يَهُودُ إِذَا رَجَعَ وَتَابَ، وَالْهُودُ: جَمْعُ هَائِدٍ، وَهُوَ التَّائِبُ، وَلِبَعْضِهِمْ:

يَا رَاكِبَ الذَّنْبِ هُدْهُدْ وَاسْجُدْ كَأَنَّكَ هُدْهُدْ

وَقَرَأَ أَبُو وَجْرَةَ السَّعْدِيُّ: "هُدْنَا إِلَيْكَ"، بِكَسْرِ الْهَاءِ، مِنْ هَادَهُ يَهِيدُهُ إِذَا حَرَّكَهُ وَأَمَالَهُ.

وَيَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ: أَنْ يَكُونَ مُبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ، بِمَعْنَى: حَرَّكْنَا إِلَيْكَ أَنْفُسَنَا وَأَمَلْنَاهَا أَوْ حَرَّكْنَا إِلَيْكَ وَأَمَلْنَا عَلَى تَقْدِيرِ: فَعَلْنَا، كَقَوْلِكَ: عِدْتَ يَا مَرِيضُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ، فَعَلْتَ مِنَ الْعِيَادَةِ.

وَيَجُوزُ: عُدْتَ بِالْإِشْمَامِ، وَعُدْتَ، بِإِخْلَاصِ الضَّمَّةِ فِيمَنْ قَالَ: عَوْدُ الْمَرِيضِ، وَقَوْلُ الْقَوْلِ.

وَيَجُوزُ عَلَى هَذِهِ اللُّغَةِ أَنْ يَكُونَ ﴿هُدْنَا﴾[2]: بِالضَّمِّ، فَعَلْنَا مِنْ هَادَهُ يَهِيدُهُ.

﴿عَذَابِي﴾[3]: مِنْ حَالِهِ وَصِفَتِهِ أَنِّي ﴿أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾[4]، أَيْ: مَنْ وَجَبَ عَلَيَّ فِي الْحِكْمَةِ تَعْذِيبُهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَفْوِ عَنْهُ مَسَاغٌ، لِكَوْنِهِ مَفْسَدَةً.

وَأَمَّا ﴿رَحْمَتِي﴾[5]: فَمِنْ حَالِهَا وَصِفَتِهَا أَنَّهَا وَاسِعَةٌ تَبْلُغُ كُلَّ شَيْءٍ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ، وَلا كَافِرٍ، وَلا مُطِيعٍ، وَلا عَاصٍ، إِلَّا وَهُوَ مُتَقَلِّبٌ فِي نِعْمَتِي.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "مَنْ أَسَاءَ"، مِنَ الْإِسَاءَةِ، فَسَأَكْتُبُ هَذِهِ الرَّحْمَةَ كَتْبَةً خَاصَّةً مِنْكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لِلَّذِينِ يَكُونُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الَّذِينَ هُمْ بِجَمِيعِ آيَاتِنَا وَكُتُبِنَا يُؤْمِنُونَ، لا يَكْفُرُونَ بِشَيْءٍ مِنْهَا.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾[6]: الَّذِي نُوحِي إِلَيْهِ كِتَابًا مُخْتَصًّا بِهِ وَهُوَ: "الْقُرْآنُ"، "النَّبِيُّ": صَاحِبُ الْمُعْجِزَاتِ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ﴾[1]: يَجِدُ نَعْتَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتْبَعُونَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

﴿مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ...وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾[2]: مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَشْيَاءِ الطَّيِّبَةِ، كَالشُّحُومِ وَغَيْرِهَا، أَوْ مَا طَابَ فِي الشَّرِيعَةِ وَالْحُكْمِ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنَ الذَّبَائِحِ، وَمَا خَلَى كَسْبُهُ مِنَ السُّحْتِ.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[3]: مَا يُسْتَخْبَثُ مِنْ نَحْوِ الدَّمِ، وَالْمَيْتَةِ، وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ، وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ أَوْ مَا خَبُثَ فِي الْحُكْمِ، كَالرِّبَا، وَالرِّشْوَةِ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْمَكَاسِبِ الْخَبِيثَةِ.

"الْإِصْرُ": الثِّقْلُ الَّذِي يَأْصِرُ صَاحِبَهُ، أَيْ: يَحْبِسُهُ مِنَ الْحِرَاكِ، لِثِقَلِهِ، وَهُوَ مَثَلٌ لِثِقَلِ تَكْلِيفِهِمْ وَصُعُوبَتِهِ، نَحْوَ اشْتِرَاطِ قَتْلِ الْأَنْفُسِ فِي صِحَّةِ تَوْبَتِهِمْ، وَكَذَلِكَ الْأَغْلَالُ، مَثَلٌ لِمَا كَانَ فِي شَرَائِعِهِمْ مِنَ الْأَشْيَاءِ الشَّاقَّةِ، نَحْوَ: بَتَّ الْقَضَاءُ بِالْقِصَاصِ عَمْدًا كَانَ أَوْ خَطَأً مِنْ غَيْرِ شَرْعِ الدِّيَةِ، وَقَطْعِ الْأَعْضَاءِ الْخَاطِئَةِ، وَقَرْضِ مَوْضِعِ النَّجَاسَةِ مِنَ الْجِلْدِ وَالثَّوْبِ، وَإِحْرَاقِ الْغَنَائِمِ، وَتَحْرِيمِ الْعُرُوقِ فِي اللَّحْمِ، وَتَحْرِيمِ السَّبْتِ.

وَعَنْ عَطَاءٍ: كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا قَامَتْ تُصَلِّي، لَبِسُوا الْمُسُوحَ، وَغَلُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ، وَرُبَّمَا ثَقَبَ الرَّجُلُ تَرْقُوَتَهُ، وَجَعَلَ فِيهَا طَرْفُ السِّلْسِلَةِ، وَأَوْثَقَهَا إِلَى السَّارِيَةِ يَحْبِسُ نَفْسَهُ عَلَى الْعِبَادَةِ.

وَقُرِئَ: "آصَارَهُمْ"، عَلَى الْجَمْعِ.

﴿وَعَزَّرُوهُ﴾[4]: وَمَنَعُوهُ حَتَّى لا يَقْوَى عَلَيْهِ عَدُوٌّ.

وَقُرِئَ: بِالتَّخْفِيفِ، وَأَصْلُ الْعَزْرِ: الْمَنْعُ، وَمِنْهُ: التَّعْزِيرُ لِلضَّرْبِ دُونَ الْحَدِّ، لِأَنَّهُ مَنَعَ عَنْ مُعَاوَدَةِ الْقَبِيحِ.

أَلا تَرَى إِلَى تَسْمِيَتِهِ الْحَدَّ؟! وَالْحَدُّ: هُوَ الْمَنْعُ.

وَ﴿النُّورُ﴾[5]: الْقُرْآنُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿أُنْزِلَ مَعَهُ﴾[1]، وَإِنَّمَا أُنْزِلَ مَعَ جِبْرِيلَ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ أُنْزِلَ مَعَ نُبُوَّتِهِ، لِأَنَّ اسْتِنْبَاءَهُ كَانَ مَصْحُوبًا بِالْقُرْآنِ مَشْفُوعًا بِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُعَلَّقَ بِاتَّبِعُوا، أَيْ: وَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ الْمُنَزَّلَ مَعَ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ، وَالْعَمَلِ بِسُنَّتِهِ، وَبِمَا أُمِرَ بِهِ وَنُهِيَ عَنْهُ، أَوْ: وَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ، كَمَا اتَّبَعَهُ مُصَاحِبِينَ لَهُ فِي اتِّبَاعِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ انْطَبَقَ هَذَا الْجَوَابُ عَلَى قَوْلِ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلامُ– وَدُعَائِهِ؟

قُلْتُ: لَمَّا دَعَا لِنَفْسِهِ وَلِبَنِي إِسْرَائِيلَ، أُجِيبَ بِمَا هُوَ مُنْطَوٍ عَلَى تَوْبِيخِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى اسْتِجَازَتِهِمُ الرُّؤْيَةَ عَلَى اللَّهِ –تَعَالَى– وَعَلَى كُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ الْعِظَامِ الَّتِي أَجْرَاهَا عَلَى يَدِ مُوسَى، وَعَرَّضَ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[2]، وَأُرِيدَ أَنْ يَكُونَ اسْتِمَاعُ أَوْصَافِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَمَا جَاءَ بِهِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلامٍ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، لُطْفًا لَهُمْ، وَتَرْغِيبًا فِي إِخْلاصِ الْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَفِي أَنْ يُحْشَرُوا مَعَهُمْ، وَلا يُفَرَّقَ بَيْنَهُمْ، وَبَيْنَ أَعْقَابِهِمْ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3]

﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[4]: قِيلَ: بُعِثَ كُلُّ رَسُولٍ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثَ مُحَمَّدٌ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى كَافَّةِ الْإِنْسِ، وَكَافَّةِ الْجِنِّ.

وَ﴿جَمِيعًا﴾[5]: نُصِبَ عَلَى الْحَالِ مِنْ إِلَيْكُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[6]، مَا مَحَلُّهُ؟

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ، الآية 58.

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

قُلْتُ: الْأَحْسَنُ أَنْ يَكُونَ مُنْتَصِبًا بِإِضْمَارِ أَعْنِي، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى النَّصْبَ عَلَى الْمَدْحِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَرًّا عَلَى الْوَصْفِ، وَإِنْ حِيلَ بَيْنَ الصِّفَةِ وَالْمَوْصُوفِ بِقَوْلِهِ: "إِلَيْكُمْ": ﴿إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1].

وَقَوْلِهِ: ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾[2]: بَدَلٌ مِنَ الصِّلَةِ الَّتِي هِيَ لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَكَذَلِكَ: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[3].

وَفِي ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾[4]: بَيَانٌ لِلْجُمْلَةِ قَبْلَهَا، لِأَنَّ مَنْ مَلَكَ الْعَالَمَ، كَانَ هُوَ الْإِلَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

وَفِي ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[5]: بَيَانٌ لِاخْتِصَاصِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ، لِأَنَّهُ لا يَقْدِرُ عَلَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ غَيْرُهُ.

﴿وَكَلِمَاتِهِ﴾[6]: وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، وَعَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنَ الرُّسُلِ مِنْ كُتُبِهِ وَوَحْيِهِ.

وَقُرِئَ: "وَكَلِمَتَهُ" عَلَى الْإِفْرَادِ، وَهِيَ: "الْقُرْآنُ، أَوْ أَرَادَ جِنْسَ مَا كُلِّمَ بِهِ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: أَرَادَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ.

وَقِيلَ: هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي تَكَوَّنَ مِنْهَا عِيسَى وَجَمِيعُ خَلْقِهِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿كُنْ﴾[7].

وَإِنَّمَا قِيلَ: إِنَّ عِيسَى كَلِمَةُ اللَّهِ، فَخُصَّ بِهَذَا الاسْمِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ، لِكَوْنِهِ سَبَّبَ غَيْرَ الْكَلِمَةِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ نُطْفَةٍ تُمْنَى.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[8]: إِرَادَةَ أَنْ تَهْتَدُوا.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَبِي، بَعْدَ قَوْلِهِ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ؟

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

قُلْتُ: عَدَلَ مِنَ الْمُضْمَرِ إِلَى الاسْمِ الظَّاهِرِ، لِتَجْرِيَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الَّتِي أُجْرِيَتْ عَلَيْهِ، وَلِمَا فِي طَرِيقَةِ الالْتِفَاتِ مِنْ مَزِيَّةِ الْبَلاغَةِ، وَلِيُعْلَمَ أَنَّ الَّذِي وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهِ وَاتِّبَاعُهُ هُوَ هَذَا الشَّخْصُ الْمُسْتَقِلُّ بِأَنَّهُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ، كَائِنًا مَنْ كَانَ، أَنَا أَوْ غَيْرِي، إِظْهَارًا لِلنَّصَفَةِ، وَتَفَادِيًا مِنَ الْعَصَبِيَّةِ لِنَفْسِهِ.

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[1]

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾[2]، هُمُ: الْمُؤْمِنُونَ التَّائِبُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَمَّا ذَكَرَ الَّذِينَ تَزَلْزَلُوا مِنْهُمْ فِي الدِّينِ، وَارْتَابُوا، حَتَّى أَقْدَمُوا عَلَى الْعَظِيمَتَيْنِ: عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَاسْتِجَازَةِ رُؤْيَةِ اللَّهِ –تَعَالَى–، ذَكَرَ أَنَّ مِنْهُمْ أُمَّةً مُوقِنِينَ، ثَابِتِينَ، يَهْدُونَ النَّاسَ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ، وَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى الاسْتِقَامَةِ وَيُرْشِدُونَهُمْ، وَبِالْحَقِّ يَعْدِلُونَ بَيْنَهُمْ فِي الْحُكْمِ لا يَجُورُونَ، أَوْ أَرَادَ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ مِمَّنْ أَدْرَكَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَآمَنَ بِهِ مِنْ أَعْقَابِهِمْ.

وَقِيلَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا قَتَلُوا أَنْبِيَاءَهُمْ، وَكَفَرُوا، وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ سَبْطًا تَبَرَّأَ سِبْطٌ مِنْهُمْ مِمَّا صَنَعُوا وَاعْتَذَرُوا، وَسَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِهِمْ، فَفَتَحَ اللَّهُ لَهُمْ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ، فَسَارُوا فِيهِ سَنَةً وَنِصْفًا حَتَّى خَرَجُوا مِنْ وَرَاءِ الصِّينِ، وَهُمْ هُنَالِكَ حُنَفَاءُ مُسْلِمُونَ، يَسْتَقْبِلُونَ قِبْلَتَنَا.

وَذُكِرَ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: أَنَّ جِبْرِيلَ ذَهَبَ بِهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ نَحْوُهُمْ، فَكَلَّمَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ جِبْرِيلُ: هَلْ تَعْرِفُونَ مَنْ تُكَلِّمُونَ؟ قَالُوا: لا، قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ، فَآمَنُوا بِهِ وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مُوسَى أَوْصَانَا مَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ أَحْمَدَ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ مِنِّي السَّلامَ، فَرَدَّ مُحَمَّدٌ عَلَى مُوسَى –عَلَيْهِمَا السَّلامُ– ثُمَّ أَقْرَأَهُمْ عَشْرَ سُوَرٍ مِنَ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ، وَلَمْ تَكُنْ نَزَلَتْ فَرِيضَةٌ غَيْرَ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُقِيمُوا مَكَانَهُمْ، وَكَانُوا يُسْبِتُونَ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْمَعُوا وَيَتْرُكُوا السَّبْتَ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَعَنْ مَسْرُوقٍ، قُرِئَ: بَيْنَ يَدَيْ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنِّي مِنْهُمْ، فَقَالَ: عَبْدُ اللَّهِ –يَعْنِي: لِمَنْ كَانَ فِي مَجْلِسِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ–: وَهَلْ يَزِيدُ صُلَحَاؤُكُمْ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مَنْ يَهْدِي بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُ.

وَقِيلَ: لَوْ كَانُوا فِي طَرَفٍ مِنَ الدُّنْيَا مُتَمَسِّكِينَ بِشَرِيعَةٍ وَلَمْ يَبْلُغْهُمْ نَسْخُهَا، كَانُوا مَعْذُورِينَ، وَهَذَا مِنْ بَابِ الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ، وَإِلَّا فَقَدْ طَارَ الْخَبَرُ بِشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى كُلِّ أُفُقٍ، وَتَغَلْغَلَ فِي كُلِّ نَفَقٍ، وَلَمْ يُبْقِ اللَّهُ أَهْلَ مَدَرٍ، وَلا وَبَرٍ، وَلا سَهْلٍ، وَلا جَبَلٍ، وَلا بَرٍّ، وَلا بَحْرٍ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَإِلَّا وَقَدْ أَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ، وَمَلَأَ بِهِ مَسَامِعَهُمْ، وَأَلْزَمَهُمْ بِهِ الْحُجَّةَ، وَهُوَ سَائِلُهُمْ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1]

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾[2] وَصَيَّرْنَاهُمْ قِطَعًا، أَيْ: فِرَقًا، وَمَيَّزْنَا بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، لِقِلَّةِ الْأُلْفَةِ بَيْنَهُمْ.

وَقُرِئَ: "وَقَطَعْنَاهُمْ" بِالتَّخْفِيفِ.

«اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾[3]، كَقَوْلِكَ: اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قَبِيلَةً.

وَ"الْأَسْبَاطُ": أَوْلادُ الْوَلَدِ، جَمْعُ سِبْطٍ، وَكَانُوا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قَبِيلَةً مِن اثْنَيْ عَشَرَ وَلَدًا مِنْ وَلَدِ يَعْقُوبَ، عَلَيْهِ السَّلامُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مُمَيَّزُ مَا عَدَا الْعَشَرَةَ مُفْرَدٌ، فَمَا وَجْهُ مَجِيئِهِ مَجْمُوعًا؟ وَهَلَّا قِيلَ: اثْنَيْ عَشَرَ سِبْطًا؟

قُلْتُ: لَوْ قِيلَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ تَحْقِيقًا لَأَنَّ الْمُرَادَ: وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قَبِيلَةً، وَكُلُّ قَبِيلَةٍ أَسْبَاطٌ لا سِبْطَ، فَوَضَعَ أَسْبَاطًا مَوْضِعَ قَبِيلَةٍ، وَنَظِيرُهُ:

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

بَيِّنَ رِمَاحِي مَالِكٍ وَنَهْشَـــلِ

وَ﴿أُمَمًا﴾[1]: بَدَلٌ مِنِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ:، بِمَعْنَى: وَقَطَّعْنَاهُمْ أُمَمًا، لِأَنَّ كُلَّ أَسْبَاطٍ كَانَتْ أُمَّةً عَظِيمَةً، وَجَمَاعَةً كَثِيفَةَ الْعَدَدِ، وَكُلَّ وَاحِدَةٍ كَانَتْ تَؤُمُّ خِلافَ مَا تَؤُمُّهُ الْأُخْرَى، لا تَكَادُ تَأْتَلِفُ.

وَقُرِئَ: "اثْنَتَيْ عَشْرَةَ" بِكَسْرِ الشِّينِ.

﴿فَانْبَجَسَتْ﴾[2]: فَانْفَجَرَتْ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، وَهُوَ الانْفِتَاحُ بِسِعَةٍ وَكَثْرَةٍ، قَالَ الْعَجَّاجُ:

وَكَيْفَ غَرْبَيْ دَالِجٍ تَبَجَّسَـــا

فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَّا قِيلَ: فَضَرَبَ فَانْبَجَسَتْ؟

قُلْتُ: لِعَدَمِ الْإِلْبَاسِ، وَلِيَجْعَلَ الانْبِجَاسَ مُسَبَّبًا عَنِ الْإِيحَاءِ بِضَرْبِ الْحَجَرِ، لِلدَّلالَةِ عَلَى أَنَّ الْمُوحَى إِلَيْهِ لَمْ يَتَوَقَّفْ عَنِ اتِّبَاعِ الْأَمْرِ، وَأَنَّهُ مِنِ انْتِفَاءِ الشَّكِّ عَنْهُ، بِحَيْثُ لا حَاجَةَ إِلَى الْإِفْصَاحِ بِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ أُنَاسٍ﴾[3] نَظِيرُ قَوْلِهِ: اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا، يُرِيدُ كُلَّ أُمَّةٍ مِنْ تِلْكَ الْأُمَمِ الثِّنْتَيْ عَشْرَةَ.

وَ"الْأُنَاسُ": اسْمُ جَمْعٍ غَيْرُ تَكْسِيرٍ، نَحْوَ رِخَالٍ، وَثَنَاءٍ، وَتَوَامٍ، وَأَخَوَاتٍ لَهَا.

وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْأَصْلَ الْكَسْرُ وَالتَّكْسِيرُ، وَالضَّمَّةُ بَدَلٌ مِنَ الْكَسْرَةِ، كَمَا أُبْدِلَتْ فِي نَحْوِ: سُكَارَى، وَغَيَارَى، مِنَ الْفَتْحَةِ.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾[4]: وَجَعَلْنَاهُ ظَلِيلًا عَلَيْهِمْ فِي التِّيهِ.

وَ﴿كُلُوا﴾[5]: عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾[6]: وَمَا رَجَعَ إِلَيْنَا ضَرَرُ ظُلْمِهِمْ بِكُفْرَانِهِمُ النِّعَمَ، وَلَكِنْ كَانُوا يَضُرُّونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيَرْجِعُ وَبَالُ ظُلْمِهِمْ إِلَيْهِمْ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾[1]

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾[2]، وَاذْكُرْ إِذْ قِيلَ لَهُمْ.

وَ﴿الْقَرْيَةَ﴾[3]: بَيْتُ الْمَقْدِسِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ اخْتَلَفَتِ الْعِبَارَةُ هَهُنَا وَفِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ؟

قُلْتُ: لا بَأْسَ بِاخْتِلافِ الْعِبَارَتَيْنِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ تَنَاقُضٌ، وَلا تَنَاقُضَ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا﴾[4]، وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُوا﴾[5]، لِأَنَّهُمْ إِذَا سَكَنُوا الْقَرْيَةَ فَتَسَبَّبَتْ سُكْنَاهُمْ لِلْأَكْلِ مِنْهَا، فَقَدْ جَمَعُوا فِي الْوُجُودِ بَيْنَ سُكْنَاهَا وَالْأَكْلِ مِنْهَا، وَسَوَاءٌ قَدِمُوا الْحِطَّةَ عَلَى دُخُولِ الْبَابِ أَوْ أَخَّرُوهَا، فَهُمْ جَامِعُونَ فِي الْإِيجَادِ بَيْنَهُمْ، وَتَرْكُ ذِكْرِ الرَّغَدِ لا يُنَاقِضُ إِثْبَاتَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[6]: مَوْعِدٌ بِشَيْئَيْنِ: بِالْغُفْرَانِ، وَبِالزِّيَادَةِ، وَطَرْحِ الْوَاوِ لا يُخِلُّ بِذَلِكَ، لِأَنَّهُ اسْتِئْنَافٌ مُرَتَّبٌ عَلَى تَقْدِيرِ قَوْلِ الْقَائِلِ: وَمَاذَا بَعْدَ الْغُفْرَانِ؟ فَقِيلَ لَهُ: سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ، وَكَذَلِكَ زِيَادَةُ: ﴿مِنْهُمْ﴾[7]: زِيَادَةُ بَيَانٍ، وَأَرْسَلْنَا، وَأَنْزَلْنَا.

﴿وَيَظْلِمُونَ﴾[8]: وَيَفْسُقُونَ مِنْ وَادٍ وَاحِدٍ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَقُرِئَ: "يَغْفِرُ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ"، وَ"تَغْفِرُ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ"، وَخَطِيئَاتِكُمْ، وَخَطِيئَتُكُمْ، عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[1]

﴿وَاسْأَلْهُمْ﴾[2]: وَسَلِ الْيَهُودَ، وَقُرِئَ: "وَاسْأَلْهُمْ"، وَهَذَا السُّؤَالُ مَعْنَاهُ: التَّقْرِيرُ، وَالتَّقْرِيعُ، بِقَدِيمِ كُفْرِهِمْ، وَتَجَاوُزِهِمْ حُدُودَ اللَّهِ، وَالْإِعْلامِ بِأَنَّ هَذَا مِنْ عُلُومِهِمُ الَّتِي لا تَعْلَمُ إِلَّا بِكِتَابٍ أَوْ وَحْيٍ، فَإِذَا أَعْلَمَهُمْ بِهِ مَنْ لَمْ يَقْرَأْ كِتَابَهُمْ، عُلِمَ أَنَّهُ مِنْ جِهَةِ الْوَحْيِ، وَنَظِيرُهُ: هَمْزَةُ الاسْتِفْهَامِ الَّتِي يُرَادُ بِهَا التَّقْرِيرُ فِي قَوْلِكَ: أَعَدَوْتُمْ فِي السَّبْتِ؟ وَالْقَرْيَةُ: أَيْلَةُ، وَقِيلَ: مَدْيَنُ، وَقِيلَ: طَبَرِيَّةُ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْمَدِينَةَ قَرْيَةً.

وَعَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلاءِ، مَا رَأَيْتُ قَرَوِيِّينَ أَفْصَحَ مِنَ الْحَسَنِ وَالْحَجَّاجِ، يَعْنِي رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْمُدُنِ.

﴿حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾[3]: قَرِيبَةً مِنْهُ رَاكِبَةً لِشَاطِئِهِ.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾[4]: إِذْ يَتَجَاوَزُونَ حَدَّ اللَّهِ فِيهِ، وَهُوَ اصْطِيَادُهُمْ فِي يَوْمِ السَّبْتِ، وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَقُرِئَ: "يَعِدُّونَ"، بِمَعْنَى: يَعْتَدُونَ، أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الدَّالِ، وَنُقِلَتْ حَرَكَتُهَا إِلَى الْعَيْنِ، وَ"يُعِدُّونَ" مِنَ الْإِعْدَادِ، وَكَانُوا يُعِدُّونَ آلاتِ الصَّيْدِ يَوْمَ السَّبْتِ، وَهُمْ مَأْمُورُونَ بِأَنْ لا يَشْتَغِلُوا فِيهِ بِغَيْرِ الْعِبَادَةِ.

وَالسَّبْتُ: مَصْدَرُ سَبَّتَ الْيَهُودُ، إِذَا عَظَّمَتْ سَبْتَهَا بِتَرْكِ الصَّيْدِ وَالاشْتِغَالِ بِالتَّعَبُّدِ، فَمَعْنَاهُ: يَعْدُّونَ فِي تَعْظِيمِ هَذَا الْيَوْمِ، كَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾[1]، مَعْنَاهُ: يَوْمَ تَعْظِيمِهِمْ أَمْرَ السَّبْتِ.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ﴾[2]، قِرَاءَةُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: "يَوْمَ إِسْبَاتِهِمْ".

وَقُرِئَ: "لا يَسْبِتُونَ"، بِضَمِّ الْبَاءِ، وَقَرَأَ عَلِيٌّ: "لا يَسْبِتُونَ" بِضَمِّ الْيَاءِ، مِنْ أَسْبَتُوا.

وَعَنِ الْحَسَنِ: "لا يُسْبَتُونَ" عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، أَيْ: لا يُدَارُ عَلَيْهِمُ السَّبْتُ، وَلا يُؤْمَرُونَ بِأَنْ يُسَبِّتُوا.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذْ يَعْدُونَ، وَإِذْ تَأْتِيهِمْ، مَا مَحَلُّهُمَا مِنَ الْإِعْرَابِ؟

قُلْتُ: أَمَّا الْأَوَّلُ: فَمَجْرُورٌ بَدَلٌ مِنَ الْقَرْيَةِ، وَالْمُرَادُ بِالْقَرْيَةِ: أَهْلُهَا، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَاسْأَلْهُمْ عَنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ، وَقْتَ عُدْوَانِهِمْ فِي السَّبْتِ، وَهُوَ مِنْ بَدَلِ الاشْتِمَالِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا بِكَانَتْ، أَوْ بِحَاضِرَةِ، وَأَمَّا الثَّانِي: فَمَنْصُوبٌ بِيَعْدُونَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا بَعْدَ بَدَلٍ، وَالْحِيتَانُ: السَّمَكُ، وَأَكْثَرُ مَا تَسْتَعْمِلُ الْعَرَبُ الْحُوتَ فِي مَعْنَى السَّمَكَةِ.

﴿شُرَّعًا﴾[3]: ظَاهِرَةً عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: تَشْرَعُ عَلَى أَبْوَابِهِمْ كَأَنَّهَا الْكِبَاشُ الْبِيضُ، يُقَالُ: شَرَعَ عَلَيْنَا فُلانٌ إِذَا دَنَا مِنَّا وَأَشْرَفَ عَلَيْنَا، وَشَرَعْتُ عَلَى فُلانٍ فِي بَيْتِهِ فَرَأَيْتُهُ يَفْعَلُ كَذَا.

﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ﴾[4]، أَيْ: مِثْلُ ذَلِكَ الْبَلاءِ الشَّدِيدِ نَبْلُوهُمْ بِسَبَبِ فِسْقِهِمْ.

﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾[5]: مَعْطُوفٌ عَلَى إِذْ يَعْدُونَ، وَحُكْمُهُ حُكْمُهُ فِي الْإِعْرَابِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾[1]: جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ مِنْ صُلَحَائِهِمُ الَّذِينَ رَكِبُوا الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ فِي مَوْعِظَتِهِمْ، حَتَّى أَيِسُوا مِنْ قَبُولِهِمْ، لِآخَرِينَ كَانُوا لا يُقْلِعُونَ عَنْ وَعْظِهِمْ.

﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾[2]، أَيْ: مُخْتَرِمُهُمْ، وَمُطَهِّرُ الْأَرْضِ مِنْهُمْ.

﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾[3]: لِتَمَادِيهِمْ فِي الشَّرِّ، وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ، لِعِلْمِهِمْ أَنَّ الْوَعْظَ لا يَنْفَعُ فِيهِمْ.

﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾[4]، أَيْ: مَوْعِظَتُنَا إِبْلاءُ عُذْرٍ إِلَى اللَّهِ، وَلِئَلَّا نُنْسَبَ فِي النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَى بَعْضِ التَّفْرِيطِ.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[5]: وَلِطَمَعِنَا فِي أَنْ يَتَّقُوا بَعْضَ الاتِّقَاءِ، وَقُرِئَ: "مَعْذِرَةً" بِالنَّصْبِ، أَيْ: وَعَظْنَاهُمْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ، أَوِ اعْتَذَرْنَا مَعْذِرَةً.

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾[6]، يَعْنِي: أَهْلَ الْقَرْيَةِ، فَلَمَّا تَرَكُوا مَا ذَكَّرَهُمْ بِهِ الصَّالِحُونَ، تَرَكَ النَّاسِي لِمَا يَنْسَاهُ.

﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا﴾[7]: الظَّالِمِينَ الرَّاكِبِينَ لِلْمُنْكَرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: الْأُمَّةُ الَّذِينَ قَالُوا: "لِمَ تَعِظُونَ"، مِنْ أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ هُمْ؟ أَمِنَ فَرِيقِ النَّاجِينَ أَمِ الْمُعَذَّبِينَ؟

قُلْتُ مِنْ فَرِيقِ النَّاجِينَ، لِأَنَّهُمْ مِنْ فَرِيقِ النَّاهِينَ، وَمَا قَالُوا مَا قَالُوا إِلَّا سَائِلِينَ عَنْ عِلَّةِ الْوَعْظِ وَالْغَرَضِ فِيهِ، حَيْثُ لَمْ يَرَوْا فِيهِ غَرَضًا صَحِيحًا لِعِلْمِهِمْ بِحَالِ الْقَوْمِ، وَإِذَا عَلِمَ النَّاهِي حَالَ الْمَنْهِيِّ، وَأَنَّ النَّهْيَ لا يُؤَثِّرُ فِيهِ، سَقَطَ عَنْهُ النَّهْيُ، وَرُبَّمَا وَجَبَ التَّرْكُ لِدُخُولِهِ فِي بَابِ الْعَبَثِ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

أَلا تَرَى أَنَّكَ لَوْ ذَهَبْتَ إِلَى الْمَكَّاسِينَ الْقَاعِدِينَ عَلَى الْمَآصِرِ، وَالْجَلَّادِينَ الْمُرَتَّبِينَ لِلتَّعْذِيبِ لِتَعِظَهُمْ وَتَكُفَّهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ، كَانَ ذَلِكَ عَبَثًا مِنْكَ، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا سَبَبًا لِلتَّلَهِّي بِكَ؟!

وَأَمَّا الْآخَرُونَ: فَإِنَّمَا لَمْ يُعْرِضُوا عَنْهُمْ، إِمَّا: لِأَنَّ يَأْسَهُمْ لَمْ يَسْتَحْكِمْ كَمَا اسْتَحْكَمَ يَأْسُ الْأَوَّلِينَ، وَلَمْ يُخْبِرُوهُمْ كَمَا خَبَّرُوهُمْ، أَوْ لِفَرْطِ حِرْصِهِمْ وَجِدِّهِمْ فِي أَمْرِهِمْ كَمَا وَصَفَ اللَّهُ -تَعَالَى- رَسُولَهُ -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾[1].

وَقِيلَ: الْأُمَّةُ هُمُ الْمَوْعُوظُونَ، لَمَّا وُعِظُوا قَالُوا لِلْوَاعِظِينَ: لِمَ تَعِظُونَ مِنَّا قَوْمًا تَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ؟

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا فَعَلَ بِهَؤُلاءِ الَّذِينَ قَالُوا: لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا؟

قَالَ عِكْرِمَةُ: فَقُلْتُ: جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، أَلا تَرَى أَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَخَالَفُوهُمْ وَقَالُوا: لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ، فَلَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى عَرَّفْتُهُ أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا.

وَعَنِ الْحَسَنِ: نَجَتْ فِرْقَتَانِ، وَهَلَكَتْ فِرْقَةٌ، وَهُمُ الَّذِينَ أَخَذُوا الْحِيتَانَ.

وَرُوِيَ أَنَّ الْيَهُودَ أُمِرُوا بِالْيَوْمِ الَّذِي أُمِرْنَا بِهِ، وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فَتَرَكُوهُ وَاخْتَارُوا السَّبْتَ، فَابْتُلُوا بِهِ، وَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ فِيهِ الصَّيْدُ، وَأُمِرُوا بِتَعْظِيمِهِ، فَكَانَتِ الْحِيتَانُ تَأْتِيهِمْ يَوْمَ السَّبْتِ شُرَّعًا، بِيضًا، سِمَانًا، كَأَنَّهَا الْمَخَاضُ، لا يُرَى الْمَاءُ مِنْ كَثْرَتِهَا، وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ، فَكَانُوا كَذَلِكَ بُرْهَةً مِنَ الدَّهْرِ.

ثُمَّ جَاءَهُمْ إِبْلِيسُ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّمَا نَهَيْتُمْ عَنْ أَخْذِهَا يَوْمَ السَّبْتِ، فَاتَّخِذُوا حِيَاضًا تَسُوقُونَ الْحِيتَانَ إِلَيْهَا يَوْمَ السَّبْتِ، فَلا تَقْدِرُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْهَا، وَتَأْخُذُونَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ، وَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حُوتًا، وَرَبَطَ فِي ذَنَبِهِ خَيْطًا إِلَى خَشَبَةٍ فِي السَّاحِلِ، ثُمَّ شَوَاهُ يَوْمَ الْأَحَدِ، فَوَجَدَ جَارُهُ رِيحَ السَّمَكِ، فَتَطَلَّعَ فِي تَنُّورِهِ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَى اللَّهَ سَيُعَذِّبُكَ، فَلَمَّا لَمْ يَرَهُ عُذِّبَ، أَخَذَ فِي السَّبْتِ الْقَابِلِ حُوتَيْنِ.

فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْعَذَابَ لا يُعَاجِلُهُمْ، صَادُوا، وَأَكَلُوا، وَمَلَّحُوا، وَبَاعُوا، وَكَانُوا نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا، فَصَارَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ أَثْلاثًا، ثُلُثٌ نَهَوْا وَكَانُوا نَحْوًا مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَثُلُثٌ قَالُوا: لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا؟ وَثُلُثٌ: هُمْ أَصْحَابُ الْخَطِيئَةِ، فَلَمَّا لَمْ يَنْتَهُوا، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: إِنَّا لا

---

[1] سُورَةُ الْكَهْفِ، الآية 6.

نُسَاكِنُكُمْ، فَقَسَّمُوا الْقَرْيَةَ بِجِدَارٍ: لِلْمُسْلِمِينَ بَابٌ، وَلِلْمُعْتَدِينَ بَابٌ، وَلَعَنَهُمْ دَاوُدُ –عَلَيْهِ السَّلامُ– فَأَصْبَحَ النَّاهُونَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْمُعْتَدِينَ أَحَدٌ، فَقَالُوا: إِنْ لِلنَّاسِ شَأْنًا، فَعَلَوْا الْجِدَارَ فَنَظَرُوا، فَإِذَا هُمْ قِرَدَةٌ، فَفَتَحُوا الْبَابَ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِمْ، فَعَرَفَتِ الْقُرُودُ أَنْسِبَاءَهَا مِنَ الْإِنْسِ، وَالْإِنْسُ لا يَعْرِفُونَ أَنْسِبَاءَهُمْ مِنَ الْقُرُودِ، فَجَعَلَ الْقِرْدُ يَأْتِي نَسِيبَهُ فَيَشُمُّ ثِيَابَهُ، وَيَبْكِي، فَيَقُولُ: أَلَمْ نَنْهَكَ؟ فَيَقُولُ بِرَأْسِهِ: بَلَى، وَقِيلَ: صَارَ الشَّبَابُ قِرَدَةً، وَالشُّيُوخُ خَنَازِيرَ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: أَكَلُوا وَاللَّهِ أَوْخَمَ أَكْلَةٍ أَكَلَهَا أَهْلُهَا، أَثْقَلَهَا خِزْيًا فِي الدُّنْيَا، وَأَطْوَلَهَا عَذَابًا فِي الْآخِرَةِ، هَاهَ وَايْمُ اللَّهِ، مَا حُوتٌ أَخَذَهُ قَوْمٌ فَأَكَلُوهُ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مَوْعِدًا، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ.

﴿بَئِيسٍ﴾[1]: شَدِيدٍ، يُقَالُ: بُؤْسٌ يَبْؤُسُ بَأْسًا، إِذَا اشْتَدَّ، فَهُوَ بَئِيسٌ.

وَقُرِئَ: "بَئِسَ". بِوَزْنِ حَذِرَ؛ وَ"بَيِسَ" عَلَى تَخْفِيفِ الْعَيْنِ وَنَقْلِ حَرَكَتِهَا إِلَى الْفَاءِ، كَمَا يُقَالُ: كَبِدٌ فِي كَبِدَ؛ وَبَيِسٌ عَلَى قَلْبِ الْهَمْزَةِ يَاءً، كَذِيبٍ فِي ذِئْبٍ؛ وَبَيْئِسٍ عَلَى فَيْعِلٍ، بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِهَا؛ وَ"بَيِّسٍ"، بِوَزْنِ رَيِّسٍ، عَلَى قَلْبِ هَمْزَةِ بَيْئِسٍ يَاءً، وَإِدْغَامِ الْيَاءِ فِيهَا؛ وَ"بَيْسٌ" عَلَى تَخْفِيفِ بَيِّسٍ، كَهَيِّنٍ فِي هَيْنٍ؛ وَ"بَائِسٌ" عَلَى فَاعِلٍ.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا﴾[2]: فَلَمَّا تَكَبَّرُوا عَنْ تَرْكِ مَا نُهُوا عَنْهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾[3]: عِبَارَةً عَنْ مَسْخِهِمْ قِرَدَةً، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[4].

وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– عَذَّبَهُمْ أَوَّلًا بِعَذَابٍ شَدِيدٍ، فَعَتَوْا بَعْدَ ذَلِكَ فَمَسَخَهُمْ.

وَقِيلَ: فَلَمَّا عَتَوْا، تَكْرِيرٌ لِقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾[5].

وَالْعَذَابُ الْبَئِيسُ: هُوَ الْمَسْخُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ يس، الآية 83.

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]

﴿تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾[2]: عَزَمَ رَبُّكَ، وَهُوَ تَفَعَّلَ مِنَ الْإِيذَانِ، وَهُوَ الْإِعْلَامُ، لِأَنَّ الْعَازِمَ عَلَى الْأَمْرِ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِهِ، وَيُؤْذِنُهَا بِفِعْلِهِ، وَأُجْرِيَ مَجْرَى فِعْلِ الْقَسَمِ، كَعَلِمَ اللَّهُ، وَشَهِدَ اللَّهُ.

وَلِذَلِكَ أُجِيبَ بِمَا يُجَابُ بِهِ الْقَسَمُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾[3].

وَالْمَعْنَى: وَإِذْ حَتَّمَ رَبُّكَ وَكَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ، لَيَبْعَثَنَّ عَلَى الْيَهُودِ.

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾[4]: فَكَانُوا يُؤَدُّونَ الْجِزْيَةَ إِلَى الْمَجُوسِ، إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَضَرَبَهَا عَلَيْهِمْ، فَلا تَزَالُ مَضْرُوبَةً عَلَيْهِمْ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ.

وَمَعْنَى: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾[5] لِيُسَلِّطَنَّ عَلَيْهِمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[6].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[7]

﴿تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾[8]: عَزَمَ رَبُّكَ، وَهُوَ تَفَعَّلَ مِنَ الْإِيذَانِ، وَهُوَ الْإِعْلَامُ، لِأَنَّ الْعَازِمَ عَلَى الْأَمْرِ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِهِ، وَيُؤْذِنُهَا بِفِعْلِهِ. وَأُجْرِيَ مَجْرَى فِعْلِ الْقَسَمِ، كَعَلِمَ اللَّهُ، وَشَهِدَ اللَّهُ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْإِسْرَاءِ، الآية 5.
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَلِذَلِكَ أُجِيبَ بِمَا يُجَابُ بِهِ الْقَسَمُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾[1].

وَالْمَعْنَى: وَإِذْ حَتَّمَ رَبُّكَ وَكَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ، لَيَبْعَثَنَّ عَلَى الْيَهُودِ.

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾[2]: فَكَانُوا يُؤَدُّونَ الْجِزْيَةَ إِلَى الْمَجُوسِ، إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَضَرَبَهَا عَلَيْهِمْ، فَلا تَزَالُ مَضْرُوبَةً عَلَيْهِمْ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ.

وَمَعْنَى: "لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ" لِيُسَلِّطَنَّ عَلَيْهِمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[3].

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[4]

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾[5] فِيهِ وَجْهَانِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعًا بِالابْتِدَاءِ، وَخَبَرُهُ: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[6].

وَالْمَعْنَى: إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ، لِأَنَّ الْمُصْلِحِينَ فِي مَعْنَى الَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[7].

– وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مَجْرُورًا عَطْفًا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ﴾[8]: اعْتِرَاضًا.

وَقُرِئَ: "يُمَسِّكُونَ"، بِالتَّشْدِيدِ، وَتَنْصُرُهُ قِرَاءَةُ أَبِيٍّ: "وَالَّذِينَ مَسَكُوا بِالْكِتَابِ".

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْإِسْرَاءِ، الآية 5.

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْكَهْفِ، الآية 30.

[8] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: التَّمَسُّكُ بِالْكِتَابِ يَشْتَمِلُ عَلَى كُلِّ عِبَادَةٍ، وَمِنْهَا إِقَامَةُ الصَّلاةِ، فَكَيْفَ أُفْرِدَتْ؟

قُلْتُ: إِظْهَارٌ لِمَزِيَّةِ الصَّلاةِ، لِكَوْنِهَا عِمَادَ الدِّينِ، وَفَارِقَةً بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "وَالَّذِينَ اسْتَمْسَكُوا بِالْكِتَابِ".

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾[2]: قَلَعْنَاهُ وَرَفَعْنَاهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾[3]، وَمِنْهُ: نَتَقَ السِّقَاءَ، إِذَا نَفَضَهُ لِيَقْتَلِعَ الزُّبْدَةَ مِنْهُ، وَالظُّلَّةُ: كُلُّ مَا أَظَلَّكَ مِنْ سَقِيفَةٍ أَوْ سَحَابٍ.

وَقُرِئَ: بِالطَّاءِ، مِنْ أَطَلَّ عَلَيْهِ إِذَا أَشْرَفَ.

﴿وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾[4]: وَعَلِمُوا أَنَّهُ سَاقِطٌ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَبَوْا أَنْ يَقْبَلُوا أَحْكَامَ التَّوْرَاةِ، لِغِلَظِهَا وَثِقَلِهَا، فَرَفَعَ اللَّهُ الطُّورَ عَلَى رُءُوسِهِمْ مِقْدَارَ عَسْكَرِهِمْ، وَكَانَ فَرْسَخًا فِي فَرْسَخٍ.

وَقِيلَ لَهُمْ: إِنْ قَبِلْتُمُوهَا بِمَا فِيهَا، وَإِلَّا لَيَقَعَنَّ عَلَيْكُمْ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى الْجَبَلِ، خَرَّ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ سَاجِدًا عَلَى حَاجِبِهِ الْأَيْسَرِ، وَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنِهِ الْيُمْنَى إِلَى الْجَبَلِ فَرَقًا مِنْ سُقُوطِهِ؛ فَلِذَلِكَ لا تَرَى يَهُودِيًّا يَسْجُدُ إِلَّا عَلَى حَاجِبِهِ الْأَيْسَرِ، وَيَقُولُونَ: هِيَ السَّجْدَةُ الَّتِي رُفِعَتْ عَنَّا بِهَا الْعُقُوبَةُ.

وَلَمَّا نَشَرَ مُوسَى الْأَلْوَاحَ وَفِيهَا كِتَابُ اللَّهِ، لَمْ يَبْقَ جَبَلٌ، وَلا شَجَرٌ، وَلا حَجَرٌ إِلَّا اهْتَزَّ؛ فَلِذَلِكَ لا تَرَى يَهُودِيًّا تُقْرَأُ عَلَيْهِ التَّوْرَاةُ إِلَّا اهْتَزَّ وَأَنْغَضَ لَهَا رَأْسَهُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾[1]: عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ، أَيْ: وَقُلْنَا خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ، أَوْ قَائِلِينَ: خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ مِنَ الْكِتَابِ.

﴿بِقُوَّةٍ﴾[2]: وَعَزْمٍ عَلَى احْتِمَالِ مَشَاقِّهِ وَتَكَالِيفِهِ.

﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾[3]: مِنَ الْأَوَامِرِ، وَالنَّوَاهِي، وَلا تَنْسَوْهُ، أَوِ اذْكُرُوا مَا فِيهِ مِنَ التَّعْرِيضِ لِلثَّوَابِ الْعَظِيمِ فَارْغَبُوا فِيهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ مِنَ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ بِقُوَّةٍ إِنْ كُنْتُمْ تُطِيقُونَهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾[4].

﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾[5]: مِنَ الدَّلالَةِ عَلَى الْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ وَالْإِنْذَارِ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[6]: مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "وَتَذَكَّرُوا".

وَقُرِئَ: "وَاذَّكَّرُوا"، بِمَعْنَى: وَتَذَكَّرُوا.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[7]

﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾[8]: بَدَلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ بَدَلُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الآية 33.

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَمَعْنَى أَخْذِ ذُرِّيَّاتِهِمْ مِنْ ظُهُورِهِمْ: إِخْرَاجُهُمْ مِنْ أَصْلابِهِمْ نَسْلًا وَإِشْهَادُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

قَوْلُهُ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾[1]: مِنْ بَابِ التَّمْثِيلِ وَالتَّخْيِيلِ!

وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ نَصَبَ لَهُمُ الْأَدِلَّةَ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَشَهِدَتْ بِهَا عُقُولُهُمْ، وَبَصَائِرُهُمُ الَّتِي رَكَّبَهَا فِيهِمْ، وَجَعَلَهَا مُمَيِّزَةً بَيْنَ الضَّلالَةِ وَالْهُدَى، فَكَأَنَّهُ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَقَرَّرَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ وَكَأَنَّهُمْ قَالُوا: بَلَى، أَنْتَ رَبُّنَا، شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا، وَأَقْرَرْنَا بِوَحْدَانِيَّتِكَ، وَبَابُ التَّمْثِيلِ وَاسِعٌ فِي كَلامِ اللَّهِ –تَعَالَى– وَرَسُولِهِ –عَلَيْهِ الصَّلاةُ السَّلامُ– وَفِي كَلامِ الْعَرَبِ.

وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2]، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[3]، وَقَوْلُهُ:

إِذْ قَالَتِ الْأَنْسَاعُ لِلْبَطْنِ: الْحَقِي

[وَقَوْلُهُ:]

قَالَتْ لَهُ رِيحُ الصَّبَا: قَرْقَارِ

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لا قَوْلَ ثَمَّ، وَإِنَّمَا هُوَ تَمْثِيلٌ، وَتَصْوِيرٌ لِلْمَعْنَى.

﴿أَنْ تَقُولُوا﴾[4]: مَفْعُولٌ لَهُ، أَيْ: فَعَلْنَا ذَلِكَ مِنْ نَصْبِ الْأَدِلَّةِ الشَّاهِدَةِ عَلَى صِحَّتِهَا الْعُقُولُ، كَرَاهَةَ ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[5]: لَمْ نُنَبَّهْ عَلَيْهِ. ﴿أَوْ﴾[6]: كَرَاهَةَ أَنْ: ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾[7]، فَاقْتَدَيْنَا بِهِمْ، لِأَنَّ نَصْبَ الْأَدِلَّةِ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَمَا نُبِّهُوا عَلَيْهِ قَائِمٌ مَعَهُمْ، فَلا عُذْرَ لَهُمْ فِي الْإِعْرَاضِ عَنْهُ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى التَّقْلِيدِ، وَالاقْتِدَاءِ بِالْآبَاءِ، كَمَا لا عُذْرَ لِآبَائِهِمْ فِي الشِّرْكِ، وَأَدِلَّةُ التَّوْحِيدِ مَنْصُوبَةٌ لَهُمْ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ النَّحْلِ، الآية 40.

[3] سُورَةُ فُصِّلَتْ، الآية 11.

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: بَنُو آدَمَ وَذُرِّيَّاتُهُمْ مَنْ هُمْ؟

قُلْتُ: عَنَى بِبَنِي آدَمَ: أَسْلافُ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ، حَيْثُ قَالُوا: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ، وَبِذُرِّيَّاتِهِمْ: الَّذِينَ كَانُوا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ أَخِلافِهِمُ الْمُقْتَدِينَ بِآبَائِهِمْ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَوْلادِهِمْ: قَوْلُهُ: ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾[1].

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهَا فِي الْيَهُودِ: الْآيَاتُ الَّتِي عُطِفَتْ عَلَيْهَا هِيَ، وَالَّتِي عُطِفَتْ عَلَيْهَا، وَهِيَ عَلَى نَمَطِهَا وَأُسْلُوبِهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾[2].

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[3]، أَيْ: كَانُوا السَّبَبَ فِي شِرْكِنَا، لِتَأْسِيسِهِمُ الشِّرْكَ، وَتَقَدُّمِهِمْ فِيهِ، وَتَرْكِهِ سُنَّةً لَنَا.

﴿وَكَذَلِكَ﴾[4]: وَمِثْلُ ذَلِكَ التَّفْصِيلِ الْبَلِيغِ.

﴿نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾[5]: لَهُمْ.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[6]: وَإِرَادَةَ أَنْ يَرْجِعُوا عَنْ شِرْكِهِمْ نُفَصِّلُهَا.

وَقُرِئَ: "ذُرِّيَّتَهُمْ"، عَلَى التَّوْحِيدِ، "وَأَنْ يَقُولُوا": بِالْيَاءِ.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[7]

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية **163**.

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾[1]: عَلَى الْيَهُودِ.

﴿نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾[2]: هُوَ عَالِمٌ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَقِيلَ: مِنَ الْكَنْعَانِيِّينَ، اسْمُهُ "بَلْعَمُ بْنُ بَاعُورَاءَ" أُوتِيَ عِلْمَ بَعْضِ كُتُبِ اللَّهِ.

﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾[3]: مِنَ الْآيَاتِ، بِأَنَّ كَفَرَ بِهَا، وَنَبَذَهَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ.

﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾[4]: فَلَحِقَهُ الشَّيْطَانُ، وَأَدْرَكَهُ، وَصَارَ قَرِينًا لَهُ، أَوْ: فَأَتْبَعَهُ خُطُوَاتِهِ.

وَقُرِئَ: "فَاتَّبَعَهُ"، بِمَعْنَى: فَتَبِعَهُ.

﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[5]: فَصَارَ مِنَ الضَّالِّينَ الْكَافِرِينَ، رُوِيَ أَنَّ قَوْمَهُ طَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى مُوسَى، وَمَنْ مَعَهُ، فَأَبَى، وَقَالَ: كَيْفَ أَدْعُو عَلَى مَنْ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ، فَأَلَحُّوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى فَعَلَ.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾[6]: لَعَظَّمْنَاهُ، وَرَفَعْنَاهُ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِتِلْكَ الْآيَاتِ.

﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾[7]: مَالَ إِلَى الدُّنْيَا، وَرَغِبَ فِيهَا، وَقِيلَ: مَالَ إِلَى السَّفَالَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ عُلِّقَ رَفْعُهُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ –تَعَالَى– وَلَمْ يُعَلَّقْ بِفِعْلِهِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ بِهِ الرَّفْعَ؟

قُلْتُ الْمَعْنَى: وَلَوْ لَزِمَ الْعَمَلُ بِالْآيَاتِ، وَلَمْ يَنْسَلِخْ مِنْهَا، لَرَفَعْنَاهُ بِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ –تَعَالَى– رَفَعَهُ تَابِعَةً، لِلُزُومِهِ الْآيَاتِ، فَذُكِرَتِ الْمَشِيئَةُ، وَالْمُرَادُ: مَا هِيَ تَابِعَةٌ لَهُ وَمُسَبِّبَةٌ عَنْهُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَلَوْ لَزِمَهَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

أَلا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾[1] فَاسْتَدْرَكَ الْمَشِيئَةَ بِإِخْلادِهِ الَّذِي هُوَ فِعْلُهُ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾[2]، فِي مَعْنَى مَا هُوَ فِعْلُهُ، وَلَوْ كَانَ الْكَلامُ عَلَى ظَاهِرِهِ، لَوَجَبَ أَنْ يُقَالَ: وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ، وَلَكِنَّا لَمْ نَشَأْ؟!

﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾[3]: فَصِفَتُهُ الَّتِي هِيَ مَثَلٌ فِي الْخِسَّةِ وَالضَّعَةِ، كَصِفَةِ الْكَلْبِ فِي أَخَسِّ أَحْوَالِهِ، وَأَذَلِّهَا، وَهِيَ حَالُ دَوَامِ اللَّهْثِ بِهِ وَاتِّصَالِهِ، سَوَاءٌ حُمِلَ عَلَيْهِ -أَيْ: شُدَّ عَلَيْهِ، وَهُيِّجَ فَطُرِدَ- أَوْ تُرِكَ غَيْرَ مُتَعَرِّضٍ لَهُ بِالْحَمْلِ عَلَيْهِ.

وَذَلِكَ أَنَّ سَائِرَ الْحَيَوَانِ لا يَكُونُ مِنْهُ اللَّهْثُ إِلَّا إِذَا هُيِّجَ مِنْهُ وَحُرِّكَ، وَإِلَّا لَمْ يَلْهَثْ، وَالْكَلْبُ يَتَّصِلُ لَهْثُهُ فِي الْحَالَتَيْنِ جَمِيعًا، وَكَانَ حَقُّ الْكَلامِ أَنْ يُقَالَ: وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا، وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ، فَحَطَطْنَاهُ، وَوَضَعْنَا مَنْزِلَتَهُ، فَوَضْعُ قَوْلِهِ: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾[4]: مَوْضِعَ حَطَطْنَاهُ أَبْلَغُ حَطٍّ، لِأَنَّ تَمْثِيلَهُ بِالْكَلْبِ فِي أَخَسِّ أَحْوَالِهِ، وَأَذِلِّهَا فِي مَعْنَى ذَلِكَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: الْكَلْبُ مُنْقَطِعُ الْفُؤَادِ، يَلْهَثْ إِنْ حُمِلَ عَلَيْهِ، أَوْ لَمْ يُحْمَلْ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ إِنْ وَعَظْتَهُ فَهُوَ ضَالٌّ، وَإِنْ لَمْ تَعِظْهُ فَهُوَ ضَالٌّ، كَالْكَلْبِ إِنْ طَرَدْتَهُ فَسَعَى لَهَثَ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ عَلَى حَالِهِ لَهَثَ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَحَلُّ الْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ؟

قُلْتُ: النَّصْبُ عَلَى الْحَالِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: كَمَثَلِ الْكَلْبِ ذَلِيلًا دَائِمَ الذِّلَّةِ لاهِثًا فِي الْحَالَتَيْنِ.

وَقِيلَ: لَمَّا دَعَا بَلْعَمُ عَلَى مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلامُ- خَرَجَ لِسَانُهُ فَوَقَعَ عَلَى صَدْرِهِ، وَجَعَلَ يَلْهَثُ كَمَا يَلْهَثُ الْكَلْبُ.

﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾[5]: مِنَ الْيَهُودِ بَعْدَ مَا قَرَؤُوا نَعْتَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي التَّوْرَاةِ، وَذِكْرَ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ وَمَا فِيهِ، وَبَشَّرُوا النَّاسَ بِاقْتِرَابِ مَبْعَثِهِ، وَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِهِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿فَاقْصُصِ﴾[1]: قَصَصَ بَلْعَمَ الَّذِي هُوَ نَحْوُ قَصَصِهِمْ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]: فَيَحْذَرُونَ مِثْلَ عَاقِبَتِهِ، إِذَا سَارُوا نَحْوَ سِيرَتِهِ، وَزَاغُوا شِبْهَ زَيْغِهِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّكَ عَلِمْتَهُ مِنْ جِهَةِ الْوَحْيِ، فَيَزْدَادُوا إِيقَانًا بِكَ، وَتَزْدَادَ الْحُجَّةُ لُزُومًا لَهُمْ.

﴿سَاءَ مَثَلا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾[3]

﴿سَاءَ مَثَلا الْقَوْمُ﴾[4]، أَيْ: مَثَلُ الْقَوْمِ، أَوْ سَاءَ أَصْحَابُ مَثَلِ الْقَوْمِ، وَقَرَأَ الْجَحْدَرِيُّ: "سَاءَ مَثَلُ الْقَوْمِ".

﴿وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾[5]: إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى كَذَّبُوا، فَيَدْخُلَ فِي حَيِّزِ الصِّلَةِ بِمَعْنَى: الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ التَّكْذِيبِ بِآيَاتِ اللَّهِ وَظُلْمِ أَنْفُسِهِمْ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ كَلامًا مُنْقَطِعًا عَنِ الصِّلَةِ، بِمَعْنَى: وَمَا ظَلَمُوا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ بِالتَّكْذِيبِ، وَتَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ بِهِ لِلاخْتِصَاصِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَخَصُّوا أَنْفُسَهُمْ بِالظُّلْمِ لَمْ يَتَعَدَّهَا إِلَى غَيْرِهَا.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[6]

﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾[7]: حُمِلَ عَلَى اللَّفْظِ.

وَ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[8]: حُمِلَ عَلَى الْمَعْنَى.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1]

﴿كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾[2]: هُمُ الْمَطْبُوعُ عَلَى قُلُوبِهِمُ الَّذِينَ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ لا لُطْفَ لَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ فِي أَنَّهُمْ لا يُلْقُونَ أَذْهَانَهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَلا يَنْظُرُونَ بِأَعْيُنِهِمْ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ نَظَرَ اعْتِبَارٍ، وَلا يَسْمَعُونَ مَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ سَمَاعَ تَدَبُّرٍ، كَأَنَّهُمْ عَدِمُوا فَهْمَ الْقُلُوبِ، وَإِبْصَارَ الْعُيُونِ، وَاسْتِمَاعَ الْآذَانِ، وَجَعَلَهُمْ –لِإِعْرَاقِهِمْ فِي الْكُفْرِ، وَشِدَّةِ شَكَائِمِهِمْ فِيهِ، وَأَنَّهُ لا يَأْتِي مِنْهُمْ إِلَّا أَفْعَالَ أَهْلِ النَّارِ– مَخْلُوقِينَ لِلنَّارِ، دَلالَةً عَلَى تَوَغُّلِهِمْ فِي الْمُوجِبَاتِ وَتَمَكُّنِهِمْ فِيمَا يُؤَهِّلُهُمْ لِدُخُولِ النَّارِ.

وَمِنْهُ كِتَابُ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ: بَلَغَنِي أَنَّ أَهْلَ الشَّامِ اتَّخَذُوا لَكَ دَلُوكًا عَجْنَ تَخَمُّرٍ، وَإِنِّي لَأَظُنُّكُمْ آلَ الْمُغِيرَةِ ذَرْءَ النَّارِ، وَيُقَالُ لِمَنْ كَانَ عَرِيقًا فِي بَعْضِ الْأُمُورِ: مَا خُلِقَ فُلانٌ إِلَّا لِكَذَا.

وَالْمُرَادُ: وَصْفُ حَالِ الْيَهُودِ فِي عِظَمِ مَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّهُ النَّبِيُّ الْمَوْعُودُ، وَأَنَّهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الْكَثِيرِ الَّذِينَ لا يَكَادُ الْإِيمَانُ يَتَأَتَّى مِنْهُمْ، كَأَنَّهُمْ خُلِقُوا لِلنَّارِ.

﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ﴾[3]: فِي عَدَمِ الْفِقْهِ، وَالنَّظَرِ لِلِاعْتِبَارِ، وَالاسْتِمَاعِ لِلتَّدَبُّرِ.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[4]: مِنَ الْأَنْعَامِ، عَنِ الْفِقْهِ، وَالاعْتِبَارِ، وَالتَّدَبُّرِ.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[5]: الْكَامِلُونَ فِي الْغَفْلَةِ، وَقِيلَ: الْأَنْعَامُ تُبْصِرُ مَنَافِعَهَا وَمَضَارَّهَا فَتَلْزَمُ بَعْضَ مَا تُبْصِرُهُ، وَهَؤُلاءِ أَكْثَرُهُمْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُعَانِدٌ فَيُقَدَّمُ عَلَى النَّارِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]

﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[2] : الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ الْأَسْمَاءِ، لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى مَعَانٍ حَسَنَةٍ، مِنْ تَمْجِيدٍ وَتَقْدِيسٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾[3]: فَسَمُّوهُ بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ.

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[4]: وَاتْرُكُوا تَسْمِيَةَ الَّذِينَ يَمِيلُونَ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ فِيهَا، فَيُسَمُّونَهُ بِغَيْرِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَذَلِكَ أَنْ يُسَمُّوهُ بِمَا لا يَجُوزُ عَلَيْهِ، كَمَا سَمِعْنَا الْبَدْوَ يَقُولُونَ بِجَهْلِهِمْ: يَا أَبَا الْمَكَارِمِ، يَا أَبْيَضَ الْوَجْهِ، يَا نَخِيُّ، أَوْ أَنْ يَأْبَوْا تَسْمِيَتَهُ بِبَعْضِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، نَحْوَ أَنْ يَقُولُوا: يَا أَللَّهُ، وَلا يَقُولُوا: يَا رَحْمَنُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ﴾[5].

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: وَلِلَّهِ الْأَوْصَافُ الْحُسْنَى، وَهِيَ الْوَصْفُ بِالْعَدْلِ، وَالْخَيْرِ، وَالْإِحْسَانِ، وَانْتِفَاءِ شِبْهِ الْخَلْقِ فَصِفُوهُ بِهَا، وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَوْصَافِهِ، فَيَصِفُونَهُ بِمَشِيئَةِ الْقَبَائِحِ، وَخَلْقِ الْفَحْشَاءِ، وَالْمُنْكَرِ، وَبِمَا يَدْخُلُ فِي التَّشْبِيهِ، كَالرُّؤْيَةِ وَنَحْوِهَا.

وَقِيلَ: إِلْحَادُهُمْ فِي أَسْمَائِهِ: تَسْمِيَتُهُمُ الْأَصْنَامَ: آلِهَةً، وَاشْتِقَاقُهُمُ اللَّاتَ مِنَ اللَّهِ، وَالْعُزَّى مِنَ الْعَزِيزِ.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[6]

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْإِسْرَاءِ، الآية **110**.

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

لَمَّا قَالَ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا﴾[1]، فَأَخْبَرَ أَنْ كَثِيرًا مِنَ الثَّقَلَيْنِ عَامِلُونَ بِأَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ، أَتْبَعَهُ قَوْلَهُ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾[2].

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا قَرَأَهَا: "هَذِهِ لَكُمْ، وَقَدْ أَعْطَى الْقَوْمَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ مِثْلَهَا ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾[3].

وَعَنْهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَنْزِلَ عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلامُ–".

وَعَنِ الْكَلْبِيِّ: هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

وَقِيلَ: هُمُ الْعُلَمَاءُ وَالدُّعَاةُ إِلَى الدِّينِ.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[4]

الاسْتِدْرَاجُ: اسْتِفْعَالٌ مِنَ الدَّرَجَةِ بِمَعْنَى الاسْتِصْعَادِ، أَوِ الاسْتِنْزَالِ دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ.

قَالَ الْأَعْشَى:

فَلَوْ كُنْتَ فِي جُبِّ ثَمَانِينَ قَامَةً ... وَرُقِّيتَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

لَيَسْتَدْرِجَنَّكَ الْقَوْلُ حَتَّيْ تَهُـــرَّهُ ... وَتَعْلَمَ أَنِّي عَنْكُمُ غَيْرَ مُفْحَـمِ

وَمِنْهُ: دَرَجَ الصَّبِيُّ إِذَا قَارَبَ بَيْنَ خُطَاهُ، وَأَدْرَجَ الْكِتَابَ: طَوَاهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، وَدَرَجَ الْقَوْمُ: مَاتَ بَعْضُهُمْ فِي أَثَرِ بَعْضٍ.

وَمَعْنَى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾[5]: سَنَسْتَدْنِيهِمْ قَلِيلًا قَلِيلًا إِلَى مَا يُهْلِكُهُمْ، وَيُضَاعِفُ عِقَابَهُمْ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾[1]: مَا يُرَادُ بِهِمْ، وَذَلِكَ أَنْ يُوَاتِرَ اللَّهُ نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ مَعَ انْهِمَاكِهِمْ فِي الْغَيِّ؛ فَكُلَّمَا جَدَّدَ عَلَيْهِمْ نِعْمَةً، ازْدَادُوا بَطَرًا، وَجَدَّدُوا مَعْصِيَةً، فَيَتَدَرَّجُونَ فِي الْمَعَاصِي بِسَبَبِ تَرَادُفِ النِّعَمِ، ظَانِّينَ أَنَّ مُوَاتَرَةَ النِّعَمِ أَثَرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَتَقْرِيبٌ، وَإِنَّمَا هِيَ خِذْلانٌ مِنْهُ وَتَبْعِيدٌ، فَهُوَ اسْتِدْرَاجُ اللَّهِ تَعَالَى، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُ.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾[2]: عَطْفٌ عَلَى "سَنَسْتَدْرِجُهُمْ"، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي حُكْمِ السِّينِ.

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[3]: سَمَّاهُ كَيْدًا، لِأَنَّهُ شَبِيهٌ بِالْكَيْدِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فِي الظَّاهِرِ إِحْسَانٌ وَفِي الْحَقِيقَةِ خِذْلانٌ.

﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾[4]: بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾[5]: مِنْ جُنُونٍ، وَكَانُوا يَقُولُونَ، شَاعِرٌ مَجْنُونٌ.

وَعَنْ قَتَادَةَ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلا الصَّفَا، فَدَعَاهُمْ فَخْذًا فَخْذًا، يُحَذِّرُهُمْ بَأْسَ اللَّهِ، فَقَالَ قَائِلُهُمْ: إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا لَمَجْنُونٌ، بَاتَ يُهَوِّتُ إِلَى الصَّبَاحِ.

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾[6]: نَظَرَ اسْتِدْلالٍ.

﴿فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[7]: فِيمَا تَدُلَّانِ عَلَيْهِ مِنْ عِظَمِ الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ: الْمُلْكُ الْعَظِيمُ.

﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾[8]: وَفِيمَا خَلَقَ اللَّهُ مِمَّا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ الشَّيْءِ، وَمِنْ أَجْنَاسٍ لا يَحْصُرُهَا الْعَدَدُ، وَلا يُحِيطُ بِهَا الْوَصْفُ.

﴿وَأَنْ عَسَى﴾[9]: ﴿أَنْ﴾[10] مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَالأَصْلُ: أَنَّهُ عَسَى، عَلَى أَنَّ الضَّمِيرَ ضَمِيرُ الشَّأْنِ، وَالْمَعْنَى: أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي أَنَّ الشَّأْنَ وَالْحَدِيثَ عَسَى ﴿أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
9 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
10 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

أَجَلُهُمْ﴾[1]: لَعَلَّهُمْ يَمُوتُونَ عَمَّا قَرِيبٍ، فَيُسَارِعُوا إِلَى النَّظَرِ، وَطَلَبِ الْحَقِّ، وَمَا يُنْجِيهِمْ، قَبْلَ مُغَافَصَةِ الْأَجَلِ، وَحُلُولِ الْعِقَابِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِاقْتِرَابِ الْأَجَلِ: اقْتِرَابُ السَّاعَةِ، وَيَكُونُ مِنْ "كَانَ" الَّتِي فِيهَا ضَمِيرُ الشَّأْنِ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ يَتَعَلَّقُ قَوْلُهُ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[2] ؟

قُلْتُ: بِقَوْلِهِ: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾[3]، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَعَلَّ أَجَلَهُمْ قَدِ اقْتَرَبَ، فَمَا لَهُمْ لا يُبَادِرُونَ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ قَبْلَ الْفَوْتِ؟ وَمَاذَا يَنْتَظِرُونَ بَعْدَ وُضُوحِ الْحَقِّ؟ وَبِأَيِّ حَدِيثٍ أَحَقَّ مِنْهُ يُرِيدُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا؟

﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[4]

قُرِئَ: "وَيَذَرُهُمْ"، بِالْيَاءِ وَالنُّونِ، وَالرَّفْعِ عَلَى الاسْتِئْنَافِ، وَيَذَرْهُمْ، بِالْيَاءِ، وَالْجَزْمِ، عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ فَلا هَادِيَ لَهُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ لا يَهْدِهُ أَحَدٌ وَيَذَرْهُمْ.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[5]

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: قِيلَ: إِنَّ قَوْمًا مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنَا مَتَى السَّاعَةُ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا، فَإِنَّا نَعْلَمُ مَتَى هِيَ، وَكَانَ ذَلِكَ امْتِحَانًا مِنْهُمْ، مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– قَدِ اسْتَأْثَرَ بِعِلْمِهَا، وَقِيلَ: السَّائِلُونَ قُرَيْشٌ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَ﴿السَّاعَةُ﴾[1]: مِنَ الْأَسْمَاءِ الْغَالِبَةِ، كَالنَّجْمِ لِلثُّرَيَّا، وَسُمِّيَتِ الْقِيَامَةُ بِالسَّاعَةِ، لِوُقُوعِهَا بَغْتَةً أَوْ لِسُرْعَةِ حِسَابِهَا، أَوْ عَلَى الْعَكْسِ لِطُولِهَا، أَوْ لِأَنَّهَا عِنْدَ اللَّهِ عَلَى طُولِهَا كَسَاعَةٍ مِنَ السَّاعَاتِ عِنْدَ الْخَلْقِ.

﴿أَيَّانَ﴾[2] بِمَعْنَى: مَتَى، وَقِيلَ: اشْتِقَاقُهُ مِنْ أَيَّ فَعْلانٌ مِنْهُ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ: أَيُّ وَقْتٍ، وَأَيُّ فِعْلٍ، مَنْ أَوَيْتُ إِلَيْهِ، لِأَنَّ الْبَعْضَ آوٍ إِلَى الْكُلِّ مُتَسَانِدٌ إِلَيْهِ، قَالَهُ ابْنُ جِنِّيٍّ، وَأَبَى أَنْ يَكُونَ مِنْ "أَيْنَ"، لِأَنَّهُ زَمَانٌ، "وَأَيْنَ": مَكَانٌ.

وَقَرَأَ السُّلَمِيُّ: "إِيَّانَ"، بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ.

﴿مُرْسَاهَا﴾[3]: إِرْسَاؤُهَا، أَوْ وَقْتُ إِرْسَائِهَا، أَيْ إِثْبَاتُهَا وَإِقْرَارُهَا، وَكُلُّ شَيْءٍ ثَقِيلٍ رُسُوُّهُ ثَبَاتُهُ وَاسْتِقْرَارُهُ، وَمِنْهُ: رُسِّيَ الْجَبَلُ، وَأُرْسِيَ السَّفِينَةُ، وَالْمَرْسَى: الْأَنْجَرُ الَّذِي تُرْسَى بِهِ، وَلا أَثْقَلَ مِنَ السَّاعَةِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[4].

وَالْمَعْنَى: مَتَى يُرْسِيهَا اللَّهُ.

﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾[5]، أَيْ: عِلْمُ وَقْتِ إِرْسَائِهَا عِنْدَهُ قَدِ اسْتَأْثَرَ بِهِ، وَلَمْ يُخْبِرْ بِهِ أَحَدًا مَنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، يَكَادُ يُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِهِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى إِلَى الطَّاعَةِ، وَأَزْجَرَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، كَمَا أَخْفَى الْأَجَلَ الْخَاصَّ، وَهُوَ وَقْتُ الْمَوْتِ.

لِذَلِكَ ﴿لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ﴾[6]، أَيْ: لا تَزَالُ خَفِيَّةً، لا يَظْهَرُ أَمْرُهَا، وَلا يُكْشَفُ خَفَاءُ عِلْمِهَا، إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ إِذَا جَاءَ فِي وَقْتِهَا بَغْتَةً، لا يُجَلِّيهَا بِالْخَبَرِ عَنْهَا قَبْلَ مَجِيئِهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، لِاسْتِمْرَارِ الْخَفَاءِ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ إِلَى وَقْتِ وُقُوعِهَا.

﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[7]، أَيْ: كُلٌّ مِنْ أَهْلِهَا مِنَ الْمَلائِكَةِ وَالثَّقَلَيْنِ أَهَمَّهُ شَأْنُ السَّاعَةِ، وَبِوِدِّهِ أَنْ يَتَجَلَّى لَهُ عِلْمُهَا، وَشَقَّ عَلَيْهِ خَفَاؤُهَا، وَثَقُلَ عَلَيْهِ، أَوْ ثَقُلَتْ فِيهَا،

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

لِأَنَّ أَهْلَهَا يَتَوَقَّعُونَهَا، وَيَخَافُونَ شَدَائِدَهَا وَأَهْوَالَهَا، أَوْ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لا يُطِيقُهَا، وَلا يَقُومُ لَهَا، فَهِيَ ثَقِيلَةٌ فِيهَا.

﴿إِلاّ بَغْتَةً﴾[1]: إِلَّا فَجْأَةً عَلَى غَفْلَةٍ مِنْكُمْ.

وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِنَّ السَّاعَةَ تُهَيِّجُ بِالنَّاسِ وَالرَّجُلُ يُصْلِحُ حَوْضَهُ، وَالرَّجُلُ يَسْقِي مَاشِيَتَهُ، وَالرَّجُلُ يُقَوِّمُ سِلْعَتَهُ فِي سُوقِهِ، وَالرَّجُلُ يَخْفِضُ مِيزَانَهُ وَيَرْفَعُهُ".

﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾[2]: أَنَّكَ عَالِمٌ بِهَا، وَحَقِيقَتُهُ: كَأَنَّكَ بَلِيغٌ فِي السُّؤَالِ عَنْهَا، لِأَنَّ مَنْ بَالَغَ فِي الْمَسْأَلَةِ عَنِ الشَّيْءِ وَالتَّنْقِيرِ عَنْهُ اسْتَحْكَمَ عِلْمُهُ فِيهِ وَرَصَنَ.

وَهَذَا التَّرْكِيبُ مَعْنَاهُ الْمُبَالَغَةُ، وَمِنْهُ: إِحْفَاءُ الشَّارِبِ، احْتِفَاءُ الْبَقْلِ: اسْتِئْصَالُهُ، وَأَحْفَى فِي الْمَسْأَلَةِ، إِذَا أَلْحَفَ، وَحَفِيٌّ بِفُلانٍ وَتَحَفَّى بِهِ: بَالَغَ فِي الْبِرِّ بِهِ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: اسْتَحْفَيْتُ عَنْهَا السُّؤَالَ حَتَّى عَلِمْتُ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِهَا"، أَيْ: عَالِمٌ بِهَا، بَلِيغٌ فِي الْعِلْمِ بِهَا.

وَقِيلَ: "عَنْهَا": مُتَعَلِّقٌ بِيَسْأَلُونَكَ، أَيْ: يَسْأَلُونَكَ عَنْهَا كَأَنَّكَ حَفِيٌّ، أَيْ: عَالِمٌ بِهَا، وَقِيلَ: إِنَّ قُرَيْشًا قَالُوا لَهُ: إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ قَرَابَةً، فَقُلْ لَنَا مَتَى السَّاعَةُ؟ فَقِيلَ: يَسْأَلُونَكَ عَنْهَا كَأَنَّكَ حَفِيٌّ تَتَحَفَّى بِهِمْ، فَتَخْتَصُّهُمْ بِتَعْلِيمِ وَقْتِهَا، لِأَجْلِ الْقَرَابَةِ، وَتَزْوِي عِلْمَهَا عَنْ غَيْرِهِمْ، وَلَوْ أُخْبِرْتَ بِوَقْتِهَا لِمَصْلَحَةٍ عَرَفَهَا اللَّهُ فِي إِخْبَارِكَ بِهِ، لَكُنْتَ مُبَلِّغَهُ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ مِنْ غَيْرِ تَخْصِيصٍ، كَسَائِرِ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ.

وَقِيلَ: "كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِالسُّؤَالِ عَنْهَا تُحِبُّهُ وَتُؤْثِرُهُ"، يَعْنِي: أَنَّكَ تَكْرَهُ السُّؤَالَ عَنْهَا، لِأَنَّهَا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ، وَلَمْ يُؤْتِهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ كَرَّرَ يَسْأَلُونَكَ، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ؟

قُلْتُ: لِلتَّأْكِيدِ، وَلِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ زِيَادَةِ قَوْلِهِ: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾[3]. وَعَلَى هَذَا تَكْرِيرُ الْعُلَمَاءِ الْحُذَّاقِ فِي كُتُبِهِمْ لا يَخْلُونَ الْمُكَرَّرَ مِنْ فَائِدَةٍ زَائِدَةٍ، مِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ صَاحِبُ أَبِي حَنِيفَةَ -رَحِمَهُمَا اللَّهُ-.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[1]: أَنَّهُ الْعَالِمُ بِهَا، وَأَنَّهُ الْمُخْتَصُّ بِالْعِلْمِ بِهَا.

﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2]

﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي﴾[3]: هُوَ إِظْهَارٌ لِلْعُبُودِيَّةِ، وَالانْتِفَاءُ عَمَّا يَخْتَصُّ بِالرُّبُوبِيَّةِ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، أَيْ: أَنَا عَبْدٌ ضَعِيفٌ، لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي اجْتِلابَ نَفْعٍ، وَلا دَفْعَ ضَرَرٍ، كَمَا الْمَمَالِيكُ وَالْعَبِيدُ إِلاَّ مَا شَاءَ: رَبِّي وَمَالِكِي مِنَ النَّفْعِ لِي وَالدَّفْعِ عَنِّي.

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾[4]: لَكَانَتْ حَالِي عَلَى خِلافِ مَا هِيَ عَلَيْهِ، مِنِ اسْتِكْثَارِ الْخَيْرِ، وَاسْتِغْزَارِ الْمَنَافِعِ، وَاجْتِنَابِ السُّوءِ وَالْمَضَارِّ، حَتَّى لا يَمَسَّنِي شَيْءٌ مِنْهَا، وَلَمْ أَكُنْ غَالِبًا، مَرَّةً وَمَغْلُوبًا أُخْرَى فِي الْحُرُوبِ، وَرَابِحًا وَخَاسِرًا فِي التِّجَارَاتِ، وَمُصِيبًا مُخْطِئًا فِي التَّدَابِيرِ.

﴿إِنْ أَنَا إِلاَّ﴾[5]: عَبْدٌ أُرْسِلْتُ نَذِيرًا وَبَشِيرًا، وَمَا مِنْ شَأْنِي أَنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ.

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[6]: يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِالنَّذِيرِ، وَالْبَشِيرِ جَمِيعًا، لِأَنَّ النِّذَارَةَ وَالْبِشَارَةَ إِنَّمَا تَنْفَعَانِ فِيهِمْ، أَوْ يَتَعَلَّقُ بِالتَّبْشِيرِ وَحْدَهُ، وَيَكُونُ الْمُتَعَلِّقُ بِالنَّذِيرِ مَحْذُوفًا، أَيْ: إِلَّا نَذِيرٌ لِلْكَافِرِينَ، وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

مِنْ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]

﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[2]: وَهِيَ نَفْسُ آدَمَ –عَلَيْهِ السَّلامُ–: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[3]: وَهِيَ حَوَّاءُ، خَلَقَهَا مِنْ جَسَدِ آدَمَ مِنْ ضِلْعٍ مِنْ أَضْلاعِهِ، أَوْ مِنْ جِنْسِهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾[4].

﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[5]: لِيَطْمَئِنَّ إِلَيْهَا، وَيَمِيلَ وَلا يَنْفِرَ، لِأَنَّ الْجِنْسَ إِلَى الْجِنْسِ أَمْيَلُ وَبِهِ آنَسُ.

وَإِذَا كَانَتْ بَعْضًا مِنْهُ، كَانَ السُّكُونُ وَالْمَحَبَّةُ أَبْلَغَ، كَمَا يَسْكُنُ الْإِنْسَانُ إِلَى وَلَدِهِ، وَيُحِبُّهُ مَحَبَّةَ نَفْسِهِ، لِكَوْنِهِ بُضْعَةً مِنْهُ.

وَقَالَ: ﴿لِيَسْكُنَ﴾[6]: فَذَكَّرَ بَعْدَمَا أَنَّثَ فِي قَوْلِهِ: وَاحِدَةٍ مِنْهَا زَوْجُهَا، ذَهَابًا إِلَى مَعْنَى النَّفْسِ، لِيُبَيِّنَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا آدَمُ، وَلِأَنَّ الذَّكَرَ هُوَ الَّذِي يَسْكُنُ إِلَى الْأُنْثَى وَيَتَغَشَّاهَا؛ فَكَانَ التَّذْكِيرُ أَحْسَنَ طِبَاقًا لِلْمَعْنَى.

وَالتَّغَشِّي: كِنَايَةٌ عَنِ الْجِمَاعِ، وَكَذَلِكَ الْغَشَيَانُ وَالْإِتْيَانُ.

﴿حَمَلَتْ حَمْلا خَفِيفًا﴾[7]: خَفَّ عَلَيْهَا، وَلَمْ تَلْقَ مِنْهُ مَا يَلْقَى بَعْضُ الْحُبَالَى مِنْ حَمْلِهِنَّ مِنَ الْكَرْبِ وَالْأَذَى، وَلَمْ تَسْتَثْقِلْهُ كَمَا يَسْتَثْقِلْنَهُ، وَقَدْ تَسْمَعُ بَعْضَهُنَّ تَقُولُ فِي وَلَدِهَا: مَا كَانَ أَخَفَّهُ عَلَى كَبِدِي حِينَ حَمَلْتُهُ.

﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾[8]: فَمَضَتْ بِهِ إِلَى وَقْتِ مِيلادِهِ مِنْ غَيْرِ إِخْدَاجٍ، وَلا إِزْلاقٍ.

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الشُّورَى، الآية 11.
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَقِيلَ: ﴿حَمَلَتْ حَمْلا خَفِيفًا﴾[1]، يَعْنِي: النُّطْفَةَ.

﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾[2]: فَقَامَتْ بِهِ وَقَعَدَتْ.

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "فَاسْتَمَرَّتْ بِهِ".

وَقَرَأَ يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ، "فَمَرَّتْ بِهِ"، بِالتَّخْفِيفِ، وَقَرَأَ غَيْرُهُ: "فَمَارَتْ بِهِ"، مِنَ الْمِرْيَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾[3]: وَأَفَتَمْرُونَهُ.

وَمَعْنَاهُ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِهَا ظَنُّ الْحَمْلِ، فَارْتَابَتْ بِهِ.

﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾[4] حَانَ وَقْتُ ثِقَلِ حَمْلِهَا، كَقَوْلِكَ: أَقْرَبَتْ.

وَقُرِئَ "أُثْقِلَتْ"، عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ: أَيْ: أَثْقَلَهَا الْحَمْلُ.

﴿دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾[5] دَعَا آدَمُ وَحَوَّاءُ رَبَّهُمَا، وَمَالِكَ أَمْرِهِمَا الَّذِي هُوَ الْحَقِيقِيُّ بِأَنْ يُدْعَى وَيُلْتَجَأَ إِلَيْهِ، فَقَالا: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا﴾[6]: لَئِنْ وَهَبْتَ لَنَا.

﴿صَالِحًا﴾[7]: وَلَدًا سَوِيًّا قَدْ صَلَحَ بَدَنُهُ وَبَرِئَ.

وَقِيلَ: وَلَدًا ذَكَرًا، لِأَنَّ الذُّكُورَةَ مِنَ الصَّلاحِ وَالْجَوْدَةِ.

وَالضَّمِيرُ فِي ﴿ءَاتَيْتَنَا﴾[8]، وَ﴿لَنَكُونَنَّ﴾[9]: لَهُمَا، وَلِكُلِّ مَنْ يَتَنَاسَلُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا﴾[10]: مَا طَلَبَاهُ مِنَ الْوَلَدِ الصَّالِحِ السَّوِيِّ.

﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ﴾[11]، أَيْ: جَعَلَ أَوْلادُهُمَا لَهُ شُرَكَاءَ، عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ، وَإِقَامَةِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ.

وَكَذَلِكَ: ﴿فِيمَا آتَاهُمَا﴾، أَيْ: آتَى أَوْلادَهُمَا.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ النَّجْمِ، الآية 12.

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[8] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[9] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[10] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[11] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]، حَيْثُ جَمَعَ الضَّمِيرَ، وَآدَمُ وَحَوَّاءُ بَرِيئَانِ مِنَ الشِّرْكِ.

وَمَعْنَى إِشْرَاكِهِمْ فِيمَا آتَاهُمُ اللَّهُ: تَسْمِيَتُهُمْ أَوْلادَهُمْ بِعَبْدِ الْعُزَّى، وَعَبْدِ مَنَاةَ، وَعَبْدَ شَمْسٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، مَكَانَ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدِ الرَّحِيمِ، وَوَجْهٌ آخَرُ، وَهُوَ: أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ لِقُرَيْشٍ، الَّذِينَ كَانُوا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهُمْ آلُ قُصَيٍّ.

أَلا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ فِي قِصَّةِ أُمِّ مَعْبَدٍ:

فَيَا لَقُصَيٍّ مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُمْ بِهِ مِنْ فَخَارٍ لا يُبَارَى وَسُؤْدَدِ

وَيُرَادُ: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ قُصِي، وَجَعَلَ مِنْ جِنْسِهَا زَوْجَهَا عَرَبِيَّةً قُرَشِيَّةً، لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا آتَاهُمَا مَا طَلَبَا مِنَ الْوَلَدِ الصَّالِحِ السَّوِيِّ جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا، حَيْثُ سَمَّيَا أَوْلادَهُمَا الْأَرْبَعَةَ بِعَبْدِ مُنَافٍ، وَعَبْدِ الْعُزَّى، وَعَبْدِ قُصَيٍّ، وَعَبْدِ الدَّارِ، وَجَعَلَ الضَّمِيرَ فِي: "يُشْرِكُونَ" لَهُمَا، وَلِأَعْقَابِهِمَا، الَّذِينَ اقْتَدَوْا بِهِمَا فِي الشِّرْكِ، وَهَذَا تَفْسِيرٌ حَسَنٌ لا إِشْكَالَ فِيهِ، وَقُرِئَ: "شِرْكًا"، أَيْ: ذَوِي شِرْكٍ وَهُمُ الشُّرَكَاءُ، أَوْ أَحْدَثَا لِلَّهِ شِرْكًا فِي الْوَلَدِ.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾[2]

أُجْرِيَتِ الْأَصْنَامُ مَجْرَى أُولِي الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[3]، بِنَاءً عَلَى اعْتِقَادِهِمْ فِيهَا، وَتَسْمِيَتِهِمْ إِيَّاهَا آلِهَةً، وَالْمَعْنَى: أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ شَيْءٍ كَمَا يَخْلُقُ اللَّهُ، وَهُمْ يُخْلَقُونَ؟ لِأَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- خَالِقُهُمْ، أَوْ لا يَقْدِرُ عَلَى اخْتِلاقِ شَيْءٍ، لِأَنَّهُ جَمَادٌ، وَهُمْ يُخْلَقُونَ، لِأَنَّ عَبَدَتَهُمْ يَخْتَلِقُونَهُمْ، فَهُمْ أَعْجَزُ مِنْ عَبَدَتِهِمْ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾[1]: لِعَبَدَتِهِمْ.

﴿نَصْرًا وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾[2]: فَيَدْفَعُونَ عَنْهَا مَا يَعْتَرِيهَا مِنَ الْحَوَادِثِ، بَلْ عَبَدَتُهُمْ هُمُ الَّذِي يَدْفَعُونَ عَنْهُمْ وَيُحَامُونَ عَلَيْهِمْ.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾[3]: وَإِنْ تَدْعُوا هَذِهِ الْأَصْنَامَ.

﴿إِلَى الْهُدَى﴾[4]، أَيْ: إِلَى مَا هُوَ هُدًى وَرَشَادٌ، وَإِلَى أَنْ يَهْدُوكُمْ.

وَالْمَعْنَى: وَإِنْ تَطْلُبُوا مِنْهُمْ كَمَا تَطْلُبُونَ مِنَ اللَّهِ الْخَيْرَ وَالْهُدَى، لا يَتْبَعُوكُمْ إِلَى مُرَادِكُمْ وَطَلِبَتِكُمْ، وَلا يُجِيبُوكُمْ كَمَا يُجِيبُكُمُ اللَّهُ.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[5].

﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾[6]: أَمْ صُمْتُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ، فِي أَنَّهُ لا فَلاحَ مَعَهُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: أَمْ صُمْتُمْ؟ وَلِمَ وُضِعَتِ الْجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ مَوْضِعَ الْفِعْلِيَّةِ؟

قُلْتُ: لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا حَزَبَهُمْ أَمْرٌ دَعَوُا اللَّهَ دُونَ أَصْنَامِهِمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾[7]، فَكَانَتْ حَالُهُمُ الْمُسْتَمِرَّةُ أَنْ يَكُونُوا صَامِتِينَ عَنْ دَعْوَتِهِمْ؛ فَقِيلَ: إِنْ دَعَوْتُمُوهُمْ، لَمْ تَفْتَرِقِ الْحَالُ بَيْنَ إِحْدَاثِكُمْ دُعَاءَهُمْ، وَبَيْنَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ عَادَةِ صَمْتِكُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ﴾[8]

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية **194**.

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[8] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[1]، أَيْ: تَعْبُدُونَهُمْ وَتُسَمُّونَهُمْ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[2]: اسْتِهْزَاءٌ بِهِمْ، أَيْ: قُصَارَى أَمْرِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَحْيَاءً عُقَلاءَ، فَإِنْ ثَبَتَ ذَلِكَ، فَهُمْ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ، لا تَفَاضُلَ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ أَبْطَلَ أَنْ يَكُونُوا عِبَادًا أَمْثَالَهُمْ، فَقَالَ: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾[3].

وَقِيلَ: عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ مَمْلُوكُونَ أَمْثَالُكُمْ.

وَقَرَأَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: "إِنِ الَّذِينَ تَدْعُونَ مَنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَالَكُمْ" بِتَخْفِيفِ "إِنَّ"، وَنَصْبِ "عِبَادًا أَمْثَالَكُمْ".

وَالْمَعْنَى: مَا الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَالَكُمْ، عَلَى إِعْمَالِ "إِنِ" النَّافِيَةِ عَمَلَ "مَا": الْحِجَازِيَّةِ.

﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾[4]: وَاسْتَعِينُوا بِهِمْ فِي عَدَاوَتِي.

﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾[5]: جَمِيعًا أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ.

﴿فَلا تُنْظِرُونِ﴾[6]: فَإِنِّي لا أُبَالِي بِكُمْ، وَلا يَقُولُ هَذَا إِلَّا وَاثِقٌ بِعِصْمَةِ اللَّهِ، وَكَانُوا قَدْ خَوَّفُوهُ آلِهَتَهُمْ، فَأُمِرَ أَنْ يُخَاطِبَهُمْ بِذَلِكَ، كَمَا قَالَ قَوْمُ هُودٍ لَهُ: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾[7] قَالَ لَهُمْ: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ﴾[8].

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[8] سُورَةُ هُودٍ، الآيتان 54–55.

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾[1]

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ﴾[2]، أَيْ: نَاصِرِي عَلَيْكُمُ اللَّهُ.

﴿الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾[3]: الَّذِي أَوْحَى إِلَيَّ كِتَابَهُ وَأَعَزَّنِي بِرِسَالَتِهِ.

﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[4]: وَمِنْ عَادَتِهِ أَنْ يَنْصُرَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ وَأَنْبِيَائِهِ، وَلا يَخْذُلَهُمْ.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾[5]

﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾[6]: يُشَبِّهُونَ النَّاظِرِينَ إِلَيْكَ، لِأَنَّهُمْ صَوَّرُوا أَصْنَامَهُمْ بِصُورَةٍ مِنْ قَلْبِ حَدَقَتِهِ إِلَى الشَّيْءِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ.

﴿وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾[7]: وَهُمْ لا يُدْرِكُونَ الْمَرْئِيَّ.

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[8]

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .
8 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿الْعَفْوَ﴾: ضِدُّ الْجَهْدِ، أَيْ: خُذْ مَا عَفَا لَكَ مِنْ أَفْعَالِ النَّاسِ وَأَخْلاقِهِمْ وَمَا أَتَى مِنْهُمْ، وَتَسْهُلُ مِنْ غَيْرِ كُلْفَةٍ، وَلا تُدَاقِهِمْ، وَلا تَطْلُبْ مِنْهُمُ الْجَهْدَ، وَمَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى لا يَنْفِرُوا، كَقَوْلِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا".

قَالَ:

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ

وَقِيلَ: خُذِ الْفَضْلَ وَمَا تَسَهَّلَ مِنْ صَدَقَاتِهِمْ، وَذَلِكَ قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ الزَّكَاةِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ، أُمِرَ أَنْ يَأْخُذَهُمْ بِهَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، وَالْعُرْفُ: الْمَعْرُوفُ وَالْجَمِيلُ مِنَ الْأَفْعَالِ.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[1]: وَلا تُكَافِئِ السُّفَهَاءَ بِمِثْلِ سَفَهِهِمْ، وَلا تُمَارِهِمْ، وَاحْلُمْ عَنْهُمْ، وَأَغْضَ عَلَى مَا يَسُوؤُكَ مِنْهُمْ.

وَقِيلَ: لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ، سَأَلَ "جِبْرِيلَ"، فَقَالَ: لا أَدْرِي حَتَّى أُسْأَلَ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: "يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ أَمَرَكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ".

وَعَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ: أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ –عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ– بِمَكَارِمِ الْأَخْلاقِ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَجْمَعُ لِمَكَارِمِ الْأَخْلاقِ مِنْهَا.

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾[3]: وَإِمَّا يَنْخَسَنَّكَ مِنْهُ نَخْسٌ، بِأَنْ يَحْمِلَكَ بِوَسْوَسَتِهِ عَلَى خِلافِ مَا أُمِرْتَ بِهِ.

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾[4]: وَلا تُطِعْهُ، النَّزْغُ وَالنَّسْغُ: الْغَرْزُ وَالنَّخْسُ، كَأَنَّهُ يَنْخُسُ النَّاسَ حِينَ يُغْرِيهِمْ عَلَى الْمَعَاصِي، وَجُعِلَ النَّزْغُ نَازِغًا، كَمَا قِيلَ: جَدَّ جَدِّهِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

وَرُوِيَ أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "كَيْفَ يَا رَبِّ وَالْغَضَبُ"، فَنَزَلَ: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾[1].

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِنَزْغِ الشَّيْطَانِ: اعْتِرَاءُ الْغَضَبِ، كَقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: إِنَّ لِي شَيْطَانًا يَعْتَرِينِي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾[2]

﴿طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾[3]: لَمَّةٌ مِنْهُ مَصْدَرٌ، مِنْ قَوْلِهِمْ: طَافَ بِهِ الْخَيَالُ يَطِيفُ طَيْفًا. قَالَ:

أَنَّى أَلَمَّ بِكَ الْخَيَالُ يَطِيفُ

أَوْ هُوَ تَخْفِيفُ طَيِّفٍ فَيْعَلٌ، مِنْ طَافَ يَطِيفُ كَلَيِّنٍ، أَوْ مِنْ طَافَ يَطُوفُ كَهَيِّنٍ.

وَقُرِئَ: "طَائِفٌ"، وَهُوَ يَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ -أَيْضًا-، وَهَذَا تَأْكِيدٌ وَتَقْرِيرٌ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ وُجُوبِ الاسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ عِنْدَ نَزْغِ الشَّيْطَانِ.

وَأَنَّ الْمُتَّقِينَ هَذِهِ عَادَتُهُمْ: إِذَا أَصَابَهُمْ أَدْنَى نَزْغٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِلْمَامٍ بِوَسْوَسَتِهِ، ﴿تَذَكَّرُوا﴾[4]، مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَنَهَى عَنْهُ، فَأَبْصَرُوا السَّدَادَ، وَدَفَعُوا مَا وَسْوَسَ بِهِ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يُتْبِعُوهُ أَنْفُسَهُمْ.

وَأَمَّا إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ لَيْسُوا بِمُتَّقِينَ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ، أَيْ: يَكُونُونَ مَدَدًا لَهُمْ فِيهِ وَيُعَضِّدُونَهُمْ.

وَقُرِئَ: "يُمِدُّونَهُمْ" مِنَ الْإِمْدَادِ، "وَيُمَادُّونَهُمْ" بِمَعْنَى: يُعَاوِنُونَهُمْ.

﴿ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾[5]: ثُمَّ لا يُمْسِكُونَ عَنْ إِغْوَائِهِمْ حَتَّى يُصِرُّوا وَلا يَرْجِعُوا.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

قَوْلُهُ: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾[1]، كَقَوْلِهِ:

قَوْمٌ إِذَا الْخَيْلُ جَالُوا فِي كَوَاثِبِهَا

فِي أَنَّ الْخَبَرَ جَارٍ عَلَى مَا هُوَ لَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْإِخْوَانِ: الشَّيَاطِينُ، وَيَرْجِعُ الضَّمِيرُ الْمُتَعَلِّقُ بِهِ إِلَى الْجَاهِلِينَ، فَيَكُونُ الْخَبَرُ جَارِيًا عَلَى مَا هُوَ لَهُ، وَالْأَوَّلُ أَوْجُهُ، لِأَنَّ إِخْوَانَهُمْ فِي مُقَابَلَةِ الَّذِينَ اتَّقَوْا.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ جَمَعَ الضَّمِيرَ فِي إِخْوَانِهِمْ وَالشَّيْطَانُ مُفْرَدٌ؟

قُلْتُ: الْمُرَادُ بِهِ الْجِنْسُ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾[2].

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3]

اجْتَبَى الشَّيْءَ، بِمَعْنَى جَبَاهُ لِنَفْسِهِ، أَيْ: جَمَعَهُ، كَقَوْلِكَ: اجْتَمَعَهُ، أَوْ جُبِيَ إِلَيْهِ فَاجْتَبَاهُ: أَيْ أَخَذَهُ، كَقَوْلِكَ: جَلَيْتُ إِلَيْهِ الْعَرُوسَ فَاجْتَلَاهَا.

وَمَعْنَى: ﴿لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا﴾[4]: هَلَّا اجْتَمَعْتَهَا، افْتِعَالًا مِنْ عِنْدِ نَفْسِكَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: ﴿مَا هَذَا إِلا إِفْكٌ مُفْتَرًى﴾[5]، أَوْ هَلَّا أَخَذْتَهَا مُنَزَّلَةً عَلَيْكَ مُقْتَرَحَةً؟

﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾[6]: وَلَسْتُ بِمُفْتَعِلٍ لِلْآيَاتِ، أَوْ لَسْتُ بِمُقْتَرِحٍ لَهَا.

﴿هَذَا بَصَائِرُ﴾[7]: هَذَا الْقُرْآنُ بَصَائِرُ.

---

1 سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الآية 257.

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ سَبَأٍ، الآية 43.

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾[1]، أَيْ: حُجَجٌ بَيِّنَةٌ يَعُودُ الْمُؤْمِنُونَ بِهَا بُصَرَاءَ بَعْدَ الْعَمَى، أَوْ هُوَ بِمَنْزِلَةِ بَصَائِرِ الْقُلُوبِ.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾[3]: ظَاهِرُهُ وُجُوبُ الاسْتِمَاعِ، وَالْإِنْصَاتِ وَقْتَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي صَلاةٍ وَغَيْرِ صَلاةٍ.

وَقِيلَ: كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فِي الصَّلاةِ فَنَزَلَتْ، ثُمَّ صَارَ سُنَّةً فِي غَيْرِ الصَّلاةِ أَنْ يُنْصِتَ الْقَوْمُ إِذَا كَانُوا فِي مَجْلِسٍ يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَإِذَا تَلا عَلَيْكُمُ الرَّسُولُ الْقُرْآنَ عِنْدَ نُزُولِهِ، فَاسْتَمِعُوا لَهُ.

وَقِيلَ: مَعْنَى ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾[4]: فَاعْمَلُوا بِمَا فِيهِ وَلا تُجَاوِزُوهُ.

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾[5]

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾[6]: هُوَ عَامٌّ فِي الْأَذْكَارِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالدُّعَاءِ، وَالتَّسْبِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾[7]: مُتَضَرِّعًا وَخَائِفًا.

---

[1] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

﴿وَدُونَ الْجَهْرِ﴾[1]: وَمُتَكَلِّمًا كَلامًا دُونَ الْجَهْرِ، لِأَنَّ الْإِخْفَاءَ أَدْخَلُ فِي الْإِخْلاصِ، وَأَقْرَبُ إِلَى حُسْنِ التَّفَكُّرِ.

﴿بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾[2]: لِفَضْلِ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ، أَوْ أَرَادَ الدَّوَامَ.

وَمَعْنَى بِالْغُدُوِّ: بِأَوْقَاتِ الْغُدُوِّ، وَهِيَ الْغَدَوَاتُ.

وَقُرِئَ: "وَالْإِيصَالِ"، مِنْ آصَلَ إِذَا دَخَلَ فِي الْأَصِيلِ، كَأَقْصَرَ وَأَعْتَمَ، وَهُوَ مُطَابِقٌ لِلْغُدُوِّ.

﴿وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾[3]: مِنَ الَّذِينَ يَغْفُلُونَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَيَلْهُونَ عَنْهُ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾[4]

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾[5]: هُمُ الْمَلائِكَةُ –صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ– وَمَعْنَى "عِنْدَ": دُنُوِّ الزُّلْفَةِ، وَالْقُرْبِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ –تَعَالَى– وَفَضْلِهِ، لِتُوَفِّرَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ؛ ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾[6]: وَيَخْتَصُّونَهُ بِالْعِبَادَةِ لا يُشْرِكُونَ بِهِ غَيْرَهُ، وَهُوَ تَعْرِيضٌ بِمَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْأَعْرَافِ جَعَلَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِبْلِيسَ سِتْرًا، وَكَانَ آدَمُ شَفِيعًا لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

---

1 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية .

سُورَةُ الأَنفَالِ

سورة الأنفال

مَدَنِيَّةٌ؛ [إِلَّا مِنْ آيَةِ 30 إِلَى غَايَةِ آيَةِ 36 فَمَكِّيَّةٌ]
وَهِيَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ آيَةً [نَزَلَتْ بَعْدَ الْبَقَرَةِ[

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1]

النَّفْلُ: الْغَنِيمَةُ، لِأَنَّهَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ –تَعَالَى– وَعَطَائِهِ.

قَالَ لَبِيدٌ:

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفْـــلِ

وَالنَّفْلُ مَا يَنْفُلُهُ الْغَازِي، أَيْ: يُعْطَاهُ زَائِدًا عَلَى سَهْمِهِ مِنَ الْمَغْنَمِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ الْإِمَامُ تَحْرِيضًا عَلَى الْبَلاءِ فِي الْحَرْبِ: مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ، أَوْ قَالَ لِسِرِّيَّةٍ: مَا أَصَبْتُمْ فَهُوَ لَكُمْ، أَوْ فَلَكُمْ نِصْفُهُ أَوْ رُبْعُهُ، وَلا يُخَمَّسُ النَّفْلُ، وَيَلْزَمُ الْإِمَامُ الْوَفَاءَ بِمَا وَعَدَ مِنْهُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ –رَحِمَهُ اللَّهُ– فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ: لا يَلْزَمُ، وَلَقَدْ وَقَعَ الاخْتِلافُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَنَائِمِ بَدْرٍ وَفِي قِسْمَتِهَا، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَيْفَ تُقْسَمُ، وَلِمَنِ الْحُكْمُ فِي قِسْمَتِهَا؟ أَلِلْمُهَاجِرِينَ أَمْ لِلْأَنْصَارِ؟ أَمْ لَهُمْ جَمِيعًا؟ فَقِيلَ لَهُ: قُلْ لَهُمْ: هِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَهُوَ الْحَاكِمُ فِيهَا خَاصَّةً يَحْكُمُ فِيهَا مَا يَشَاءُ، لَيْسَ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ فِيهَا حُكْمٌ.

وَقِيلَ: شَرْطٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ بَلاءٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنْ يَنْفُلَهُ، فَتَسَارَعَ شُبَّانُهُمْ حَتَّى قَتَلُوا سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ، فَلَمَّا يَسَّرَ اللَّهُ لَهُمُ الْفَتْحَ، اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَتَنَازَعُوا، فَقَالَ الشُّبَّانُ: نَحْنُ الْمُقَاتِلُونَ، وَقَالَ الشُّيُوخُ وَالْوُجُوهُ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَ الرَّايَاتِ: كُنَّا رِدْءًا لَكُمْ، وَفِئَةً تَنْحَازُونَ إِلَيْهَا إِنِ انْهَزَمْتُمْ، وَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: الْمَغْنَمُ قَلِيلٌ، وَالنَّاسُ كَثِيرٌ، وَإِنْ تُعْطِ هَؤُلاءِ مَا شَرَطْتَ لَهُمْ حَرَمْتَ أَصْحَابَكَ، فَنَزَلَتْ.

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ: قُتِلَ أَخِي عُمَيْرٌ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَتَلْتُ بِهِ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَأَخَذْتُ سَيْفَهُ فَأَعْجَبَنِي، فَجِئْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَفَى صَدْرِي مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَهَبْ لِي هَذَا السَّيْفَ، فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا لِي وَلا لَكَ، اطْرَحْهُ فِي الْقَبْضِ فَطَرَحْتُهُ وَبِي مَا لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ –تَعَالَى– مِنْ قَتْلِ أَخِي، وَأَخْذِ سَلَبِي، فَمَا جَاوَزْتُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى جَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَقَدْ أُنْزِلَتْ سُورَةُ الْأَنْفَالِ، فَقَالَ: "يَا سَعْدُ، إِنَّكَ سَأَلْتَنِي السَّيْفَ وَلَيْسَ لِي، وَإِنَّهُ قَدْ صَارَ لِي فَاذْهَبْ فَخُذْهُ".

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: نَزَلَتْ فِينَا يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ بَدْرٍ، حِينَ اخْتَلَفْنَا فِي النَّفْلِ، وَسَاءَتْ فِيهِ أَخْلاقُنَا، فَنَزَعَهُ اللَّهُ مِنْ أَيْدِينَا، فَجَعَلَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – فَقَسَمَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى السَّوَاءِ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ تَقْوَى اللَّهِ، وَطَاعَةُ رَسُولِهِ، وَإِصْلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ.

وَقَرَأَ ابْنُ مُحَيْصِنٍ: "يَسْأَلُونَكَ عَلَنْفَالِ"، بِحَذْفِ الْهَمْزَةِ، وَإِلْقَاءِ حَرَكَتِهَا عَلَى اللَّامِ، وَإِدْغَامِ نُونِ عَنْ فِي اللَّامِ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "يَسْأَلُونَكَ الْأَنْفَالَ"، أَيْ: يَسْأَلُكَ الشُّبَّانُ مَا شَرَطْتَ لَهُمْ مِنَ الْأَنْفَالِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى الْجَمْعِ بَيْنَ ذِكْرِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[1]؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ أَنَّ حُكْمَهَا مُخْتَصٌّ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، يَأْمُرُ اللَّهُ بِقِسْمَتِهَا، عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، وَيَمْتَثِلُ الرَّسُولُ أَمْرَ اللَّهِ فِيهَا، وَلَيْسَ الْأَمْرُ فِي قِسْمَتِهَا مُفَوَّضًا إِلَى رَأْيِ أَحَدٍ، وَالْمُرَادُ: إِنَّ الَّذِينَ اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ اللَّهِ، وَأَمَرَ بِهِ رَسُولُهُ: أَنْ يُوَاسِيَ الْمُقَاتِلَةَ الْمَشْرُوطَ لَهُمُ التَّنْفِيلُ الشُّيُوخُ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَ الرَّايَاتِ، فَيُقَاسِمُوهُمْ عَلَى السَّوِيَّةِ، وَلا يَسْتَأْثِرُوا بِمَا شُرِطَ لَهُمْ، فَإِنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا، لَمْ يُؤْمَنْ أَنْ يَقْدَحَ ذَلِكَ فِيمَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّحَابِّ وَالتَّصَافِي.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[2]: فِي الاخْتِلافِ وَالتَّخَاصُمِ، وَكُونُوا مُتَحَدِّينَ مُتَآخِينَ فِي اللَّهِ.

﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[3]: وَتَآسَوْ ا، وَتُسَاعِدُوا فِيمَا رَزَقَكُمُ اللَّهِ وَتَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْكُمْ.

وَعَنْ عَطَاءٍ: كَانَ الْإِصْلاحِ بَيْنَهُمْ أَنْ دَعَاهُمْ وَقَالَ: اقْسِمُوا غَنَائِمَكُمْ بِالْعَدْلِ، فَقَالُوا: قَدْ أَكَلْنَا وَأَنْفَقْنَا، فَقَالَ: لِيَرُدَّ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا حَقِيقَةُ قَوْلِهِ: "ذَاتَ بَيْنِكُمْ "؟

قُلْتُ: أَحْوَالٌ بَيْنَكُمْ، يَعْنِي: مَا بَيْنَكُمْ مِنَ الْأَحْوَالِ، حَتَّى تَكُونَ أَحْوَالُ أُلْفَةٍ وَمَحَبَّةٍ وَاتِّفَاقٍ، كَقَوْلِهِ: "بِذَاتِ الصُّدُورِ"، وَهِيَ مُضْمَرَاتُهَا، لِمَا كَانَتِ الْأَحْوَالُ مُلابِسَةً لِلْبَيْنِ قِيلَ لَهَا: ذَاتُ الْبَيْنِ، كَقَوْلِهِمُ: اسْقِنِي ذَا إِنَائِكَ، يُرِيدُونَ مَا فِي الْإِنَاءِ مِنَ الشَّرَابِ، وَقَدْ جَعَلَ التَّقْوَى، وَإِصْلاحَ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ وَمُوجِبَاتِهِ، لِيُعَلِّمَهُمْ أَنَّ كَمَالَ الْإِيمَانِ مَوْقُوفٌ عَلَى التَّوَفُّرِ عَلَيْهَا.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[4]: إِنْ كُنْتُمْ كَامِلِي الْإِيمَانِ.

وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾[5]: إِشَارَةٌ إِلَيْهِمْ، أَيْ: إِنَّمَا الْكَامِلُو الْإِيمَانِ مِنْ صِفَتِهِمْ كَيْتَ وَكَيْتَ.

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[1].

﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[2]: فَزِعَتْ.

وَعَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ: الْوَجَلُ فِي الْقَلْبِ كَاحْتِرَاقِ السَّعَفَةِ، أَمَا تَجِدُ لَهُ قُشَعْرِيرَةً؟ قَالَ: بَلَى، قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ يُذْهِبُهُ، يَعْنِي: فَزِعَتْ لِذِكْرِهِ، اسْتِعْظَامًا لَهُ، وَتَهَيُّبًا مِنْ جَلالِهِ، وَعِزَّةَ سُلْطَانِهِ، وَبَطْشَهُ بِالْعُصَاةِ، وَعِقَابَهُ.

وَهَذَا الذِّكْرُ خِلافُ الذِّكْرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[3]، لِأَنَّ ذَلِكَ ذِكْرُ رَحْمَتِهِ وَرَأْفَتِهِ وَثَوَابِهِ.

وَقِيلَ: هُوَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يَظْلِمَ أَوْ يَهُمَّ بِمَعْصِيَةٍ، فَيُقَالُ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ، فَيَنْزِعُ.

وَقُرِئَ: "وَجَلَتْ"، بِالْفَتْحِ، وَهِيَ لُغَةٌ نَحْوَ: "وَبَقَ"، فِي "وَبِقٍ".

وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: "فَرَّقْتَ".

﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[4]، ازْدَادُوا بِهَا يَقِينًا وَطُمَأْنِينَةً فِي نَفْسٍ، لِأَنَّ تَظَاهُرَ الْأَدِلَّةِ، أَقْوَى لِلْمَدْلُولِ عَلَيْهِ، وَأَثْبَتُ لِقَدَمِهِ، وَقَدْ حَمَلَ عَلَى زِيَادَةِ الْعَمَلِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "الْإِيمَانُ سَبْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا: شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ".

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "إِنْ لِلْإِيمَانِ سُنَنًا، وَفَرَائِضَ، وَشَرَائِعَ، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا، اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ".

﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[5]: وَلا يُفَوِّضُونَ أُمُورَهُمْ إِلَى غَيْرِ رَبِّهِمْ، لا يَخْشَوْنَ وَلا يَرْجُونَ إِلَّا إِيَّاهُ، جَمَعَ بَيْنَ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ مِنَ الْخَشْيَةِ، وَالْإِخْلاصِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَبَيْنَ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ مِنَ الصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ.

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿حَقًّا﴾[1]: صِفَةٌ لِلْمَصْدَرِ الْمَحْذُوفِ، أَيْ: أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ إِيمَانًا حَقًّا، أَوْ هُوَ مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِلْجُمْلَةِ الَّتِي هِيَ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾[2]، كَقَوْلِكَ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ حَقًّا، أَيْ: حَقَّ ذَلِكَ حَقًّا.

وَعَنِ الْحَسَنِ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ إِيمَانَانِ، فَإِنْ كُنْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَالْبَعْثِ، وَالْحِسَابِ، فَأَنَا مُؤْمِنٌ، وَإِنْ كُنْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾[3]، فَوَاللَّهِ، لا أَدْرِي أَمِنْهُمْ أَنَا أَمْ لا.

وَعَنِ الثَّوْرِيِّ: مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ حَقًّا، ثُمَّ لَمْ يَشْهَدْ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَقَدْ آمَنَ بِنِصْفِ الْآيَةِ، وَهَذَا إِلْزَامٌ مِنْهُ، يَعْنِي: كَمَا لا يَقْطَعُ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا، فَلا يَقْطَعُ بِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ حَقًّا، وَبِهَذَا تَعَلَّقَ مَنْ يُسْتَثْنَى فِي الْإِيمَانِ، وَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– مِمَّنْ لا يُسْتَثْنَى فِيهِ.

وَحُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِقَتَادَةَ: لِمَ تُسْتَثْنَى فِي إِيمَانِكَ؟ قَالَ: اتِّبَاعًا لِإِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ السَّلامُ – فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[4]، فَقَالَ لَهُ: هَلَّا اقْتَدَيْتَ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى﴾[5]؟

﴿دَرَجَاتٌ﴾[6]: شَرَفٌ، وَكَرَامَةٌ، وَعُلُوُّ مَنْزِلَةٍ.

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾[7]: وَتَجَاوُزٌ لِسَيِّئَاتِهِمْ.

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[8]: نَعِيمُ الْجَنَّةِ، يَعْنِي: لَهُمْ مَنَافِعُ حَسَنَةٌ، دَائِمَةٌ عَلَى سَبِيلِ التَّعْظِيمِ، وَهَذَا مَعْنَى الثَّوَابِ.

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

5 سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الآية 260.

6 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

8 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾[1]

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾[2]: فِيهِ وَجْهَانِ:

– أَحَدُهُمَا، أَنْ يَرْتَفِعَ مَحَلُّ الْكَافِ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ هَذِهِ الْحَالُ كَحَالِ إِخْرَاجِكَ، يَعْنِي: أَنَّ حَالَهُمْ فِي كَرَاهَةِ مَا رَأَيْتَ مِنْ تَنَفُّلِ الْغُزَاةِ مِثْلُ حَالِهِمْ فِي كَرَاهَةِ خُرُوجِكَ لِلْحَرْبِ .

– وَالثَّانِي: أَنْ يَنْتَصِبَ عَلَى أَنَّهُ صِفَةُ مَصْدَرِ الْفِعْلِ الْمُقَدَّرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[3]، أَيِ: الْأَنْفَالُ اسْتَقَرَّتْ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ، وَثَبَتَتْ مَعَ كَرَاهَتِهِمْ ثَبَاتًا مِثْلَ ثَبَاتِ إِخْرَاجِ رَبِّكَ إِيَّاكَ مِنْ بَيْتِكَ وَهُمْ كَارِهُونَ.

وَ﴿مِنْ بَيْتِكَ﴾[4]: يُرِيدُ بَيْتَهُ بِالْمَدِينَةِ، أَوِ الْمَدِينَةَ نَفْسَهَا، لِأَنَّهَا مُهَاجِرُهُ وَمَسْكَنُهُ، فَهِيَ فِي اخْتِصَاصِهَا بِهِ كَاخْتِصَاصِ الْبَيْتِ بِسَاكِنِهِ، "بِالْحَقِّ"، أَيْ: إِخْرَاجًا مُلْتَبِسًا بِالْحِكْمَةِ وَالصَّوَابِ الَّذِي لا مَحِيدَ عَنْهُ.

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾[5]: فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ: أَخْرَجَكَ فِي حَالِ كَرَاهَتِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ عِيرَ قُرَيْشٍ أَقْبَلَتْ مِنَ الشَّامِ فِيهَا تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ، مَعَهَا أَرْبَعُونَ رَاكِبًا، مِنْهُمْ: أَبُو سُفْيَانَ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَعَمْرُو بْنُ هِشَامٍ، فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَأَخْبَرَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَعْجَبَهُمْ تَلَقِّي الْعِيرِ، لِكَثْرَةِ الْخَيْرِ، وَقِلَّةِ الْقَوْمِ.

فَلَمَّا خَرَجُوا، بَلَغَ أَهْلَ مَكَّةَ خَبَرُ خُرُوجِهِمْ، فَنَادَى أَبُو جَهْلٍ فَوْقَ الْكَعْبَةِ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ، النَّجَاةَ، النَّجَاةَ عَلَى كُلِّ صَعْبٍ وَذَلُولٍ، عِيرُكُمْ أَمْوَالَكُمْ، إِنْ أَصَابَهَا مُحَمَّدٌ، لَنْ تُفْلِحُوا بَعْدَهَا أَبَدًا، وَقَدْ رَأَتْ أُخْتُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رُؤْيَا، فَقَالَتْ لِأَخِيهَا: إِنِّي رَأَيْتُ عَجَبًا، رَأَيْتُ كَأَنَّ مَلَكًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، فَأَخَذَ صَخْرَةً مِنَ الْجَبَلِ، ثُمَّ حَلَّقَ بِهَا، فَلَمْ يَبْقَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِ مَكَّةَ إِلَّا أَصَابَهُ حَجَرٌ مِنْ تِلْكَ الصَّخْرَةِ.

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

فَحَدَّثَ بِهَا الْعَبَّاسُ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: مَا يَرْضَى رِجَالُهُمْ أَنْ يَتَنَبَّئُوا حَتَّى تَتَنَبَّأَ نِسَاؤُهُمْ، فَخَرَجَ أَبُو جَهْلٍ بِجَمِيعِ أَهْلِ مَكَّةَ وَهُمُ النَّفِيرُ، فِي الْمَثَلِ السَّائِرِ: لا فِي الْعِيرِ، وَلا فِي النَّفِيرِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ الْعِيرَ أَخَذَتْ طَرِيقَ السَّاحِلِ وَنَجَتْ، فَارْجِعْ بِالنَّاسِ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: لا وَاللَّهِ، لا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا حَتَّى نَنْحَرَ الْجَزُورَ، وَنَشْرَبَ الْخُمُورَ، وَنُقِيمَ الْقَيْنَاتِ، وَالْمَعَازِفَ بِبَدْرٍ، فَيَتَسَامَعُ جَمِيعُ الْعَرَبِ بِمَخْرَجِنَا، وَأَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يُصِبِ الْعِيرَ، وَإِنَّا قَدْ أَعْضَضْنَاهُ، فَمَضَى بِهِمْ إِلَى بَدْرٍ –وَبَدْرٌ مَاءٌ كَانَتِ الْعَرَبُ تَجْتَمِعُ فِيهِ لِسُوقِهِمْ يَوْمًا فِي السَّنَةِ–.

فَنَزَلَ جِبْرِيلُ –عَلَيْهِ السَّلامُ– فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا الْعِيرَ، وَإِمَّا قُرَيْشًا، فَاسْتَشَارَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَصْحَابَهُ، وَقَالَ: مَا تَقُولُونَ، إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ عَلَى كُلِّ صَعْبٍ وَذَلُولٍ، فَالْعِيرُ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمِ النَّفِيرُ؟ قَالُوا: بَلِ الْعِيرُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ثُمَّ رَدَّدَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: "إِنَّ الْعِيرَ قَدْ مَضَتْ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، وَهَذَا أَبُو جَهْلٍ قَدْ أَقْبَلَ"، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَيْكَ بِالْعِيرِ، وَدَعِ الْعَدُوَّ، فَقَامَ عِنْدَ غَضَبِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– فَأَحْسَنَا.

ثُمَّ قَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: انْظُرْ أَمْرَكَ فَامْضِ، فَوَاللَّهِ، لَوْ سِرْتَ إِلَى عَدَنِ أَبْيَنَ، مَا تَخَلَّفَ عَنْكَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ قَالَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو: يَا رَسُولَ اللَّهِ، امْضِ لِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ، فَإِنَّا مَعَكَ حَيْثُمَا أَحْبَبْتَ، لا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ﴾[1]، وَلَكِنِ: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ، مَا دَامَتْ عَيْنٌ مِنَّا تَطْرِفُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ثُمَّ قَالَ: "أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ" وَهُوَ يُرِيدُ الْأَنْصَارَ، لِأَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ حِينَ بَايَعُوهُ عَلَى الْعَقَبَةِ: إِنَّا بُرَآءُ مِنْ ذِمَامِكَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى دِيَارِنَا، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْنَا، فَأَنْتَ فِي ذِمَامِنَا، نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ آبَاءَنَا وَنِسَاءَنَا.

فَكَانَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَتَخَوَّفُ أَنْ لا تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى عَلَيْهِمْ نُصْرَتَهُ إِلَّا عَلَى عَدُوٍّ دَهَمَهُ بِالْمَدِينَةِ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "أَجَلْ"، قَالَ: قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ

---

[1] سُورَةُ الْمَائِدَةِ، الآية 24.

عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ، لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا إِنَّا لَصُبُرٌ عِنْدَ الْحَرْبِ، صُدُقٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرَّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، فَفَرِحَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَبَسَطَهُ قَوْلُ سَعْدٍ، ثُمَّ قَالَ: "سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللَّهِ، لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مُصَارِعِ الْقَوْمِ".

وَرُوِيَ أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ فَرَغَ مِنْ بَدْرٍ: عَلَيْكَ بِالْعِيرِ، لَيْسَ دُونَهَا شَيْءٌ، فَنَادَاهُ الْعَبَّاسُ، وَهُوَ فِي وِثَاقِهِ: لا يَصْلُحُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لِمَ"؟ قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ وَعَدَكَ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَقَدْ أَعْطَاكَ مَا وَعَدَكَ، وَكَانَتِ الْكَرَاهَةُ مِنْ بَعْضِهِمْ لِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾[1].

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[2]

وَالْحَقُّ الَّذِي جَادَلُوا فِيهِ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: تَلَقِّي النَّفِيرِ، لِإِيثَارِهِمْ عَلَيْهِ تَلَقِّي الْعِيرِ.

﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾[3]: بَعْدَ إِعْلَامِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَنَّهُمْ يُنْصَرُونَ، وَجِدَالِهِمْ: قَوْلُهُمْ مَا كَانَ خُرُوجُنَا إِلَّا لِلْعِيرِ، وَهَلَّا قُلْتَ لَنَا لِنَسْتَعِدَّ وَنَتَأَهَّبَ؟ وَذَلِكَ لِكَرَاهَتِهِمُ الْقِتَالَ، ثُمَّ شَبَّهَ حَالَهُمْ فِي فَرْطِ فَزَعِهِمْ وَرُعْبِهِمْ، وَهُمْ يُسَارُ بِهِمْ إِلَى الظَّفَرِ وَالْغَنِيمَةِ، بِحَالِ مَنْ يَعْتَلُّ إِلَى الْقَتْلِ، وَيُسَاقُ عَلَى الصَّغَارِ إِلَى الْمَوْتِ الْمُتَيَقَّنِ، وَهُوَ مُشَاهِدٌ لِأَسْبَابِهِ، نَاظِرٌ إِلَيْهَا لا يُشَكُّ فِيهَا.

وَقِيلَ: كَانَ خَوْفُهُمْ لِقِلَّةِ الْعَدَدِ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا رَجَّالَةً، وَرُوِيَ أَنَّهُ مَا كَانَ فِيهِمْ إِلَّا فَارِسَانِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾[1]

﴿وَإِذْ﴾[2] مَنْصُوبٌ بِإِضْمَارِ اذْكُرْ.

وَ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾[3]: بَدَلٌ مِنْ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَالطَّائِفَتَانِ: الْعِيرُ وَالنَّفِيرُ.

﴿غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾[4]: الْعِيرَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا إِلَّا أَرْبَعُونَ فَارِسًا، وَالشَّوْكَةُ كَانَتْ فِي النَّفِيرِ لِعَدَدِهِمْ وَعُدَّتِهِمْ، وَالشَّوْكَةُ: الْحِدَّةُ، مُسْتَعَارَةٌ مِنْ وَاحِدَةِ الشَّوْكِ، وَيُقَالُ: شَوْكُ الْقَنَا لِشَبَاهَا، وَمِنْهَا قَوْلُهُمْ: شَائِكُ السِّلاحِ، أَيْ: تَتَمَنَّوْنَ أَنْ تَكُونَ لَكُمُ الْعِيرُ، لِأَنَّهَا الطَّائِفَةُ الَّتِي لا حِدَّةَ لَهَا وَلا شِدَّةَ، وَلا تُرِيدُونَ الطَّائِفَةَ الْأُخْرَى.

﴿أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ﴾[5]: أَنْ يُثْبِتَهُ وَيُعْلِيَهُ "بِكَلِمَاتِهِ" بِآيَاتِهِ الْمُنَزَّلَةِ فِي مُحَارَبَةِ ذَاتِ الشَّوْكَةِ، وَبِمَا أَمَرَ الْمَلائِكَةَ مِنْ نُزُولِهِمْ لِلنُّصْرَةِ، وَبِمَا قَضَى مِنْ أَسْرِهِمْ وَقَتْلِهِمْ وَطَرْحِهِمْ فِي قَلِيبِ بَدْرٍ، وَالدَّابِرُ الْآخَرُ: فَاعِلٌ مِنْ دَبَرَ، إِذَا أَدْبَرَ، وَمِنْهُ: دَابِرَةُ الطَّائِرِ، وَقَطْعُ الدَّابِرِ: عِبَارَةٌ عَنِ الاسْتِئْصَالِ، يَعْنِي: أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ الْفَائِدَةَ الْعَاجِلَةَ وَسَفْسَافَ الْأُمُورِ، وَأَلَّا تَلْقَوْا مَا يَرْزَؤُكُمْ فِي أَبْدَانِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ، وَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– يُرِيدُ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَمَا يَرْجِعُ إِلَى عِمَارَةِ الدِّينِ، وَنُصْرَةِ الْحَقِّ، وَعُلُوِّ الْكَلِمَةِ، وَالْفَوْزِ فِي الدَّارَيْنِ، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْمُرَادَيْنِ، وَلِذَلِكَ اخْتَارَ لَكُمُ الطَّائِفَةَ ذَاتَ الشَّوْكَةِ، وَكَسَرَ قُوَّتَهُمْ بِضَعْفِكُمْ، وَغَلَبَ كَثْرَتَهُمْ بِقِلَّتِكُمْ، وَأَعَزَّكُمْ وَأَذَلَّهُمْ، وَحَصَلَ لَكُمْ مَا لا تَعَارُضَ أَدْنَاهُ الْعِيرُ وَمَا فِيهَا، وَقُرِئَ: "بِكَلِمَتِهِ"، عَلَى التَّوْحِيدِ.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ
وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[6]

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ يَتَعَلَّقُ قَوْلُهُ: "لِيُحِقَّ الْحَقَّ"؟

قُلْتُ: بِمَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: لِيُحِقَّ الْحَقَّ، وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ فَعَلَ ذَلِكَ، مَا فَعَلَهُ إِلَّا لَهُمَا، وَهُوَ إِثْبَاتُ الْإِسْلامِ وَإِظْهَارُهُ، وَإِبْطَالُ الْكُفْرِ وَمَحْقُهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَلَيْسَ هَذَا تَكْرِيرًا؟

قُلْتُ: لا، لِأَنَّ الْمَعْنَيَيْنِ مُتَبَايِنَانِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَوَّلَ تَمْيِيزٌ بَيْنَ الْإِرَادَتَيْنِ، وَهَذَا بَيَانٌ لِغَرَضِهِ فِيمَا فَعَلَ مِنِ اخْتِيَارِ ذَاتِ الشَّوْكَةِ عَلَى غَيْرِهَا لَهُمْ، وَنُصْرَتِهِمْ عَلَيْهَا، وَأَنَّهُ مَا نَصَرَهُمْ وَلا خَذَلَ أُولَئِكَ إِلَّا لِهَذَا الْغَرَضِ الَّذِي هُوَ سَيِّدُ الْأَغْرَاضِ، وَيَجِبُ أَنْ يُقَدَّرَ الْمَحْذُوفُ مُتَأَخِّرًا، حَتَّى يُفِيدَ مَعْنَى الاخْتِصَاصِ فَيَنْطَبِقُ عَلَيْهِ الْمَعْنَى، وَقِيلَ: قَدْ تَعَلَّقَ بِيَقْطَعُ.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1]

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ يَتَعَلَّقُ: "إِذْ تَسْتَغِيثُونَ"؟

قُلْتُ: هُوَ بَدَلٌ مِنْ: "إِذْ يَعِدُكُمُ"، وَقِيلَ بِقَوْلِهِ: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾[2]، وَاسْتِغَاثَتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمَّا عَلِمُوا أَنَّهُ لا بُدَّ مِنَ الْقِتَالِ، طَفِقُوا يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَقُولُونَ: أَيْ: رَبَّنَا، انْصُرْنَا عَلَى عَدُوِّكَ، يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ، أَغِثْنَا.

وَعَنْ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– نَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَإِلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ ثَلاثُمِائَةٍ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَمَدَّ يَدَيْهِ يَدْعُو: "اللَّهُمَّ، أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ، لا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ"، فَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ، فَأَخَذَهُ أَبُو بَكْرٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبِهِ، وَالْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ﴾[3] : أَصْلُهُ: بِأَنِّي مُمِدُّكُمْ، فَحَذَفَ الْجَارَّ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِ اسْتَجَابَ فَنُصِبَ مَحَلُّهُ.

وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو أَنَّهُ قَرَأَ: "إِنِّي مُمِدُّكُمْ": بِالْكَسْرِ، عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ، أَوْ عَلَى إِجْرَاءِ اسْتَجَابَ مَجْرَى "قَالَ"، لِأَنَّ الاسْتِجَابَةَ مِنَ الْقَوْلِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية 8.

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ قَاتَلَتِ الْمَلائِكَةُ يَوْمَ بَدْرٍ؟

قُلْتُ: اخْتُلِفَ فِيهِ، فَقِيلَ: نَزَلَ جِبْرِيلُ فِي يَوْمِ بَدْرٍ فِي خَمْسِمِائَةِ مَلَكٍ عَلَى الْمَيْمَنَةِ، وَفِيهَا أَبُو بَكْرٍ وَمِيكَائِيلُ فِي خَمْسِمِائَةٍ عَلَى الْمَيْسَرَةِ، وَفِيهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بِيضٌ، وَعَمَائِمُ بِيضٌ، وَقَدْ أَرْخَوْا أَذْنَابَهَا بَيْنَ أَكْتَافِهِمْ، فَقَاتَلَتْ، وَقِيلَ: قَاتَلَتْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَلَمْ تُقَاتِلْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ.

وَعَنْ أَبِي جَهْلٍ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِ مَسْعُودٍ: مِنْ أَيْنَ كَانَ ذَلِكَ الصَّوْتُ الَّذِي كُنَّا نَسْمَعُ، وَلا نَرَى شَخْصًا؟ قَالَ: مِنَ الْمَلائِكَةِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: هُمْ غَلَبُونَا لا أَنْتُمْ.

وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَمَا هُوَ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِذْ سَمِعَ صَوْتَ ضَرْبَةٍ بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ قَدْ خَرَّ مُسْتَلْقِيًا وَشُقَّ وَجْهُهُ، فَحَدَّثَ الْأَنْصَارِيُّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: "صَدَقْتَ، ذَاكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ".

وَعَنْ أَبِي دَاوُدَ الْمَازِنِيِّ: تَبِعْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِأَضْرِبَهُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَوَقَعَ رَأْسُهُ بَيْنَ يَدَيَّ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي، وَقِيلَ: لَمْ يُقَاتِلُوا، وَإِنَّمَا كَانُوا يُكْثِرُونَ السَّوَادَ، وَيُثَبِّتُونَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِلَّا فَمَلَكٌ وَاحِدٌ كَافٍ فِي إِهْلاكِ أَهْلِ الدُّنْيَا كُلِّهِمْ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلامُ- أَهْلَكَ بِرِيشَةٍ مِنْ جَنَاحِهِ مَدَائِنَ قَوْمِ لُوطٍ، وَأَهْلَكَ بِلادَ ثَمُودَ قَوْمِ صَالِحٍ بِصَيْحَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَقُرِئَ "مُرْدِفِينَ": بِكَسْرِ الدَّالِ وَفَتْحِهَا، مِنْ قَوْلِكَ: رَدَفَهُ إِذَا تَبِعَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾[1]، بِمَعْنَى: رَدِفَكُمْ، وَأَرْدَفْتُهُ إِيَّاهُ: إِذَا أَتْبَعْتَهُ، وَيُقَالُ: أَرْدَفْتُهُ، كَقَوْلِكَ: أَتْبَعْتُهُ، إِذَا جِئْتَ بَعْدَهُ، فَلا يَخْلُو الْمَكْسُورُ الدَّالِ مِنْ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى مُتْبِعِينَ، أَوْ مُتَّبِعِينَ، فَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى: مُتْبِعِينَ.

فَلا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى: مُتْبِعِينَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا، أَوْ مُتْبِعِينَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ، أَوْ بِمَعْنَى: مُتْبِعِينَ إِيَّاهُمُ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْ: يَتَقَدَّمُونَهُمْ فَيُتْبِعُونَهُمْ أَنْفُسَهُمْ، أَوْ مُتَّبِعِينَ لَهُمْ يُشَيِّعُونَهُمْ، وَيُقَدِّمُونَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَهُمْ عَلَى سَاقَتِهِمْ، لِيَكُونُوا عَلَى أَعْيُنِهِمْ وَحِفْظِهِمْ، أَوْ بِمَعْنَى: مُتْبِعِينَ أَنْفُسَهُمْ مَلائِكَةً آخَرِينَ، أَوْ مُتْبِعِينَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْمَلائِكَةِ، وَيُعَضِّدُ هَذَا الْوَجْهَ قَوْلُهُ -تَعَالَى- فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾[2]، ﴿بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[3].

---

[1] سُورَةُ النَّمْلِ، الآية 72.

[2] سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، الآية 124.

[3] سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، الآية 125.

وَمَنْ قَرَأَ: "مُرْدَفِينَ": بِالْفَتْحِ، فَهُوَ بِمَعْنَى: مُتَّبِعِينَ أَوْ مُتَّبَعِينَ.

وَقُرِئَ: "مُرِدِّفِينَ"، بِكَسْرِ الرَّاءِ وَضَمِّهَا وَتَشْدِيدِ الدَّالِّ، وَأَصْلُهُ "مُرْتَدِفِينَ"، أَيْ: مُتَرَادِفِينَ أَوْ مُتَّبِعِينَ، مِن ارْتَدَفَهُ، فَأُدْغِمَتْ تَاءُ الافْتِعَالِ فِي الدَّالِ، فَالْتَقَى سَاكِنَانِ، فَحُرِّكَتِ الرَّاءُ بِالْكَسْرِ عَلَى الْأَصْلِ، أَوْ عَلَى إِتْبَاعِ الدَّالِ، وَبِالضَّمِّ عَلَى إِتْبَاعِ الْمِيمِ.

وَعَنِ السُّدِّيِّ: "بِآلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ"، عَلَى الْجَمْعِ لِيُوَافِقَ مَا فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَبِمَ يُعْتَذَرُ لِمَنْ قَرَأَ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَلَمْ يُفَسِّرِ الْمُرْدِفِينَ بِإِرْدَافِ الْمَلائِكَةِ مَلائِكَةً آخَرِينَ، وَالْمُرْدَفِينَ بِارْتِدَافِهِمْ غَيْرَهُمْ؟

قُلْتُ: بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَلْفِ مَنْ قَاتَلَ مِنْهُمْ، أَوِ الْوُجُوهُ مِنْهُمُ الَّذِينَ مَنْ سِوَاهُمْ أَتْبَاعٌ لَهُمْ.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾[1]

فَإِنْ قُلْتَ: إِلامَ يَرْجِعُ الضَّمِيرُ فِي ﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾[2]؟

قُلْتُ: إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ﴾[3]، لِأَنَّ الْمَعْنَى: فَاسْتَجَابَ لَكُمْ بِإِمْدَادِكُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَفِيمَنْ قَرَأَ بِالْكَسْرِ؟

قُلْتُ: إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ﴾[4]، لِأَنَّهُ مَفْعُولُ الْقَوْلِ الْمُضْمَرِ فَهُوَ فِي مَعْنَى الْقَوْلِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْإِمْدَادِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ مُمِدُّكُمْ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿إِلاَّ بُشْرَى﴾[1]: إِلَّا بِشَارَةً لَكُمْ بِالنَّصْرِ، كَالسَّكِينَةِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، يَعْنِي: أَنَّكُمُ اسْتَغَثْتُمْ، وَتَضَرَّعْتُمْ لِقِلَّتِكُمْ وَذِلَّتِكُمْ، فَكَانَ الْإِمْدَادُ بِالْمَلَائِكَةِ بِشَارَةً لَكُمْ بِالنَّصْرِ، وَتَسْكِينًا مِنْكُمْ، وَرَبْطًا عَلَى قُلُوبِكُمْ.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[2]، يُرِيدُ: وَلا تَحْسَبُوا النَّصْرَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّ النَّاصِرَ: هُوَ اللَّهُ، لَكُمْ وَلِلْمَلَائِكَةِ، أَوْ وَمَا النَّصْرُ بِالْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَسْبَابِ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَالْمَنْصُورُ مَنْ نَصَرَهُ اللَّهُ.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[3]

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾: بَدَلٌ ثَانٍ مِنْ "إِذْ يَعِدُكُمُ"، أَوْ مَنْصُوبٌ بِالنَّصْرِ، أَوْ بِمَا فِي ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[4]، مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ، أَوْ بِمَا جَعَلَهُ اللَّهُ، أَوْ بِإِضْمَارِ اذْكُرْ.

وَقُرِئَ: "يُغْشِيكُمْ" بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ، وَنَصْبِ "النُّعَاسِ"، وَالضَّمِيرُ لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– وَ"أَمَنَةً": مَفْعُولٌ لَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَمَا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ فَاعِلُ الْفِعْلِ الْمُعَلَّلِ وَالْعِلَّةُ وَاحِدًا؟

قُلْتُ: بَلَى، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مَعْنَى "يَغْشَاكُمُ النُّعَاسُ"، تَنْعَسُونَ، انْتَصَبَ أَمَنَةً عَلَى أَنَّ النُّعَاسَ وَالْأَمَنَةَ لَهُمْ.

وَالْمَعْنَى: إِذْ تَنْعَسُونَ أَمَنَةً بِمَعْنَى أَمْنًا، أَيْ: لِأَمْنِكُمْ.

وَ﴿مِنْهُ﴾[5]: صِفَةٌ لَهَا: أَيْ: أَمَنَةً حَاصِلَةً لَكُمْ مِنَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَعَلَى غَيْرِ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ؟

قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْأَمَنَةُ بِمَعْنَى: الْإِيمَانِ، أَيْ: يُنْعِسُكُمْ إِيمَانًا مِنْهُ، أَوْ عَلَى يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ فَتَنْعَسُونَ أَمْنًا.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ عَلَى أَنَّ الْأَمَنَةَ لِلنُّعَاسِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُ يَغْشَاكُمْ؟

أَيْ: يَغْشَاكُمُ النُّعَاسُ لِأَمْنِهِ عَلَى أَنَّ إِسْنَادَ الْأَمْنِ إِلَى النُّعَاسِ إِسْنَادٌ مَجَازِيٌّ، وَهُوَ لِأَصْحَابِ النُّعَاسِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ أَنَامَكُمْ فِي وَقْتٍ كَانَ مِنْ حَقِّ النُّعَاسِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ الْمَخُوفِ أَنْ لا يُقَدَّمُ عَلَى غَشَيَانِكُمْ، وَإِنَّمَا غَشِيَكُمْ أَمَنَةً حَاصِلَةً مِنَ اللَّهِ لَوْلاهَا لَمْ يَغْشَكُمْ عَلَى طَرِيقَةِ التَّمْثِيلِ وَالتَّخْيِيلِ؟

قُلْتُ: لا تَبْعُدُ فَصَاحَةُ الْقُرْآنِ عَنِ احْتِمَالِهِ، وَلَهُ فِيهِ نَظَائِرُ، وَقَدْ أَلَمَّ بِهِ مَنْ قَالَ:

يَهَابُ النَّوْمُ أَنْ يَغْشَى عُيُونًا تَهَابُكَ فَهْوَ نَفَّارٌ شَرُودُ

وَقُرِئَ "أَمْنَةً": بِسُكُونِ الْمِيمِ، وَنَظِيرُ: "أَمِنَ أَمَنَةً" "حَيِيَ حَيَاةً"، وَنَحْوُ: "أَمِنَ أَمْنَةً" "رَحِمَ رَحْمَةً"، وَالْمَعْنَى: أَنَّ مَا كَانَ بِهِمْ مِنَ الْخَوْفِ كَانَ يَمْنَعُهُمْ مِنَ النَّوْمِ، فَلَمَّا طَمْأَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَأَمِنَهُمْ رَقَدُوا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: النُّعَاسُ فِي الْقِتَالِ: أَمَنَةٌ مِنَ اللَّهِ، وَفِي الصَّلاةِ: وَسْوَسَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.

﴿وَيُنَزِّلُ﴾[1]: قُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّثْقِيلِ.

وَقَرَأَ الشَّعْبِيُّ: "مَا لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ": قَالَ ابْنُ جِنِّيٍّ: "مَا" مَوْصُولَةٌ وَصِلَتُهَا حَرْفُ الْجَرِّ بِمَا جَرَّهُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: مَا لِلطَّهُورِ.

وَ﴿رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾[2]: وَسْوَسَتُهُ إِلَيْهِمْ، وَتَخْوِيفُهُ إِيَّاهُمْ مِنَ الْعَطَشِ، وَقِيلَ: الْجَنَابَةِ، لِأَنَّهَا مِنْ تَخْيِيلِهِ، وَقُرِئَ: "رِجْسَ الشَّيْطَانِ"، وَذَلِكَ أَنَّ إِبْلِيسَ تَمَثَّلَ لَهُمْ، وَكَانَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ سَبَقُوهُمْ إِلَى الْمَاءِ، وَنَزَلَ الْمُسْلِمُونَ فِي كَثِيبٍ أَعْفَرَ تَسُوخُ فِيهِ الْأَقْدَامُ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، وَنَامُوا فَاحْتَلَمَ أَكْثَرُهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَنَّكُمْ تُصَلُّونَ عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ وَعَلَى الْجَنَابَةِ، وَقَدْ عَطِشْتُمْ، وَلَوْ كُنْتُمْ عَلَى حَقٍّ مَا غَلَبَكُمْ هَؤُلاءِ عَلَى الْمَاءِ وَمَا يَنْتَظِرُونَ بِكُمْ إِلَّا أَنْ يُجْهِدَكُمُ الْعَطَشُ، فَإِذَا قَطَعَ الْعَطَشُ أَعْنَاقَكُمْ مَشَوْا إِلَيْكُمْ فَقَتَلُوا مَنْ أَحَبُّوا، وَسَاقُوا بَقِيَّتَكُمْ إِلَى مَكَّةَ، فَحَزِنُوا حُزْنًا شَدِيدًا وَأَشْفَقُوا.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– الْمَطَرَ، فَمُطِرُوا لَيْلًا حَتَّى جَرَى الْوَادِي، وَاتَّخَذَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَأَصْحَابُهُ الْحِيَاضَ عَلَى عُدْوَةِ الْوَادِي، وَسَقَوُا الرِّكَابَ، وَاغْتَسَلُوا وَتَوَضَّؤُوا، وَتَلَبَّدَ الرَّمْلُ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَدُوِّ حَتَّى ثَبَتَتْ عَلَيْهِ الْأَقْدَامُ،

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

وَزَالَتْ وَسْوَسَةُ الشَّيْطَانِ، وَطَابَتِ النُّفُوسُ، وَالضَّمِيرُ فِي "بِهِ": لِلْمَاءِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلرَّبْطِ، لِأَنَّ الْقَلْبَ إِذَا تَمَكَّنَ فِيهِ الصَّبْرُ وَالْجَرَاءَةُ، ثَبَتَتِ الْقَدَمُ فِي مَوَاطِنِ الْقِتَالِ.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[1]

﴿إِذْ يُوحِي﴾[2]: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا ثَالِثًا مِنْ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾[3]، وَأَنْ يَنْتَصِبَ بِيُثَبِّتَ.

﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾: مَفْعُولُ يُوحِي.

وَقُرِئَ: "إِنِّي"، بِالْكَسْرِ عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ، أَوْ عَلَى إِجْرَاءِ يُوحِي مَجْرَى يَقُولُ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ﴾[4].

وَالْمَعْنَى: أَنِّي مُعِينُكُمْ عَلَى التَّثْبِيتِ فَثَبِّتُوهُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا﴾[5]: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَفْسِيرًا لِقَوْلِهِ: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا﴾[6]، وَلا مَعُونَةَ أَعْظَمُ مِنْ إِلْقَاءِ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِ الْكَفَرَةِ، وَلا تَثْبِيتَ أَبْلَغُ مِنْ ضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ، وَاجْتِمَاعُهُمَا غَايَةُ النُّصْرَةِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ تَفْسِيرٍ، وَأَنْ يُرَادَ بِالتَّثْبِيتِ أَنْ يَخْطُرَ بِبَالِهِمْ مَا تَقْوَى بِهِ قُلُوبُهُمْ، وَتَصِحُّ عَزَائِمُهُمْ، وَنِيَّاتُهُمْ فِي الْقِتَالِ، وَأَنْ يُظْهِرُوا مَا يَتَيَقَّنُونَ بِهِ أَنَّهُمْ مُمَدُّونَ بِالْمَلائِكَةِ.

وَقِيلَ: كَانَ الْمَلَكُ يَتَشَبَّهُ بِالرَّجُلِ الَّذِي يَعْرِفُونَ وَجْهَهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: إِنِّي سَمِعْتُ الْمُشْرِكِينَ يَقُولُونَ: وَاللَّهِ، لَئِنْ حَمَلُوا عَلَيْنَا لَنَنْكَشِفَنَّ، وَيَمْشِي بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكُمْ، لِأَنَّكُمْ تَعْبُدُونَهُ. وَهَؤُلاءِ لا يَعْبُدُونَهُ.

وَقُرِئَ: "الرُّعْبَ": بِالتَّثْقِيلِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾[1]: أَرَادَ أَعَالِيَ الْأَعْنَاقِ الَّتِي هِيَ الْمَذَابِحُ، لِأَنَّهَا مَفَاصِلُ، فَكَانَ إِيقَاعُ الضَّرْبِ فِيهَا حَزًّا وَتَطْيِيرًا لِلرُّؤْسِ، وَقِيلَ: أَرَادَ الرُّؤْسَ، لِأَنَّهَا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ، يَعْنِي: ضَرْبَ الْهَامِ.

قَالَ:

وَأَضْرِبُ هَامَةَ الْبَطَلِ الْمُشِيحِ

[وَقَالَ:]

غَشَّيْتُهُ وَهْوَ فِي جَأْوَاءَ بَاسِلَـــــــــةٍ عَضْبًا أَصَابَ سَوَاءَ الرَّأْسِ فَانْفَلَقَا

وَالْبَنَانُ: الْأَصَابِعُ، يُرِيدُ الْأَطْرَافَ، وَالْمَعْنَى: فَاضْرِبُوا الْمُقَاتِلَ وَالشَّوِيَّ، لِأَنَّ الضَّرْبَ إِمَّا وَاقِعٌ عَلَى مَقْتَلٍ أَوْ غَيْرِ مَقْتَلٍ، فَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَجْمَعُوا عَلَيْهِمُ النَّوْعَيْنِ مَعًا.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿سَأُلْقِي﴾[2]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾[3] عَقِيبَ قَوْلِهِ: ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[4] تَلَقَّيْنَا لِلْمَلَائِكَةِ مَا يُثَبِّتُونَهُمْ بِهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: قُولُوا لَهُمْ قَوْلِي: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾[5]، أَوْ كَأَنَّهُمْ قَالُوا: كَيْفَ نُثَبِّتُهُمْ؟ فَقِيلَ: قُولُوا لَهُمْ قَوْلِي: "سَأُلْقِي"، فَالضَّارِبُونَ عَلَى هَذَا هُمُ الْمُؤْمِنُونَ.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾[6]

﴿ذلِكُمْ﴾[7]: إِشَارَةٌ إِلَى مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الضَّرْبِ وَالْقَتْلِ وَالْعِقَابِ الْعَاجِلِ، وَمَحَلُّهُ الرَّفْعُ عَلَى الابْتِدَاءِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

وَ﴿بِأَنَّهُمْ﴾[1]: خَبَرُهُ، أَيْ: ذَلِكَ الْعِقَابُ وَقَعَ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ مَشَاقَّتِهِمْ، وَالْمَشَاقَّةُ: مُشْتَقَّةٌ مِنَ الشَّقِّ، لِأَنَّ كِلا الْمُتَعَادِيَيْنِ فِي شَقٍّ خِلافَ شَقِّ صَاحِبِهِ، وَسُئِلْتُ فِي الْمَنَامِ عَنِ اشْتِقَاقِ الْمُعَادَاةِ، فَقُلْتُ: لِأَنَّ هَذَا فِي عُدْوَةٍ وَذَاكَ فِي عُدْوَةٍ، كَمَا قِيلَ: الْمُخَاصَمَةُ وَالْمَشَاقَّةُ، لِأَنَّ هَذَا فِي خَصْمٍ، أَيْ: فِي جَانِبٍ، وَذَاكَ فِي خَصْمٍ، وَهَذَا فِي شِقٍّ، وَذَاكَ فِي شِقٍّ.

وَالْكَافُ فِي ﴿ذَلِكَ﴾[2]، لِخِطَابِ الرَّسُولِ –عَلَيْهِ السَّلامُ– أَوْ خِطَابِ كُلِّ وَاحِدٍ.

وَفِي ﴿ذَلِكُمْ﴾[3] لِلْكَفَرَةِ، عَلَى طَرِيقَةِ الالْتِفَاتِ.

وَمَحَلُّ ﴿ذَلِكُمْ﴾[4]: الرَّفْعُ عَلَى ذَلِكُمُ الْعِقَابِ، أَوِ الْعِقَابُ ذَلِكُمْ.

﴿فَذُوقُوهُ﴾[5]: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَصْبًا عَلَى: عَلَيْكُمْ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ، كَقَوْلِكَ: زَيْدًا فَاضْرِبْهُ.

﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾[6]: عَطْفٌ عَلَى ذَلِكُمْ فِي وَجْهَيْهِ، أَوْ نُصِبَ عَلَى أَنَّ الْوَاوَ بِمَعْنَى: مَعَ، وَالْمَعْنَى: ذُوقُوا هَذَا الْعَذَابَ الْعَاجِلَ مَعَ الْآجِلِ الَّذِي لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَوُضِعَ الظَّاهِرُ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "وَإِنَّ لِلْكَافِرِينَ" بِالْكَسْرِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[7]

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿زَحْفًا﴾[1]: حَالٌ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَالزَّحْفُ: الْجَيْشُ الدُّهْمُ، الَّذِي يُرَى لِكَثْرَتِهِ كَأَنَّهُ يَزْحَفُ، أَيْ: يَدِبُّ دَبِيبًا، مِنْ زَحْفِ الصَّبِيِّ إِذَا دَبَّ عَلَى إِسْتِهِ قَلِيلًا قَلِيلًا، سُمِّيَ بِالْمَصْدَرِ وَالْجَمْعُ زَحُوفٌ، وَالْمَعْنَى: إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ لِلْقِتَالِ، وَهُمْ كَثِيرٌ جَمٌّ وَأَنْتُمْ قَلِيلٌ فَلا تَفِرُّوا، فَضْلًا أَنْ تُدَانُوهُمْ فِي الْعَدَدِ أَوْ تُسَاوُوهُمْ، أَوْ حَالٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، أَيْ: إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ مُتَزَاحِفِينَ هُمْ وَأَنْتُمْ، أَوْ حَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَأَنَّهُمْ أُشْعِرُوا بِمَا كَانَ سَيَكُونُ مِنْهُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ، حِينَ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، وَهُمْ زَحْفٌ مِنَ الزُّحُوفِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَتَقَدَّمَهُ نَهْيٌ لَهُمْ عَنِ الْفِرَارِ يَوْمَئِذٍ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾[2]: أَمَارَةٌ عَلَيْهِ.

﴿إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾[3]: هُوَ الْكَرُّ بَعْدَ الْفَرِّ، يُخَيَّلُ عَدُوُّهُ أَنَّهُ مُنْهَزِمٌ ثُمَّ يَعْطِفُ عَلَيْهِ، وَهُوَ بَابٌ مِنْ خُدَعِ الْحَرْبِ وَمَكَايِدِهَا.

﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾[4]: أَوْ مُنْحَازًا.

﴿إِلَى فِئَةٍ﴾[5]: إِلَى جَمَاعَةٍ أُخْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ سِوَى الْفِئَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: خَرَجَتْ سَرِيَّةٌ وَأَنَا فِيهِمْ فَفَرُّوا، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ اسْتَحْيَوْا فَدَخَلُوا الْبُيُوتَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ الْفَرَّارُونَ، فَقَالَ: "بَلْ أَنْتُمُ الْعَكَّارُونَ وَأَنَا فِئَتُكُمْ".

وَانْهَزَمَ رَجُلٌ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ، فَأَتَى الْمَدِينَةَ إِلَى عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلَكْتُ، فَرَرْتُ مِنَ الزَّحْفِ، فَقَالَ عُمَرُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: أَنَا فِئَتُكَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: إِنَّ الْفِرَارَ مِنَ الزَّحْفِ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ:

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ انْتَصَبَ "إِلَّا مُتَحَرِّفًا"؟

قُلْتُ: عَلَى الْحَالِ، وَإِلَّا لَغْوٌ، أَوْ عَلَى الاسْتِثْنَاءِ مِنَ الْمُوَلِّينَ، أَيْ: وَمَنْ يُوَلِّهِمْ إِلَّا رَجُلًا مِنْهُمْ مُتَحَرِّفًا أَوْ مُتَحَيِّزًا.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "دُبْرَهُ": بِالسُّكُونِ، وَوَزْنُ مُتَحَيِّزٍ مُتَفَيْعِلٍ لا مُتَفَعِّلَ، لِأَنَّهُ مَنْ حَازَ يَحُوزُ، فَبِنَاءُ مُتَفَعِّلٍ مِنْهُ مُتَحَوِّزٌ.

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]

لِمَا كَسَرُوا أَهْلَ مَكَّةَ، وَقَتَلُوا، وَأَسَرُوا، أَقْبَلُوا عَلَى التَّفَاخُرِ، فَكَانَ الْقَائِلُ يَقُولُ: قَتَلْتُ وَأَسَرْتُ.

وَلَمَّا طَلَعَتْ قُرَيْشٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ جَاءَتْ بِخُيَلائِهَا وَفَخْرِهَا يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَا وَعَدْتَنِي"، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ –عَلَيْهِ السَّلامُ – فَقَالَ: خُذْ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ فَارْمِهِمْ بِهَا، فَقَالَ: –لِمَا الْتَقَى الْجَمْعَانِ– لِعَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "أَعْطِنِي قَبْضَةً مِنْ حَصْبَاءِ الْوَادِي، فَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِهِمْ وَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ"، فَلَمْ يَبْقَ مُشْرِكٌ إِلَّا شُغِلَ بِعَيْنَيْهِ، فَانْهَزَمُوا وَرَدِفَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْسِرُونَهُمْ، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾، وَالْفَاءُ: جَوَابُ شَرْطٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: إِنِ افْتَخَرْتُمْ بِقَتْلِهِمْ، فَأَنْتُمْ لَمْ تَقْتُلُوهُمْ، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾[2]، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْمَلائِكَةَ وَأَلْقَى الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَشَاءَ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ، وَقَوَّى قُلُوبَكُمْ، وَأَذْهَبَ عَنْهَا الْفَزَعَ وَالْجَزَعَ.

﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾[3]: أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ.

﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[4]، يَعْنِي: أَنَّ الرَّمْيَةَ الَّتِي رَمَيْتَهَا لَمْ تَرْمِهَا أَنْتَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، لِأَنَّكَ لَوْ رَمَيْتَهَا لَمَا بَلَغَ أَثَرُهَا إِلَّا مَا يَبْلُغُهُ أَثَرُ رَمْيِ الْبَشَرِ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ رَمْيَةَ اللَّهِ، حَيْثُ أَثَّرَتْ ذَلِكَ الْأَثَرَ الْعَظِيمَ، فَأَثْبَتَ الرَّمْيَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، لِأَنَّ صُورَتَهَا وُجِدَتْ مِنْهُ، وَنَفَاهَا عَنْهُ، لِأَنَّ أَثَرَهَا الَّذِي لا تُطِيقُهُ الْبَشَرُ فِعْلُ اللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ–؛ فَكَأَنَّ اللَّهَ هُوَ فَاعِلُ الرَّمْيَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَكَأَنَّهَا لَمْ تُوجَدْ مِنَ الرَّسُولِ –عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ– أَصْلًا.

وَقُرِئَ: "وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى"، بِتَخْفِيفِ "لَكِنْ"، وَرَفْعِ مَا بَعْدَهُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]: وَلِيُعْطِيَهُمْ.

﴿بَلاءً حَسَنًا﴾[2]: عَطَاءً جَمِيلًا.

قَالَ زُهَيْرٌ:

فَأَبْلاهُمَا خَيْرَ الْبَلاءِ الَّذِي يَبْلُو

وَالْمَعْنَى: وَلِلْإِحْسَانِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ فَعَلَ مَا فَعَلَ، وَمَا فَعَلَهُ إِلَّا لِذَلِكَ.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾[3]: لِدُعَائِهِمْ "عَلِيمٌ": بِأَحْوَالِهِمْ.

﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾[4]

ذلِكُمْ: إِشَارَةٌ إِلَى الْبَلاءِ الْحَسَنِ، وَمَحَلُّهُ الرَّفْعُ، أَيِ: الْغَرَضُ ذَلِكُمْ.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ﴾[5]: مَعْطُوفٌ عَلَى ذَلِكُمْ، يَعْنِي: أَنَّ الْغَرَضَ إِبْلاءُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَوْهِينُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ.

وَقُرِئَ: "مُوَهِّنُ"، بِالتَّشْدِيدِ، وَقُرِئَ عَلَى الْإِضَافَةِ، وَعَلَى الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ التَّنْوِينُ وَالْإِعْمَالُ.

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[6]

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾[1]: خِطَابٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ حِينَ أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا تَعَلَّقُوا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، وَقَالُوا: اللَّهُمَّ، انْصُرْ أَقْرَانَا لِلضَّيْفِ، وَأَوْصَلَنَا لِلرَّحِمِ، وَأَفَكَّنَا لِلْعَانِي، إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ عَلَى حَقٍّ فَانْصُرْهُ، وَإِنْ كُنَّا عَلَى حَقٍّ فَانْصُرْنَا.

وَرُوِيَ: أَنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ انْصُرْ أَعْلَى الْجُنْدَيْنِ، وَأَهْدَى الْفِئَتَيْنِ، وَأَكْرَمَ الْحِزْبَيْنِ.

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: اللَّهُمَّ أَيُّنَا كَانَ أَهْجَرَ وَأَقْطَعَ لِلرَّحِمِ فَأَحِنْهُ الْيَوْمَ، أَيْ: فَأَهْلِكْهُ.

وَقِيلَ: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾[2]: خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾[3]: خِطَابٌ لِلْكَافِرِينَ، يَعْنِي: وَإِنْ تَنْتَهُوا عَنْ عَدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[4]: وَأَسْلَمُ.

﴿وَإِنْ تَعُودُوا﴾[5]: لِمُحَارَبَتِهِ، "نَعُدْ": لِنُصْرَتِهِ عَلَيْكُمْ.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾[6]: قُرِئَ بِالْفَتْحِ عَلَى: وَلِأَنَّ اللَّهَ مُعِينٌ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ ذَلِكَ.

وَقُرِئَ بِالْكَسْرِ، وَهَذِهِ أَوْجَهُ، وَيُعَضِّدُهَا قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: "وَاللَّهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ".

وَقُرِئَ: "وَلَنْ يُغْنِيَ عَنْكُمْ"، بِالْيَاءِ لِلْفَصْلِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[7]

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿وَلا تَوَلَّوْا﴾[1]: قُرِئَ بِطَرْحِ إِحْدَى التَّاءَيْنِ وَإِدْغَامِهَا.

وَالضَّمِيرُ فِي: ﴿عَنْهُ﴾[2]، لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لِأَنَّ الْمَعْنَى: وَأَطِيعُوا رَسُولَ اللَّهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾[3].

وَلِأَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ وَطَاعَةَ اللَّهِ شَيْءٌ وَاحِدٌ: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[4]، فَكَأَنَّ رُجُوعَ الضَّمِيرِ إِلَى أَحَدِهِمَا كَرُجُوعِهِ إِلَيْهِمَا، كَقَوْلِكَ: الْإِحْسَانُ وَالْإِجْمَالُ لا يَنْفَعُ فِي فُلانٍ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْأَمْرِ بِالطَّاعَةِ، أَيْ: وَلا تُوَلُّوا عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَامْتِثَالِهِ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَهُ، أَوْ وَلا تَتَوَلَّوْا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلا تُخَالِفُوهُ.

﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[5]، أَيْ: تُصَدِّقُونَ، لِأَنَّكُمْ مُؤْمِنُونَ لَسْتُمْ كَالصُّمِّ الْمُكَذِّبِينَ مِنَ الْكَفَرَةِ.

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾[6]، أَيِ: ادَّعُوا السَّمَاعَ.

﴿وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾[7]، لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمُصَدِّقِينَ فَكَأَنَّهُمْ غَيْرُ سَامِعِينَ، وَالْمَعْنَى: أَنَّكُمْ تُصَدِّقُونَ بِالْقُرْآنِ وَالنُّبُوَّةِ، فَإِذَا تَوَلَّيْتُمْ عَنْ طَاعَةِ الرَّسُولِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ مِنْ قِسْمَةِ الْغَنَائِمِ وَغَيْرِهَا، كَانَ تَصْدِيقُكُمْ كَلا تَصْدِيقٍ، وَأَشْبَهَ سَمَاعُكُمْ سَمَاعَ مَنْ لا يُؤْمِنُ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾[8]، أَيْ: إِنَّ شَرَّ مَنْ يَدِبُّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَإِنَّ شَرَّ الْبَهَائِمِ الَّذِينَ هُمْ صُمٌّ عَنِ الْحَقِّ لا يَعْقِلُونَهُ، جَعَلَهُمْ مِنْ جِنْسِ الْبَهَائِمِ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ شَرَّهَا.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ﴾[9]: فِي هَؤُلاءِ الصُّمِّ الْبُكْمِ.

﴿خَيْرًا﴾[10]، أَيِ: انْتِفَاعًا بِاللُّطْفِ.

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

8 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

9 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

10 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿لأَسْمَعَهُمْ﴾[1]: لَلَطَفَ بِهِمْ، حَتَّى يَسْمَعُوا سَمَاعَ الْمُصَدِّقِينَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا﴾[2]، عَنْهُ، يَعْنِي: وَلَوْ لَطَفَ بِهِمْ لَمَا نَفَعَ فِيهِمُ اللُّطْفُ، فَلِذَلِكَ مَنَعَهُمْ أَلْطَافَهُ، أَوْ: وَلَوْ لَطَفَ بِهِمْ فَصَدَقُوا لارْتَدُّوا بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَذَّبُوا وَلَمْ يَسْتَقِيمُوا.

وَقِيلَ: هُمْ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ لَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلانِ: مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَسُوَيْدُ بْنُ حَرْمَلَةَ: كَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ عَمَّا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، لا نَسْمَعُهُ وَلا نُجِيبُهُ، فَقُتِلُوا جَمِيعًا بِأُحُدٍ، وَكَانُوا أَصْحَابَ اللِّوَاءِ.

وَعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ: هُمُ الْمُنَافِقُونَ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: أَهْلُ الْكِتَابِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[3]

﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾[4]: وَحَّدَ الضَّمِيرَ كَمَا وَحَّدَهُ فِيمَا قَبْلَهُ، لِأَنَّ اسْتِجَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَاسْتِجَابَتِهِ، وَإِنَّمَا يَذْكُرُ أَحَدُهُمَا مَعَ الْآخَرِ لِلتَّوْكِيدِ.

وَالْمُرَادُ بِالاسْتِجَابَةِ، الطَّاعَةُ، وَالامْتِثَالُ، وَبِالدَّعْوَةِ: الْبَعْثُ وَالتَّحْرِيضُ.

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَرَّ عَلَى بَابِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَنَادَاهُ وَهُوَ فِي الصَّلاةِ، فَعَجَّلَ فِي صِلاتِهِ؛ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: "مَا مَنَعَكَ عَنْ إِجَابَتِي؟ قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: أَلَمْ تُخْبَرْ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ: "اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ"، قَالَ: لا جَرَمَ لا تَدْعُونِي إِلَّا أَجَبْتُكَ".

وَفِيهِ قَوْلانِ:

- أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَذَا مِمَّا اخْتُصَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.
- وَالثَّانِي: أَنَّ دُعَاءَهُ كَانَ لِأَمْرٍ لَمْ يَحْتَمِلِ التَّأْخِيرَ، وَإِذَا وَقَعَ مَثَلُهُ لِلْمُصَلِّي، فَلَهُ أَنْ يَقْطَعَ صَلاتَهُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1]: مِنْ عُلُومِ الدِّيَانَاتِ وَالشَّرَائِعِ، لِأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةٌ، كَمَا أَنَّ الْجَهْلَ مَوْتٌ، وَلِبَعْضِهِمْ:

لا تُعْجِبَنَّ الْجَهُولَ حُلَّتُهُ فَذَاكَ مَيْتٌ وَثَوْبُهُ كَفَنُ

وَقِيلَ لِمُجَاهَدَةِ الْكُفَّارِ، لِأَنَّهُمْ لَوْ رَفَضُوهَا لَغَلَبُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[2].

وَقِيلَ لِلشَّهَادَةِ، لِقَوْلِهِ: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[3].

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[4]، يَعْنِي: أَنَّهُ يُمِيتُهُ فَتَفُوتُهُ الْفُرْصَةُ الَّتِي هُوَ وَاجِدُهَا، وَهِيَ التَّمَكُّنُ مِنْ إِخْلاصِ الْقَلْبِ، وَمُعَالَجَةِ أَدْوَائِهِ وَعِلَلِهِ وَرَدِّهِ سَلِيمًا كَمَا يُرِيدُهُ اللَّهُ، فَاغْتَنِمُوا هَذِهِ الْفُرْصَةَ، وَأَخْلِصُوا قُلُوبَكُمْ لِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[5]: فَيُثِيبُكُمْ عَلَى حَسَبِ سَلامَةِ الْقُلُوبِ، وَإِخْلاصِ الطَّاعَةِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ يَمْلِكُ عَلَى الْعَبْدِ قَلْبَهُ فَيَفْسَخُ عَزَائِمَهُ، وَيُغَيِّرُ نِيَّاتِهِ وَمَقَاصِدَهُ، وَيُبَدِّلُهُ بِالْخَوْفِ أَمْنًا، وَبِالْأَمْنِ خَوْفًا وَبِالذِّكْرِ نِسْيَانًا، وَبِالنِّسْيَانِ ذِكْرًا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَائِزٌ عَلَى اللَّهِ –تَعَالَى–. فَأَمَّا مَا يُثَابُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ وَيُعَاقَبُ مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوبِ، فَلاَ.

وَالْمُجْبِرَةُ عَلَى أَنَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَالْإِيمَانِ إِذَا كَفَرَ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكُفْرِ إِذَا آمَنَ، تَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ يَطَّلِعُ عَلَى كُلِّ مَا يُخْطِرُهُ الْمَرْءُ بِبَالِهِ، لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ضَمَائِرِهِ، فَكَأَنَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ.

وَقُرِئَ: "بَيْنَ الْمَرِّءِ" بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ، وَوَجْهُهُ أَنَّهُ قَدْ حَذَفَ الْهَمْزَةَ، وَأَلْقَى حَرَكَتَهَا عَلَى الرَّاءِ، كَالْخَبِّ، ثُمَّ نَوَى الْوَقْفَ عَلَى لُغَةِ مَنْ يَقُولُ: مَرَرْتُ بِعُمَرَ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الآية **179**.

[3] سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، الآية **169**.

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]

﴿فِتْنَةً﴾[2]: ذَنْبًا، قِيلَ: هُوَ إِقْرَارُ الْمُنْكَرِ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ.

وَقِيلَ: افْتِرَاقُ الْكَلِمَةِ.

وَقِيلَ: "فِتْنَةً": عَذَابًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿لا تُصِيبَنَّ﴾[3]: لا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا لِلْأَمْرِ، أَوْ نَهْيًا بَعْدَ أَمْرٍ، أَوْ صِفَةً لِفِتْنَةٍ.

فَإِذَا كَانَ جَوَابًا، فَالْمَعْنَى: إِنْ إِصَابَتْكُمْ لا تُصِيبُ الظَّالِمِينَ مِنْكُمْ خَاصَّةً وَلَكِنَّهَا تَعُمُّكُمْ. وَهَذَا كَمَا يُحْكَى أَنَّ عُلَمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ نُهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ تَعْذِيرًا، فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ.

وَإِذَا كَانَتْ نَهْيًا بَعْدَ أَمْرٍ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: وَاحْذَرُوا ذَنْبًا أَوْ عِقَابًا، ثُمَّ قِيلَ: لا تَتَعَرَّضُوا لِلظُّلْمِ فَيُصِيبَ الْعِقَابُ أَوْ أَثَرُ الذَّنْبِ وَوَبَالُهُ مَنْ ظَلَمَ مِنْكُمْ خَاصَّةً.

وَكَذَلِكَ إِذَا جَعَلْتَهُ صِفَةً عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَاتَّقُوا فِتْنَةً مَقُولًا فِيهَا لا تُصِيبَنَّ.

وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ:

حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلامُ وَاخْتَلَطْ جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطْ

أَيْ: بِمَذْقٍ مَقُولٍ فِيهِ هَذَا الْقَوْلُ، لِأَنَّهُ سَمَارٌ فِيهِ لَوْنُ الْوَرَقَةِ الَّتِي هِيَ لَوْنُ الذِّئْبِ.

وَيُعَضِّدُ الْمَعْنَى الْأَخِيرَ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: "لَتُصِيبَنَّ"، عَلَى جَوَابِ الْقَسَمِ الْمَحْذُوفِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ، وَعَمَّارٍ، وَطَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ، وَهُوَ يَوْمُ الْجَمَلِ خَاصَّةً، قَالَ الزُّبَيْرُ: نَزَلَتْ فِينَا وَقَرَأْنَاهَا زَمَانًا، وَمَا أَرَانَا مِنْ أَهْلِهَا، فَإِذَا نَحْنُ الْمَعْنِيُّونَ بِهَا.

وَعَنِ السُّدِّيِّ: نَزَلَتْ فِي أَهْلِ بَدْرٍ فَاقْتَتَلُوا يَوْمَ الْجَمَلِ.

وَرُوِيَ: "أَنَّ الزُّبَيْرَ كَانَ يُسَايِرُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمًا، إِذْ أَقْبَلَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فَضَحِكَ إِلَيْهِ الزُّبَيْرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "كَيْفَ

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

حُبُّكَ لِعَلِيٍّ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنِّي أُحِبُّهُ كَحُبِّي لِوَالِدِي أَوْ أَشَدَّ حُبًّا، قَالَ: فَكَيْفَ أَنْتِ إِذَا سِرْتَ إِلَيْهِ تُقَاتِلُهُ ."

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جَازَ أَنْ يُدْخِلَ النُّونَ الْمُؤَكِّدَةَ فِي جَوَابِ الْأَمْرِ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ فِيهِ مَعْنَى النَّهْيِ، إِذَا قُلْتَ: أَنْزِلْ عَنِ الدَّابَّةِ لا تَطْرَحْكَ، فَلِذَلِكَ جَازَ لا تَطْرَحَنَّكَ وَلا تُصِيبَنَّ وَلا يَحْطِمَنَّكُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى "مِنْ" فِي قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ﴾[1]؟

قُلْتُ: التَّبْعِيضُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ، وَالتَّبْيِينُ عَلَى الثَّانِي، لِأَنَّ الْمَعْنَى: لا تُصِيبَنَّكُمْ خَاصَّةً عَلَى ظُلْمِكُمْ، لِأَنَّ الظُّلْمَ أَقْبَحُ مِنْكُمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2]

﴿إِذْ أَنْتُمْ﴾[3]: نَصَبَهُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ مَذْكُورٌ لا ظَرْفٌ، أَيِ: اذْكُرُوا وَقْتَ كَوْنِكُمْ أَقِلَّةً أَذِلَّةً مُسْتَضْعَفِينَ.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾[4]: أَرْضِ مَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ تَسْتَضْعِفُكُمْ قُرَيْشٌ.

﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾[5]، لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا جَمِيعًا لَهَا أَعْدَاءً مَنَافِينَ مُضَادِّينَ.

﴿فَآوَاكُمْ﴾[6]: إِلَى الْمَدِينَةِ.

﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾[7]: بِمُظَاهَرَةِ الْأَنْصَارِ، وَبِإِمْدَادِ الْمَلائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾[1]: مِنَ الْغَنَائِمِ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2]: إِرَادَةَ أَنْ تَشْكُرُوا هَذِهِ النِّعَمَ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: كَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْعَرَبِ أَذَلَّ النَّاسِ، وَأَشْقَاهُمْ عَيْشًا، وَأَعْرَاهُمْ جِلْدًا، وَأَبْيَنَهُمْ ضَلالًا، يُؤَكِّلُونَ وَلا يَأْكُلُونَ، فَمَكَّنَ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْبِلادِ، وَوَسَّعَ لَهُمْ فِي الرِّزْقِ وَالْغَنَائِمِ وَجَعَلَهُمْ مُلُوكًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3]

مَعْنَى الْخَوْنِ: النَّقْصُ، كَمَا أَنَّ مَعْنَى الْوَفَاءِ التَّمَامُ، وَمِنْهُ: تَخَوَّنَهُ، إِذَا تَنَقَّصَهُ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي ضِدِّ الْأَمَانَةِ وَالْوَفَاءِ، لِأَنَّكَ إِذَا خُنْتَ الرَّجُلَ فِي شَيْءٍ، فَقَدْ أَدْخَلْتَ عَلَيْهِ النُّقْصَانَ فِيهِ؛ وَقَدِ اسْتُعِيرَ، فَقِيلَ: خَانَ الدَّلْوُ الْكَرْبَ، وَخَانَ الْمُشْتَارُ السَّبَبَ، لِأَنَّهُ إِذَا انْقَطَعَ بِهِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَفِ لَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾[4].

وَالْمَعْنَى: لا تَخُونُوا اللَّهَ بِأَنْ تُعَطِّلُوا فَرَائِضَهُ، وَرَسُولَهُ بِأَنْ لا تَسْتَنُّوا بِهِ.

وَ﴿أَمَانَاتِكُمْ﴾[5]: فِيمَا بَيْنَكُمْ بِأَنْ لا تَحْفَظُوهَا.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[6]: تَبِعَةَ ذَلِكَ وَوَبَالَهُ.

وَقِيلَ: وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ تَخُونُونَ، يَعْنِي: أَنَّ الْخِيَانَةَ تُوجَدُ مِنْكُمْ عَنْ تَعَمُّدٍ لا عَنْ سَهْوٍ.

وَقِيلَ: وَأَنْتُمْ عُلَمَاءُ تَعْلَمُونَ قُبْحَ الْقَبِيحِ وَحُسْنَ الْحَسَنِ.

وَرُوِيَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حَاصَرَ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، فَسَأَلُوا الصُّلْحَ كَمَا صَالَحَ إِخْوَانَهُمْ بَنِي النَّضِيرِ عَلَى أَنْ يَسِيرُوا

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

إِلَى أَذْرَعَاتٍ وَأَرِيحَاءَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَّا أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَبَوْا وَقَالُوا: أَرْسِلْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ مَرْوَانَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، وَكَانَ مُنَاصِحًا لَهُمْ، لِأَنَّ عِيَالَهُ وَمَالَهُ فِي أَيْدِيهِمْ؛ فَبَعَثَهُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: مَا تَرَى، هَلْ نَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ؟ فَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ إِنَّهُ الذَّبْحُ، قَالَ أَبُو لُبَابَةَ فَمَا زَالَتْ قَدَمَايَ حَتَّى عَلِمْتُ أَنِّي قَدْ خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَنَزَلَتْ؛ فَشَدَّ نَفْسَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لا أَذُوقُ طَعَامًا وَلا شَرَابًا حَتَّى أَمُوتَ أَوْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ؛ فَمَكَثَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ فَقِيلَ لَهُ: قَدْ تِيبَ عَلَيْكَ فَحُلَّ نَفْسَكَ، فَقَالَ: لا وَاللَّهِ لا أَحُلُّهَا حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هُوَ الَّذِي يُحِلُّنِي، فَجَاءَهُ فَحَلَّهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ: إِنَّ مِنْ تَمَامِ تَوْبَتِي أَنْ أَهْجُرَ دَارَ قَوْمِي الَّتِي أَصَبْتُ فِيهَا الذَّنْبَ، وَأَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي؛ فَقَالَ: -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَجْزِيكَ الثُّلُثُ أَنْ تَتَصَدَّقَ بِهِ.

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ: نَزَلَتْ فِي قَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

وَقِيلَ: ﴿أَمَانَاتِكُمْ﴾[1]: مَا ائْتَمَنَكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَحُدُودِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: "وَتَخُونُوا": جَزْمٌ هُوَ أَمْ نَصْبٌ؟

قُلْتُ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ جَزْمًا دَاخِلًا فِي حُكْمِ النَّهْيِ، وَأَنْ يَكُونَ نَصْبًا بِإِضْمَارِ "أَنْ" كَقَوْلِهِ: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾[2].

وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ: "وَتَخُونُوا أَمَانَتَكُمْ"، عَلَى التَّوْحِيدِ.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[3]

جَعَلَ الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلادَ فِتْنَةً، لِأَنَّهُمْ سَبَبُ الْوُقُوعِ فِي الْفِتْنَةِ وَهِيَ الْإِثْمُ أَوِ الْعَذَابُ، أَوْ مِحْنَةٌ مِنَ اللَّهِ لِيَبْلُوَكُمْ كَيْفَ تُحَافِظُونَ فِيهِمْ عَلَى حُدُودِهِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الآية 42.

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

وَ﴿اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1]: فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَنُوطُوا بِطَلَبِهِ وَبِمَا تُؤَدِّي إِلَيْهِ هِمَمُكُمْ، وَتَزْهَدُوا فِي الدُّنْيَا، وَلا تَحْرِصُوا عَلَى جَمْعِ الْمَالِ وَحُبِّ الْوَلَدِ، حَتَّى تُوَرِّطُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ أَجْلِهِمَا، كَقَوْلِهِ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾[2].

وَقِيلَ: هِيَ مِنْ جُمْلَةِ مَا نَزَلَ فِي أَبِي لُبَابَةَ، وَمَا فَرَطَ مِنْهُ لِأَجْلِ مَالِهِ وَوَلَدِهِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[3]

﴿فُرْقَانًا﴾[4]: نَصْرًا، لِأَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْكُفْرِ بِإِذْلالِ حِزْبِهِ، وَالْإِسْلامِ بِإِعْزَازِ أَهْلِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾[5] أَوْ بَيَانًا وَظُهُورًا يُشْهِرُ أَمْرَكُمْ، وَيَبُثُّ صِيتَكُمْ، وَآثَارَكُمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: "بِتُّ أَفْعَلُ كَذَا" حَتَّى سَطَعَ الْفُرْقَانُ، أَيْ: طَلَعَ الْفَجْرُ، أَوْ مَخْرَجًا مِنَ الشُّبُهَاتِ وَتَوْفِيقًا وَشَرْحًا لِلصُّدُورِ، أَوْ تَفْرِقَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ غَيْرِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ، وَفَضْلًا وَمَزِيَّةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[6]

لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، ذَكَّرَهُ مَكْرَ قُرَيْشٍ بِهِ حِينَ كَانَ بِمَكَّةَ، لِيَشْكُرَ نِعْمَةَ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– فِي نَجَاتِهِ مِنْ مَكْرِهِمْ وَاسْتِيلائِهِ عَلَيْهِمْ، وَمَا أَتَاحَ اللَّهُ لَهُ مِنْ حُسْنِ الْعَاقِبَةِ، وَالْمَعْنَى: وَاذْكُرْ إِذْ يَمْكُرُونَ بِكَ وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا –لَمَّا أَسْلَمَتِ الْأَنْصَارُ وَبَايَعُوهُ– فَرَقُّوا أَنْ يَتَفَاهَمَ

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْكَهْفِ، الآية 46.

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية 41.

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

أَمْرُهُ، فَاجْتَمَعُوا فِي دَارِ النَّدْوَى مُتَشَاوِرِينَ فِي أَمْرِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ، وَقَالَ: أَنَا شَيْخٌ مِنْ نَجْدٍ، مَا أَنَا مِنْ تِهَامَةَ، دَخَلَتْ مَكَّةُ فَسَمِعَتْ بِاجْتِمَاعِكُمْ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَحْضُرَكُمْ وَلَنْ تَعْدَمُوا مِنِّي رَأْيًا وَنُصْحًا، فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ: رَأْيِي أَنْ تَحْبِسُوهُ فِي بَيْتٍ، وَتَشُدُّوا وَثَاقَهُ، وَتَسُدُّوا بَابَهُ غَيْرَ كُوَّةٍ تُلْقُونَ إِلَيْهِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْهَا، وَتَتَرَبَّصُوا بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ، فَقَالَ إِبْلِيسُ: بِئْسَ الرَّأْيُ، يَأْتِيكُمْ مَنْ يُقَاتِلُكُمْ مَنْ قَوْمِهِ وَيُخَلِّصُهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ، فَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو: رَأْيِي أَنْ تَحْمِلُوهُ عَلَى جَمَلٍ وَتُخْرِجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ، فَلا يَضُرُّكُمْ مَا صَنَعَ وَاسْتَرَحْتُمْ، فَقَالَ إِبْلِيسُ: بِئْسَ الرَّأْيُ، يُفْسِدُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَيُقَاتِلُكُمْ بِهِمْ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَنَا أَرَى أَنْ تَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ بَطْنٍ غُلامًا وَتُعْطُوهُ سَيْفًا صَارِمًا، فَيَضْرِبُوهُ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَتَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ، فَلا يَقْوَى بَنُو هَاشِمٍ عَلَى حَرْبِ قُرَيْشٍ كُلِّهِمْ، فَإِذَا طَلَبُوا الْعَقْلَ عَقَلْنَاهُ وَاسْتَرَحْنَا، فَقَالَ الشَّيْخُ –لَعَنَهُ اللَّهُ–: صَدَقَ هَذَا الْفَتَى، هُوَ أَجْوَدُكُمْ رَأْيًا.

فَتَفَرَّقُوا عَلَى رَأْيِ أَبِي جَهْلٍ مُجْتَمِعِينَ عَلَى قَتْلِهِ، فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ –عَلَيْهِ السَّلامُ– رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَأَمَرَهُ أَنْ لا يَبِيتَ فِي مَضْجَعِهِ، وَأَذِنَ اللَّهُ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ، فَأَمَرَ عَلِيًّا –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَنَامَ فِي مَضْجَعِهِ، وَقَالَ لَهُ: "اتَّشِحْ بِبُرْدَتِي، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ" وَبَاتُوا مُتَرَصِّدِينَ.

فَلَمَّا أَصْبَحُوا ثَارُوا إِلَى مَضْجَعِهِ، فَأَبْصَرُوا عَلِيًّا فَبُهِتُوا وَخَيَّبَ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– سَعْيَهُمْ، وَاقْتَصُّوا أَثَرَهُ، فَأَبْطَلَ اللَّهُ مَكْرَهُمْ "لِيُثْبِتُوكَ": لِيَسْجُنُوكَ، أَوْ يُوثِقُوكَ، أَوْ يُثْخِنُوكَ بِالضَّرْبِ وَالْجَرْحِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: ضَرَبُوهُ حَتَّى أَثْبَتُوهُ لا حَرَاكَ بِهِ وَلا بَرَاحَ، وَفُلانٌ مُثْبَتٌ وَجِعًا، وَقُرِئَ: "لِيُثَبِّتُوكَ"، بِالتَّشْدِيدِ، وَقَرَأَ النَّخَعِيُّ: "لِيُبَيِّتُوكَ"، مِنَ الْبَيَاتِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "لِيُقَيِّدُوكَ"، وَهُوَ دَلِيلٌ لِمَنْ فَسَّرَهُ بِالْإِيثَاقِ.

﴿وَيَمْكُرُونَ﴾[1]: وَيُخْفُونَ الْمَكَايِدَ لَهُ.

﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾[2]: وَيُخْفِي اللَّهُ مَا أَعَدَّ لَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً.

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[3]، أَيْ: مَكْرُهُ أَنْفَذُ مِنْ مَكْرِ غَيْرِهِ وَأَبْلَغُ تَأْثِيرًا، أَوْ لِأَنَّهُ لا يَنْزِلُ إِلَّا مَا هُوَ حَقٌّ وَعَدْلٌ، وَلا يُصِيبُ إِلَّا بِمَا هُوَ مُسْتَوْجِبٌ.

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[1]

﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾[2]: نَفَاجَةٌ مِنْهُمْ وَصَلَفٌ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَتَوَانَوْا فِي مَشِيئَتِهِمْ لَوْ سَاعَدَتْهُمُ الاسْتِطَاعَةُ، وَإِلَّا فَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ كَانُوا مُسْتَطِيعِينَ أَنْ يَشَاءُوا غَلَبَةَ مَنْ تَحَدَّاهُمْ وَقَرَعَهُمْ بِالْعَجْزِ، حَتَّى يَفُوزُوا بِالْقِدْحِ الْمُعَلَّى دُونَهُ، مَعَ فَرْطِ أَنَفَتِهِمْ وَاسْتِنْكَافِهِمْ أَنْ يَغْلِبُوا فِي بَابِ الْبَيَانِ خَاصَّةً، وَأَنْ يُمَاتِنَهُمْ وَاحِدٌ، فَيَتَعَلَّلُوا بِامْتِنَاعِ الْمَشِيئَةِ، وَمَعَ مَا عُلِمَ وَظَهَرَ ظُهُورَ الشَّمْسِ، مِنْ حِرْصِهِمْ عَلَى أَنْ يَقْهَرُوا رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَتَهَالُكِهِمْ عَلَى أَنْ يَغْمُرُوهُ.

وَقِيلَ: قَائِلُهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَرْثِ الْمَقْتُولُ صَبْرًا، حِينَ سَمِعَ اقْتِصَاصَ اللَّهِ أَحَادِيثَ الْقُرُونِ: لَوْ شِئْتَ لَقُلْتَ مِثْلَ هَذَا، وَهُوَ الَّذِي جَاءَ مِنْ بِلادِ فَارِسَ بِنُسْخَةِ حَدِيثِ رُسْتُمَ وَأَسْفِنْدِيَارَ، فَزَعَمَ أَنَّ هَذَا مِثْلُ ذَاكَ، وَأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ تِلْكَ الْأَسَاطِيرِ، وَهُوَ الْقَائِلُ: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ﴾[3].

وَهَذَا أُسْلُوبٌ مِنَ الْجُحُودِ بَلِيغٌ، يَعْنِي: إِنْ كَانَ الْقُرْآنُ هُوَ الْحَقَّ، فَعَاقِبْنَا عَلَى إِنْكَارِهِ بِالسِّجِّيلِ، كَمَا فَعَلْتَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، أَوْ بِعَذَابٍ آخَرَ، وَمُرَادُهُ نَفْيُ كَوْنِهِ حَقًّا. وَإِذَا انْتَفَى كَوْنُهُ حَقًّا، لَمْ يَسْتَوْجِبْ مُنْكِرُهُ عَذَابًا؛ فَكَانَ تَعْلِيقُ الْعَذَابِ بِكَوْنِهِ حَقًّا مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّهُ لَيْسَ بِحَقٍّ، كَتَعْلِيقِهِ بِالْمُحَالِ فِي قَوْلِكَ: إِنْ كَانَ الْبَاطِلُ حَقًّا، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً.

وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ الْحَقَّ﴾[4]: تَهَكُّمٌ بِمَنْ يَقُولُ عَلَى سَبِيلِ التَّخْصِيصِ وَالتَّعْيِينِ: هَذَا هُوَ الْحَقُّ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: "هُوَ الْحَقُّ" بِالرَّفْعِ، عَلَى أَنَّ هُوَ مُبْتَدَأٌ غَيْرُ فَصْلٍ، وَهُوَ فِي الْقِرَاءَةِ الْأُولَى فَصْلٌ.

وَيُقَالُ: أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ، كَقَوْلِكَ: أَنْجَمَتْ وَأَسْبَلَتْ، وَمَطَرَتْ، كَقَوْلِكَ: هَتَنَتْ وَهَتَلَتْ، وَقَدْ كَثُرَ الْأَمْطَارُ فِي مَعْنَى الْعَذَابِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ: ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾[1]؟ وَالْأَمْطَارُ لا تَكُونُ إِلَّا مِنْهَا.

قُلْتُ: كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُقَالَ: فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا السِّجِّيلَ، وَهِيَ الْحِجَارَةُ الْمُسَوَّمَةُ لِلْعَذَابِ، فَوَضَعَ: ﴿حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[2]: مَوْضِعَ السِّجِّيلِ، كَمَا تَقُولُ: صَبَّ عَلَيْهِ مَسْرُودَةً مِنْ حَدِيدٍ، تُرِيدُ دِرْعًا.

﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3]، أَيْ: بِنَوْعٍ آخَرَ مِنْ جِنْسِ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، يَعْنِي: أَنَّ أَمْطَارَ السِّجِّيلِ بَعْضُ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، فَعَذَّبْنَا بِهِ أَوْ بِنَوْعٍ آخَرَ مِنْ أَنْوَاعِهِ.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ سَبَأٍ: مَا أَجْهَلَ قَوْمَكَ حِينَ مَلَّكُوا عَلَيْهِمُ امْرَأَةً! قَالَ: أَجْهَلُ مِنْ قَوْمِي قَوْمُكَ، قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ دَعَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾[4]، وَلَمْ يَقُولُوا: إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ فَاهْدِنَا لَهُ، اللَّامُ لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ، وَالدَّلالَةُ عَلَى أَنَّ تَعْذِيبَهُمْ وَأَنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ فِي الْحِكْمَةِ، لِأَنَّ عَادَةَ اللَّهِ وَقَضِيَّةَ حِكْمَتِهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ قَوْمًا عَذَابَ اسْتِئْصَالٍ، مَا دَامَ نَبِيُّهُمْ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، وَفِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّهُمْ مَرْصُودُونَ بِالْعَذَابِ إِذَا هَاجَرَ عَنْهُمْ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا الْإِشْعَارِ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾[5].

وَإِنَّمَا يَصِحُّ هَذَا بَعْدَ إِثْبَاتِ التَّعْذِيبِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَهُوَ مُعَذِّبُهُمْ إِذَا فَارَقْتَهُمْ، وَمَا لَهُمْ أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[6]: فِي مَوْضِعِ الْحَالِ.

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

وَمَعْنَاهُ: نَفْيُ الاسْتِغْفَارِ عَنْهُمْ، أَيْ: وَلَوْ كَانُوا مِمَّنْ يُؤْمِنُ وَيَسْتَغْفِرُ مِنَ الْكُفْرِ لَمَا عَذَّبَهُمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[1]، وَلَكِنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ وَلا يَسْتَغْفِرُونَ، وَلا يُتَوَقَّعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَفِيهِمْ مَنْ يَسْتَغْفِرُ، وَهُمُ الْمُسْلِمُونَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾[2]: وَأَيُّ شَيْءٍ لَهُمْ فِي انْتِفَاءِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ؟!

يَعْنِي: لا حَظَّ لَهُمْ فِي ذَلِكَ وَهُمْ مُعَذَّبُونَ لا مَحَالَةَ.

وَكَيْفَ لا يُعَذَّبُونَ وَحَالُهُمْ أَنَّهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، كَمَا صَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَإِخْرَاجُهُمْ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّدِّ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ وُلاةُ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ، فَنَصُدُّ مَنْ نَشَاءُ، وَنُدْخِلُ مَنْ نَشَاءُ؟!

﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾[3]: وَمَا اسْتَحَقُّوا مَعَ إِشْرَاكِهِمْ وَعَدَاوَتِهِمْ لِلدِّينِ أَنْ يَكُونُوا وُلاةَ أَمْرِهِ وَأَرْبَابِهِ.

﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ﴾[4]: مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَيْسَ كُلُّ مُسْلِمٍ أَيْضًا مِمَّنْ يَصْلُحُ لِأَنْ يَلِيَ أَمْرَهُ، إِنَّمَا يَسْتَأْهِلُ وِلايَتَهُ مَنْ كَانَ بَرًّا تَقِيًّا، فَكَيْفَ بِالْكَفَرَةِ عَبَدَةِ الْأَصْنَامِ؟!

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[5]، كَأَنَّهُ اسْتَثْنَى مَنْ كَانَ يَعْلَمُ وَهُوَ يُعَانِدُ وَيَطْلُبُ الرِّيَاسَةَ، أَوْ أَرَادَ بِالْأَكْثَرِ: الْجَمِيعَ، كَمَا يُرَادُ بِالْقِلَّةِ: الْعَدَمُ.

﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[6]

---

[1] سُورَةُ هُودٍ، الآية **117**.

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

الْمُكَاءُ: فُعَالٌ بِوَزْنِ الثُّغَاءِ وَالرُّغَاءِ، مِنْ مَكَا يَمْكُو إِذَا صَفَّرَ، وَمِنْهُ الْمُكَاءُ، كَأَنَّهُ سُمِّي بِذَلِكَ، لِكَثْرَةِ مُكَائِهِ؛ وَأَصْلُهُ، الصِّفَةُ، نَحْوَ الْوُضَاءِ وَالْفُرَاءِ.

وَقُرِئَ: "مُكًا" بِالْقَصْرِ.

وَنَظِيرُهُمَا: الْبُكِيُّ وَالْبُكَاءُ، وَالتَّصْدِيَةُ: التَّصْفِيقُ، تَفْعِلَةٌ مِنَ الصَّدَى أَوْ مَنْ صَدَّ يَصُدُّ: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[1].

وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: "وَمَا كَانَ صَلاتَهُمْ"، بِالنَّصْبِ عَلَى تَقْدِيمِ خَبَرِ كَانَ عَلَى اسْمِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ هَذَا الْكَلامِ؟

قُلْتُ: هُوَ نَحْوٌ مِنْ قَوْلِهِ:

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ أَدَاهِمَ سُودًا أَوْ مُحَدْرَجَةً سُمْرَا

وَالْمَعْنَى أَنَّهُ وَضَعَ الْقُيُودَ وَالسِّيَاطَ مَوْضِعَ الْعَطَاءِ، وَوَضَعُوا الْمُكَاءَ وَالتَّصْدِيَةَ مَوْضِعَ الصَّلاةِ. وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عُرَاةً: الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَهُمْ مُشَبِّكُونَ بَيْنَ أَصَابِعِهِمْ يُصَفِّرُونَ فِيهَا وَيُصَفِّقُونَ، وَكَانُوا يَفْعَلُونَ نَحْوَ ذَلِكَ إِذَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي صَلاتِهِ يَخْلِطُونَ عَلَيْهِ.

﴿فَذُوقُوا﴾[2]: عَذَابَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ يَوْمَ بَدْرٍ، بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ وَأَفْعَالِكُمُ الَّتِي لا يُقْدِمُ عَلَيْهَا إِلَّا الْكَفَرَةُ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[3]

---

[1] سُورَةُ الزُّخْرُفِ، الآية 57.

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

قِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْمُطْعِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، كَانَ يُطْعِمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ عَشْرَ جَزَائِرَ، وَقِيلَ: قَالُوا لِكُلِّ مَنْ كَانَ لَهُ تِجَارَةٌ فِي الْعِيرِ: أَعِينُوا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِ مُحَمَّدٍ، لَعَلَّنَا نُدْرِكُ مِنْهُ ثَأْرَنَا بِمَا أُصِيبَ مِنَّا بِبَدْرٍ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي أَبِي سُفْيَانَ، وَقَدِ اسْتَأْجَرَ لِيَوْمِ أُحُدٍ أَلْفَيْنِ مِنَ الْأَحَابِيشِ سِوَى مَنِ اسْتَجَاشَ مِنَ الْعَرَبِ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، وَالْأُوقِيَّةُ: اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ مِثْقَالًا.

﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1]، أَيْ: كَانَ غَرَضُهُمْ فِي الْإِنْفَاقِ الصَّدَّ عَنِ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ وَهُوَ سَبِيلُ اللَّهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ كَذَلِكَ.

﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾[2]، أَيْ: كَانَ غَرَضُهُمْ فِي الْإِنْفَاقِ الصَّدَّ عَنِ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ وَهُوَ سَبِيلُ اللَّهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ كَذَلِكَ.

﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾[3]، أَيْ: تَكُونُ عَاقِبَةُ إِنْفَاقِهَا نَدَمًا وَحَسْرَةً، فَكَأَنَّ ذَاتَهَا تَصِيرُ نَدَمًا وَتَنْقَلِبُ حَسْرَةً.

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾[4]: آخِرَ الْأَمْرِ، وَإِنْ كَانَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ سِجَالًا قَبْلَ ذَلِكَ فَيَرْجِعُونَ طُلَقَاءَ.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[5]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وَالْكَافِرُونَ مِنْهُمْ ﴿إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[6]، لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ﴾[7]: الْفَرِيقَ الْخَبِيثَ مِنَ الْكُفَّارِ، ﴿مِنَ﴾[8]، الْفَرِيقِ، ﴿الطَّيِّبِ﴾[9]: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

5 سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ، الآية 21.

6 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

8 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

9 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

فَيَجْعَلَ الْفَرِيقَ ﴿الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾[1]: عِبَارَةٌ عَنِ الْجَمْعِ وَالضَّمِّ، حَتَّى يَتَرَاكَبُوا، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[2]، يَعْنِي: لِفَرْطِ ازْدِحَامِهِمْ.

"أُولَائِكَ": إِشَارَةٌ إِلَى الْفَرِيقِ الْخَبِيثِ.

وَقِيلَ: لِيَمِيزَ الْمَالَ الْخَبِيثَ الَّذِي أَنْفَقَهُ الْمُشْرِكُونَ فِي عَدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْمَالِ الطَّيِّبِ الَّذِي أَنْفَقَهُ الْمُسْلِمُونَ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُثْمَانَ فِي نُصْرَتِهِ.

﴿فَيَرْكُمَهُ﴾[3]: فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ فِي جُمْلَةِ مَا يُعَذَّبُونَ بِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[4].

وَاللَّامُ عَلَى هَذَا مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾[5]، وَعَلَى الْأَوَّلِ.

وَ﴿أُولَئِكَ﴾[6]: إِشَارَةٌ إِلَى الَّذِينَ كَفَرُوا.

وَقُرِئَ: "لِيَمِيزَ" عَلَى التَّخْفِيفِ.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ﴾[7]

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[8]: مِنْ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ، أَيْ: قُلْ لِأَجْلِهِمْ هَذَا الْقَوْلَ وَهُوَ: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾[9].

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْجِنِّ، الآية 12.

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ التَّوْبَةِ، الآية 35.

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية 36.

[6] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[8] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[9] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

وَلَوْ كَانَ بِمَعْنَى: خَاطِبْهُمْ بِهِ، لَقِيلَ: إِنْ تَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَكُمْ، وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَنَحْوُهُ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾[1]، خَاطَبُوا بِهِ غَيْرَهُمْ لِأَجْلِهِمْ لِيَسْمَعُوهُ، أَيْ: إِنْ يَنْتَهُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عَدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقِتَالِهِ بِالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ.

﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾[2]: لَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ.

﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾[3]: لِقِتَالِهِ.

﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ﴾[4]: مِنْهُمُ الَّذِينَ حَاقَ بِهِمْ مَكْرُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، أَوْ: فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الَّذِينَ تَحَزَّبُوا عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ فَدُمِّرُوا، فَلْيَتَوَقَّعُوا مِثْلَ ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: إِنَّ الْكُفَّارَ إِذَا انْتَهَوْا عَنِ الْكُفْرِ، وَأَسْلَمُوا غُفِرَ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ لَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَخَرَجُوا مِنْهَا كَمَا تَنْسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: "الْإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ".

وَقَالُوا: الْحَرْبِيُّ إِذَا أَسْلَمَ لَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ تَبِعَةٌ قَطُّ.

وَأَمَّا الذِّمِّيُّ، فَلَا يَلْزَمُهُ قَضَاءُ حُقُوقِ اللَّهِ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ حُقُوقُ الْآدَمِيِّينَ.

وَبِهِ احْتَجَّ أَبُو حَنِيفَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي أَنَّ الْمُرْتَدَّ إِذَا أَسْلَمَ لَمْ يَلْزَمْهُ قَضَاءُ الْعِبَادَاتِ الْمَتْرُوكَةِ فِي حَالِ الرِّدَّةِ، وَقَبْلِهَا، وَفَسَّرَ: ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾[5]: بِالارْتِدَادِ.

وَقُرِئَ: "يَغْفِرْ لَهُمْ"، عَلَى أَنَّ الضَّمِيرَ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[6]

---

[1] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية 11.

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[1]: إِلَى أَلَّا يُوجَدَ فِيهِمْ شَرْطٌ قَطُّ.

﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[2]: وَيَضْمَحِلُّ عَنْهُمْ كُلُّ دِينٍ بَاطِلٍ، وَيَبْقَى فِيهِمْ دِينُ الْإِسْلامِ وَحْدَهُ.

﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾[3]: عَنِ الْكُفْرِ وَأَسْلَمُوا.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[4]: يُثِيبُهُمْ عَلَى تَوْبَتِهِمْ وَإِسْلامِهِمْ.

وَقُرِئَ: "تَعْمَلُونَ"، بِالتَّاءِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى دِينِهِ، وَالْإِخْرَاجِ مِنْ ظُلْمَةِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْإِسْلامِ.

﴿بَصِيرٌ﴾[5]: يُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾[6]: وَلَمْ يَنْتَهُوا.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ﴾[7]، أَيْ: نَاصِرُكُمْ وَمُعِينُكُمْ، فَثِقُوا بِوِلايَتِهِ وَنُصْرَتِهِ.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[8]

﴿أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾[9]: مَا: مَوْصُولَةٌ.

وَ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾[10]: بَيَانُهُ، قِيلَ: مِنْ شَيْءٍ حَتَّى الْخَيْطِ وَالْمَخِيطِ.

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

8 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

9 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

10 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ﴾[1]: مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: فَحَقٌّ، أَوْ فَوَاجِبٌ أَنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ.

وَرَوَى الْجُعْفِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو: "فَإِنَّ لِلَّهِ" بِالْكَسْرِ، وَتُقَوِّيهِ قِرَاءَةُ النَّخَعِيِّ: "فَلِلَّهِ خُمُسُهُ".

وَالْمَشْهُورَةُ آكَدُ وَأَثْبَتُ لِلْإِيجَابِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَلا بُدَّ مِنْ ثَبَاتِ الْخُمْسِ فِيهِ، لا سَبِيلَ إِلَى الْإِخْلالِ بِهِ وَالتَّفْرِيطِ فِيهِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ إِذَا حُذِفَ الْخَبَرُ وَاحْتَمَلَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْمُقَدَّرَاتِ، كَقَوْلِكَ: ثَابِتٌ وَاجِبٌ حَقٌّ لازِمٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، كَانَ أَقْوَى لِإِيجَابِهِ مِنَ النَّصِّ عَلَى وَاحِدٍ، وَقُرِئَ: خُمْسَهُ بِالسُّكُونِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قِسْمَةُ الْخُمْسِ؟

قُلْتُ: عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّهَا كَانَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى خَمْسَةِ أَسْهُمٍ: سَهْمٌ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَسَهْمٌ لِذَوِي قُرْبَاءَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، دُونَ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَبَنِي نَوْفَلٍ، اسْتَحَقُّوهُ حِينَئِذٍ بِالنُّصْرَةِ وَالْمُظَاهَرَةِ، لِمَا رُوِيَ عَنْ عُثْمَانَ وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُمَا قَالا لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: هَؤُلاءِ إِخْوَتُكَ بَنُو هَاشِمٍ، لا نُنْكِرُ فَضْلَهُمْ لِمَكَانِكَ الَّذِي جَعَلَكَ اللَّهُ مِنْهُمْ، أَرَأَيْتَ إِخْوَانَنَا بَنِي الْمُطَّلِبِ أَعْطَيْتَهُمْ وَحَرَمْتَنَا، وَإِنَّمَا نَحْنُ وَهَمَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِنَّهُمْ لَمْ يُفَارِقُونَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلا إِسْلامٍ، إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ" وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَثَلاثَةُ أَسْهُمٍ: لِلْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، وَابْنِ السَّبِيلِ.

وَأَمَّا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَسَهْمُهُ سَاقِطٌ بِمَوْتِهِ، وَكَذَلِكَ سَهْمُ ذَوِي الْقُرْبَى، وَإِنَّمَا يُعْطَوْنَ لِفَقْرِهِمْ، فَهُمْ أُسْوَةُ سَائِرِ الْفُقَرَاءِ، وَلا يُعْطَى أَغْنِيَاؤُهُمْ فَيُقَسَّمُ عَلَى الْيَتَامَى، وَالْمَسَاكِينِ، وَابْنِ السَّبِيلِ.

وَأَمَّا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، فَيُقَسَّمُ عَلَى خَمْسَةِ أَسْهُمٍ: سَهْمٌ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُصْرَفُ: إِلَى مَا كَانَ يَصْرِفُهُ إِلَيْهِ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ: كَعُدَّةِ الْغُزَاةِ مِنَ السِّلاحِ وَالْكُرَاعِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَسَهْمٌ لِذَوِي الْقُرْبَى مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَفُقَرَائِهِمْ: يُقَسَّمُ بَيْنَهُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ، وَالْبَاقِي لِلْفِرَقِ الثَّلاثِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

وَعِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: الْأَمْرُ فِيهِ مُفَوَّضٌ إِلَى اجْتِهَادِ الْإِمَامِ، إِنْ رَأَى قَسْمَهُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ، وَإِنْ رَأَى أَعْطَاهُ بَعْضَهُمْ دُونَ بَعْضٍ، وَإِنْ رَأَى غَيْرَهُمْ أَوْلَى وَأَهَمَّ فَغَيْرُهُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى ذِكْرِ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلّ– وَعَطْفِ الرَّسُولِ وَغَيْرِهِ عَلَيْهِ.

قُلْتُ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ، لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾[1]، وَأَنْ يُرَادَ بِذِكْرِهِ إِيجَابُ سَهْمٍ سَادِسٍ يُصْرَفُ إِلَى وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الْقُرْبِ، وَأَنْ يُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾[2]: أَنَّ مِنْ حَقِّ الْخُمْسِ أَنَّ يَكُونَ مُتَقَرَّبًا بِهِ إِلَيْهِ لا غَيْرَ، ثُمَّ خَصَّ مِنْ وُجُوهِ الْقُرْبِ هَذِهِ الْخَمْسَةَ، تَفْضِيلًا لَهَا عَلَى غَيْرِهَا، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[3].

– فَعَلَى الاحْتِمَالِ الْأَوَّلِ: مَذْهَبُ الْإِمَامَيْنِ؛

– وَعَلَى الثَّانِي: مَا قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: أَنَّهُ يُقَسَّمُ عَلَى سِتَّةِ أَسْهُمٍ: سَهْمٌ لِلَّهِ –تَعَالَى–، يُصْرَفُ إِلَى رِتَاجِ الْكَعْبَةِ، وَعَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَأْخُذُ الْخُمْسَ فَيَضْرِبُ بِيَدِهِ فِيهِ، فَيَأْخُذُ مِنْهُ قَبْضَةً فَيَجْعَلُهَا لِلْكَعْبَةِ، وَهُوَ سَهْمُ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ يَقْسِمُ مَا بَقِيَ عَلَى خَمْسَةٍ، وَقِيلَ: إِنَّ سَهْمَ اللَّهِ –تَعَالَى– لِبَيْتِ الْمَالِ.

– وَعَلَى الثَّالِثِ: مَذْهَبُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ كَانَ عَلَى سِتَّةِ أَسْهُمٍ: لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ سَهْمَانِ، وَسَهْمٌ لِأَقَارِبِهِ حَتَّى قُبِضَ، فَأَجْرَى أَبُو بَكْرٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– الْخُمْسَ عَلَى ثَلَاثَةٍ، وَكَذَلِكَ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ.

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– مَنَعَ بَنِي هَاشِمٍ الْخُمْسَ، وَقَالَ: إِنَّمَا لَكُمْ أَنْ يُعْطَى فَقِيرُكُمْ، وَيُزَوَّجَ أَيِّمُكُمْ، وَيُخْدَمَ مَنْ لا خَادِمَ لَهُ مِنْكُمْ، فَأَمَّا الْغَنِيُّ مِنْكُمْ: فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ ابْنِ سَبِيلٍ غَنِيٍّ لا يُعْطَى مِنَ الصَّدَقَةِ شَيْئًا، وَلا يَتِيمٍ مُوسِرٍ.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: كَذَلِكَ قَالَ، لَيْسَ لَنَا أَنْ نَبْنِيَ مِنْهُ قُصُورًا، وَلا أَنْ نَرْكَبَ مِنْهُ الْبَرَاذِينَ، وَقِيلَ: الْخُمْسُ كُلُّهُ لِلْقَرَابَةِ.

---

[1] سُورَةُ التَّوْبَةِ، الآية 62.

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الآية 98.

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– قَالَ: ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾[1]، فَقَالَ: أَيْتَامُنَا وَمَسَاكِينُنَا.

وَعَنِ الْحَسَنِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– فِي سَهْمِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: إِنَّهُ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ.

وَعَنِ الْكَلْبِيِّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: إِنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ بِبَدْرٍ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: كَانَ الْخُمْسُ فِي غَزْوَةِ بَنِي قَيْنُقَاعَ بَعْدَ بَدْرٍ بِشَهْرٍ وَثَلاثَةِ أَيَّامٍ لِلنِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ، عَلَى رَأْسِ عِشْرِينَ شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ تَعَلَّقَ قَوْلُهُ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾[2]؟

قُلْتُ: بِمَحْذُوفٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ: "وَاعْلَمُوا"، الْمَعْنَى: إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ، فَاعْلَمُوا أَنَّ الْخُمْسَ مِنَ الْغَنِيمَةِ يَجِبُ التَّقَرُّبُ بِهِ، فَاقْطَعُوا عَنْهُ أَطْمَاعَكُمْ، وَاقْتَنِعُوا بِالْأَخْمَاسِ الْأَرْبَعَةِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْعِلْمِ الْمُجَرَّدَ، وَلَكِنَّهُ الْعِلْمُ الْمُضَمَّنُ بِالْعَمَلِ وَالطَّاعَةِ لِأَمْرِ اللَّهِ –تَعَالَى–، لِأَنَّ الْعِلْمَ الْمُجَرَّدَ يَسْتَوِي فِيهِ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا﴾[3]: مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿بِاللَّهِ﴾[4]، أَيْ: إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَبِالْمُنَزَّلِ ﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾[5].

وَقُرِئَ: "عُبُدِنَا"، كَقَوْلِهِ: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾[6]، بِضَمَّتَيْنِ.

﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾[7]: يَوْمَ بَدْرٍ.

وَ﴿الْجَمْعَانِ﴾[8]: الْفَرِيقَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَالْمُرَادُ: مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْفَتْحِ يَوْمَئِذٍ.

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

6 سُورَةُ الْمَائِدَةِ، الآية 60.

7 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

8 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]: يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْصُرَ الْقَلِيلَ عَلَى الْكَثِيرِ، وَالذَّلِيلَ عَلَى الْعَزِيزِ، كَمَا فَعَلَ بِكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ.

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]

﴿إِذْ﴾[3]: بَدَلٌ مِنْ يَوْمِ الْفُرْقَانِ، وَالْعُدْوَةُ: شَطُّ الْوَادِي بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ وَالْفَتْحِ، وَقُرِئَ: "بِهِنَّ" وَبِالْعُدْيَةِ، عَلَى قَلْبِ الْوَاوِ يَاءً، لِأَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْكَسْرَةِ حَاجِزًا غَيْرَ حَصِينٍ كَمَا فِي الصِّبْيَةِ، وَالدُّنْيَا وَالْقُصْوَى: تَأْنِيثُ الْأَدْنَى وَالْأَقْصَى.

فَإِنْ قُلْتَ: كِلْتَاهُمَا "فُعْلَى" مِنْ بَنَاتِ الْوَاوِ، فَلِمَ جَاءَتْ إِحْدَاهُمَا بِالْيَاءِ وَالثَّانِيَةُ بِالْوَاوِ؟

قُلْتُ: الْقِيَاسُ هُوَ قَلْبُ الْوَاوِ يَاءً كَالْعُلْيَا، وَأَمَّا الْقُصْوَى: فَكَالْقَوَدِ فِي مَجِيئِهِ عَلَى الْأَصْلِ، وَقَدْ جَاءَ الْقُصْيَا، إِلَّا أَنَّ اسْتِعْمَالَ الْقُصْوَى أَكْثَرُ، كَمَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُ: "اسْتَصْوَبَ" مَعَ مَجِيءِ: "اسْتَصَابَ"، وَ"أُغِيلَتْ" مَعَ: "أَغَالَتْ"، وَالْعُدْوَةُ الدُّنْيَا: مِمَّا يَلِي الْمَدِينَةَ، وَالْقُصْوَى مِمَّا يَلِي مَكَّةَ.

﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾[4]: يَعْنِي الرَّكْبَ الْأَرْبَعِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَقُودُونَ الْعِيرَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ بِالسَّاحِلِ، وَأَسْفَلَ: نُصِبَ عَلَى الظَّرْفِ، مَعْنَاهُ: مَكَانًا أَسْفَلَ مِنْ مَكَانِكُمْ، وَهُوَ مَرْفُوعُ الْمَحَلِّ، لِأَنَّهُ خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا فَائِدَةُ هَذَا التَّوْقِيتِ وَذِكْرِ مَرَاكِزِ الْفَرِيقَيْنِ، "وَأَنَّ الْعِيرَ كَانَتْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ"؟

قُلْتُ: الْفَائِدَةُ فِيهِ: الْإِخْبَارُ عَنِ الْحَالِ الدَّالَّةِ عَلَى قُوَّةِ شَأْنِ الْعَدُوِّ وَشَوْكَتِهِ، وَتَكَامُلِ عُدَّتِهِ، وَتَمَهُّدِ أَسْبَابِ الْغَلَبَةِ لَهُ، وَضَعْفِ شَأْنِ الْمُسْلِمِينَ وَالْتِيَاثِ أَمْرِهِمْ، وَأَنَّ غَلَبَتَهُمْ فِي

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ لَيْسَتْ إِلَّا صُنْعًا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَدَلِيلًا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ يَتَيَسَّرْ إِلَّا بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَبَاهِرِ قُدْرَتِهِ.

وَذَلِكَ أَنَّ الْعُدْوَةَ الْقُصْوَى الَّتِي أَنَاخَ بِهَا الْمُشْرِكُونَ كَانَ فِيهَا الْمَاءُ، وَكَانَتْ أَرْضًا لا بَأْسَ بِهَا وَلا مَاءَ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهِيَ خَبَارٌ تَسُوخُ فِيهَا الْأَرْجُلُ، وَلا يُمْشَى فِيهَا إِلَّا بِتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ، وَكَانَتِ الْعِيرُ وَرَاءَ ظُهُورِ الْعَدُوِّ مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ، فَكَانَتِ الْحِمَايَةُ دُونَهَا، تُضَاعِفُ حَمِيَّتَهُمْ وَتَشْحَذُ فِي الْمُقَاتَلَةِ عَنْهَا نِيَّاتِهِمْ، وَلِهَذَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَخْرُجُ إِلَى الْحَرْبِ بِظُعُنِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، لِيَبْعَثَهُمُ الذَّبُّ عَنِ الْحَرِيمِ وَالْغَيْرَةُ عَلَى الْحَرَمِ عَلَى بَذْلِ جَهِيدَاهُمْ فِي الْقِتَالِ، وَأَنْ لا يَتْرُكُوا وَرَاءَهُمْ مَا يُحَدِّثُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالانْحِيَازِ إِلَيْهِ، فَيَجْمَعُ ذَلِكَ قُلُوبَهُمْ، وَيَضْبُطُ هِمَمَهُمْ، وَيُوَطِّنُ نُفُوسَهُمْ، عَلَى أَنْ لا يَبْرَحُوا مَوَاطِنَهُمْ، وَلا يُخْلُوا مَرَاكِزَهُمْ، وَيَبْذُلُوا مُنْتَهَى نَجْدَتِهِمْ، وَقُصَارَى شِدَّتِهِمْ.

وَفِيهِ تَصْوِيرُ مَا دَبَّرَ –سُبْحَانَهُ– مِنْ أَمْرِ وَقْعَةِ بَدْرٍ، لِيَقْضِيَ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا، مِنْ إِعْزَازِ دِينِهِ، وَإِعْلاءِ كَلِمَتِهِ، حِينَ وَعَدَ الْمُسْلِمِينَ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ مُبْهَمَةً غَيْرَ مُبَيَّنَةٍ، حَتَّى خَرَجُوا لِيَأْخُذُوا الْعِيرَ رَاغِبِينَ فِي الْخُرُوجِ، وَشَخْصٌ بِقُرَيْشٍ مَرْعُوبِينَ مِمَّا بَلَغَهُمْ مَنْ تَعَرُّضِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِأَمْوَالِهِمْ، حَتَّى نَفَرُوا لِيَمْنَعُوا عِيرَهُمْ، وَسَبَّبَ الْأَسْبَابَ حَتَّى أَنَاخَ هَؤُلاءِ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا، وَهَؤُلاءِ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى، وَوَرَاءَهُمُ الْعِيرُ يُحَامُونَ عَلَيْهَا، حَتَّى قَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ وَكَانَ مَا كَانَ.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾[1]: أَنْتُمْ وَأَهْلُ مَكَّةَ وَتَوَاضَعْتُمْ بَيْنَكُمْ عَلَى مَوْعِدٍ تَلْتَقُونَ فِيهِ الْقِتَالَ، لَخَالَفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَثَبَّطَكُمْ قِلَّتُكُمْ وَكَثْرَتُهُمْ عَنِ الْوَفَاءِ بِالْمَوْعِدِ، وَثَبَّطَهُمْ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ تَهَيُّبِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَالْمُسْلِمِينَ، فَلَمْ يَتَّفِقْ لَكُمْ مِنَ التَّلاقِي فِي مَا وَفَّقَهُ اللَّهُ وَسَبَّبَ لَهُ.

﴿لِيَقْضِيَ﴾[2]: مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، أَيْ: لِيَقْضِيَ أَمْرًا كَانَ وَاجِبًا أَنْ يُفْعَلَ، وَهُوَ نَصْرُ أَوْلِيَائِهِ، وَقَهْرُ أَعْدَائِهِ دَبَّرَ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: "لِيُهْلِكَ": بَدَلٌ مِنْهُ، وَاسْتُعِيرَ الْهَلاكُ وَالْحَيَاةُ لِلْكُفْرِ وَالْإِسْلامِ، أَيْ: لِيَصْدُرَ كُفْرُ مَنْ كَفَرَ عَنْ وُضُوحِ بَيِّنَةٍ، لا عَنْ مُخَالَجَةِ شُبْهَةٍ، حَتَّى لا تَبْقَى لَهُ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ،

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

وَيَصْدُرُ إِسْلامُ مَنْ أَسْلَمَ –أَيْضًا– عَنْ يَقِينٍ وَعِلْمٍ بِأَنَّهُ دِينُ الْحَقِّ الَّذِي يَجِبُ الدُّخُولُ فِيهِ وَالتَّمَسُّكُ بِهِ.

وَذَلِكَ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ مِنَ الْآيَاتِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلَةِ الَّتِي مَنْ كَفَرَ بَعْدَهَا كَانَ مُكَابِرًا لِنَفْسِهِ، مُغَالِطًا لَهَا.

وَقُرِئَ: "لِيَهْلَكَ"، بِفَتْحِ اللَّامِ، وَ"حَيَّ"، بِإِظْهَارِ التَّضْعِيفِ.

﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]: يَعْلَمُ كَيْفَ يُدَبِّرُ أُمُورَكُمْ، وَيُسَوِّي مَصَالِحَكُمْ، أَوْ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ بِكُفْرِ مَنْ كَفَرَ وَعِقَابِهِ، وَبِإِيمَانِ مَنْ آمَنَ وَثَوَابِهِ.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[2]

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ﴾[3]: نَصْبُهُ بِإِضْمَارِ اذْكُرْ، أَوْ هُوَ بَدَلٌ ثَانٍ مِنْ يَوْمِ الْفُرْقَانِ، أَوْ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4]، أَيْ: يَعْلَمُ الْمَصَالِحَ إِذْ يُقَلِّلُهُمْ فِي عَيْنِكَ.

﴿فِي مَنَامِكَ﴾[5]: فِي رُؤْيَاكَ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ –عَزَّ وَجَلَّ– أَرَاهُ فِي رُؤْيَاهُ قَلِيلًا، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ أَصْحَابَهُ فَكَانَ تَثْبِيتًا لَهُمْ وَتَشْجِيعًا عَلَى عَدُوِّهِمْ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: فِي مَنَامِكَ: فِي عَيْنِكَ، لِأَنَّهَا مَكَانُ النَّوْمِ، كَمَا قِيلَ لِلْقَطِيفَةِ: الْمَنَامَةُ، لِأَنَّهُ يُنَامُ فِيهَا، وَهَذَا تَفْسِيرٌ فِيهِ تَعَسُّفٌ، وَمَا أَحْسَبُ الرِّوَايَةَ صَحِيحَةً فِيهِ عَنِ الْحَسَنِ، وَمَا يُلَائِمُ عَلَيْهِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ وَفَصَاحَتِهِ.

﴿لَفَشِلْتُمْ﴾[6]: لَجَبُنْتُمْ وَهِبْتُمُ الْإِقْدَامَ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ﴾[1]: فِي الرَّأْيِ، وَتَفَرَّقْتُمْ فِيمَا تَصْنَعُونَ كَلِمَتُكُمْ، وَتَرَجَّحْتُمْ بَيْنَ الثَّبَاتِ وَالْفِرَارِ.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾[2]، أَيْ: عَصَمَ، وَأَنْعَمَ بِالسَّلامَةِ مِنَ الْفَشَلِ، وَالتَّنَازُعِ، وَالاخْتِلافِ.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[3]: يَعْلَمُ مَا سَيَكُونُ فِيهَا مِنَ الْجَرَاءَةِ، وَالْجُبْنِ، وَالصَّبْرِ، وَالْجَزَعِ.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾[4]

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾[5]: الضَّمِيرَانِ مَفْعُولانِ، يَعْنِي: وَإِذْ يُبْصِرُكُمْ إِيَّاهُمْ.

وَ﴿قَلِيلًا﴾[6]: نُصِبَ عَلَى الْحَالِ.

وَإِنَّمَا قَلَّلَهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ تَصْدِيقًا لِرُؤْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلِيُعَايِنُوا مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ فَيَزْدَادَ يَقِينُهُمْ وَيَجِدُّوا وَيُثْبِتُوا.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: لَقَدْ قُلِّلُوا فِي أَعْيُنِنَا حَتَّى قُلْتُ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِي: أَتَرَاهُمْ سَبْعِينَ؟ قَالَ: أَرَاهُمْ مِائَةً، فَأَسَرْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ فَقُلْنَا لَهُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: أَلْفًا.

﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾[7]: حَتَّى قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: إِنَّمَا هُمْ أَكَلَةُ جَزُورٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: الْغَرَضُ فِي تَقْلِيلِ الْكُفَّارِ فِي أَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ ظَاهِرٌ، فَمَا الْغَرَضُ فِي تَقْلِيلِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ؟

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

قُلْتُ: قَدْ قَلَّلَهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ قَبْلَ اللِّقَاءِ، ثُمَّ كَثَّرَهُمْ فِيهَا بَعْدَهُ لِيَجْتَرِئُوا عَلَيْهِمْ، قِلَّةَ مُبَالاةٍ بِهِمْ، ثُمَّ تَفْجَؤُهُمُ الْكَثْرَةُ فَيَبْهَتُوا، وَيَهَابُوا، وَتَفَلَّ شَوْكَتُهُمْ حِينَ يَرَوْنَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِمْ وَتَقْدِيرِهِمْ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾[1]، وَلِئَلَّا يَسْتَعِدُّوا لَهُمْ، وَلِيَعْظُمَ الاحْتِجَاجُ عَلَيْهِمْ بِاسْتِيضَاحِ الْآيَةِ الْبَيِّنَةِ مِنْ قِلَّتِهِمْ أَوَّلًا وَكَثْرَتِهِمْ آخِرًا.

فَإِنْ قُلْتَ: بِأَيِّ طَرِيقٍ يُبْصِرُونَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا؟

قُلْتُ: بِأَنْ يَسْتُرَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَعْضَهُ بِسَاتِرٍ أَوْ يُحْدِثُ فِي عُيُونِهِمْ مَا يَسْتَقِلُّونَ بِهِ الْكَثِيرَ، كَمَا أَحْدَثَ فِي أَعْيُنِ الْحَوَلِ مَا يَرَوْنَ بِهِ الْوَاحِدَ اثْنَيْنِ.

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ: إِنَّ الْأَحْوَلَ يَرَى الْوَاحِدَ اثْنَيْنِ، وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ دِيكٌ وَاحِدٌ فَقَالَ: مَا لِي لا أَرَى هَذَيْنَ الدِّيكَيْنِ أَرْبَعَةً؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2]

﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾[3]: إِذَا حَارَبْتُمْ جَمَاعَةً مِنَ الْكُفَّارِ، وَتَرَكَ أَنْ يَصِفَهَا لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانُوا يَلْقَوْنَ إِلَّا الْكُفَّارَ، وَاللِّقَاءُ اسْمٌ لِلْقِتَالِ غَالِبٌ.

﴿فَاثْبُتُوا﴾[4]: لِقِتَالِهِمْ وَلا تَفِرُّوا.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾[5]: فِي مَوَاطِنِ الْحَرْبِ مُسْتَظْهِرِينَ بِذِكْرِهِ، مُسْتَنْصِرِينَ بِهِ، دَاعِينَ لَهُ عَلَى عَدُوِّكُمْ: اللَّهُمَّ اخْذُلْهُمْ، اللَّهُمَّ اقْطَعْ دَابِرَهُمْ.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[6]: لَعَلَّكُمْ تَظْفَرُونَ بِمُرَادِكُمْ مِنَ النُّصْرَةِ وَالْمَثُوبَةِ، وَفِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ لا يَفْتُرَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ أَشْغَلَ مَا يَكُونُ قَلْبًا وَأَكْثَرَ مَا يَكُونُ هَمًّا، وَأَنْ تَكُونَ

---

[1] سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، الآية 13.

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

نَفْسُهُ مُجْتَمِعَةً لِذَلِكَ، وَإِنْ كَانَتْ مُتَوَزِّعَةً عَنْ غَيْرِهِ، وَنَاهِيكَ بِمَا فِي خُطَبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ – عَلَيْهِ السَّلامُ– فِي أَيَّامِ صِفِّينَ وَفِي مَشَاهِدِهِ مَعَ الْبُغَاةِ وَالْخَوَارِجِ –مِنَ الْبَلاغَةِ، وَالْبَيَانِ، وَلَطَائِفِ الْمَعَانِي، وَبَلِيغَاتِ الْمَوَاعِظِ، وَالنَّصَائِحِ– دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا لا يَشْغَلُهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ شَاغِلٌ، وَإِنْ تَفَاقَمَ الْأَمْرُ.

﴿وَلا تَنَازَعُوا﴾[1]: قُرِئَ بِتَشْدِيدِ النُّونِ.

﴿فَتَفْشَلُوا﴾[2]: مَنْصُوبٌ بِإِضْمَارِ "أَنْ"، أَوْ مَجْزُومٌ لِدُخُولِهِ فِي حُكْمِ النَّهْيِ.

وَتَدُلُّ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[3]: بِالتَّاءِ وَالنَّصْبِ، وَقِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: وَيُذْهِبْ رِيحَكُمْ، بِالْيَاءِ وَالْجَزْمِ.

وَالرِّيحُ: الدَّوْلَةُ، شُبِّهَتْ فِي نُفُوذِ أَمْرِهَا وَتَمَشِّيهِ بِالرِّيحِ وَهُبُوبِهَا، فَقِيلَ: هَبَّتْ رِيَاحُ فُلانٍ، إِذَا دَالَتْ لَهُ الدَّوْلَةُ وَنَفَذَ أَمْرُهُ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ:

يَا صَاحِبَيَّ أَلَّا حَيَّ بِالْوَادِي ... إِلَّا عَبِيدٌ قُعُودٌ بَيْـــــنَ أَذْوَادِ

أَتَنْظِرَانِ قَلِيلًا رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ ... أَمْ تَعْدُوَانِ فَإِنَّ الرِّيحَ لِلْعَادِي؟

وَقِيلَ: لَمْ يَكُنْ نَصْرٌ قَطُّ إِلَّا بِرِيحٍ يَبْعَثُهَا اللَّهُ –تَعَالَى–.

وَفِي الْحَدِيثِ: "نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُّورِ".

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[4]

حَذَّرَهُمْ بِالنَّهْيِ عَنِ التَّنَازُعِ وَاخْتِلافِ الرَّأْيِ نَحْوَ مَا وَقَعَ لَهُمْ بِأُحُدٍ لِمُخَالَفَتِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ فَشَلِهِمْ وَذَهَابِ رِيحِهِمْ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾[1]: هُمْ أَهْلُ مَكَّةَ، حِينَ خَرَجُوا لِحِمَايَةِ الْعِيرِ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ أَبِي سُفْيَانَ، وَهُمْ بِالْجُحْفَةِ: أَنِ ارْجِعُوا فَقَدْ سَلِمَتْ عِيرُكُمْ؛ فَأَبَى أَبُو جَهْلٍ، وَقَالَ: حَتَّى نَقْدَمَ بَدْرًا نَشْرَبُ بِهَا الْخُمُورَ، وَتَعْزِفُ عَلَيْنَا الْقِيَانُ، وَنُطْعِمُ بِهَا مَنْ حَضَرَنَا مِنَ الْعَرَبِ؛ فَذَلِكَ بَطَرُهُمْ وَرِئَاؤُهُمُ النَّاسَ بِإِطْعَامِهِمْ، فَوَافَوْهَا، فَسُقُوا كُؤُسَ الْمَنَايَا مَكَانَ الْخَمْرِ، وَنَاحَتْ عَلَيْهِمُ النَّوَائِحُ مَكَانَ الْقِيَانِ؛ فَنَهَاهُمْ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُمْ بَطِرِينَ طَرِبِينَ مُرَائِينَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَأَنْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى، وَالْكَآبَةِ، وَالْحُزْنِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– مُخْلِصِينَ أَعْمَالَهُمْ لِلَّهِ.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2]

﴿وَ﴾[3]: اذْكُرْ.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾[4]: الَّتِي عَمِلُوهَا فِي مُعَادَاةِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَوَسْوَسَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُمَا لا يُغْلَبُونَ وَلا يُطَاقُونَ، وَأَوْهَمَهُمْ أَنَّ اتِّبَاعَ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَطَاعَتَهُ مِمَّا يُجِيرُهُمْ، فَلَمَّا تَلاقَى الْفَرِيقَانِ نَكَصَ الشَّيْطَانُ وَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ، أَيْ: بَطَلَ كَيْدُهُ حِينَ نَزَلَتْ جُنُودُ اللَّهِ.

وَكَذَا عَنِ الْحَسَنِ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: كَانَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْوَسْوَسَةِ، وَلَمْ يَتَمَثَّلْ لَهُمْ، وَقِيلَ: لَمَّا اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ عَلَى السَّيْرِ، ذَكَرَتِ الَّذِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَنِي كِنَانَةَ مِنَ الْحَرْبِ، فَكَانَ ذَلِكَ يُثْنِيهِمْ، فَتَمَثَّلَ لَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ الشَّاعِرِ الْكِنَانِيِّ –وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ– فِي جُنْدٍ مِنَ الشَّيَاطِينِ مَعَهُ رَايَةٌ، وَقَالَ: لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ، وَإِنِّي مُجِيرُكُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ. فَلَمَّا رَأَى الْمَلائِكَةَ تَنْزِلُ، نَكَصَ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

وَقِيلَ: كَانَتْ يَدُهُ فِي يَدِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَلَمَّا نَكَصَ قَالَ لَهُ الْحَارِثُ: إِلَى أَيْنَ؟ أَتَخْذُلُنَا فِي هَذِهِ الْحَالِ؟ فَقَالَ: إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ، وَدَفَعَ فِي صَدْرِ الْحَارِثِ وَانْطَلَقَ، وَانْهَزَمُوا، فَلَمَّا بَلَغُوا مَكَّةَ، قَالُوا: هَزَمَ النَّاسَ سُرَاقَةُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ سُرَاقَةَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ بِمَسِيرِكُمْ حَتَّى بَلَغَتْنِي هَزِيمَتُكُمْ. فَلَمَّا أَسْلَمُوا، عَلِمُوا أَنَّهُ الشَّيْطَانُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: وَمَا رُؤِيَ إِبْلِيسُ يَوْمًا أَصْغَرَ وَلا أَدْحَرَ، وَلا أَغْيَظَ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، لِمَا يَرَى مِنْ نُزُلِ الرَّحْمَةِ إِلَّا مَا رُؤِيَ يَوْمَ بَدْرٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: لا غَالِبًا لَكُمْ كَمَا يُقَالُ: لا ضَارِبًا زَيْدًا عِنْدَنَا؟

قُلْتُ: لَوْ كَانَ "لَكُمْ": مَفْعُولًا لِغَالِبٍ، بِمَعْنَى: لا غَالِبًا إِيَّاكُمْ، لَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قُلْتَ، لَكِنَّهُ خَبَرٌ تَقْدِيرُهُ: لا غَالِبَ كَائِنٌ لَكُمْ.

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾[2]: بِالْمَدِينَةِ.

﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾[3]: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ صِفَةِ الْمُنَافِقِينَ، وَأَنْ يُرَادَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى حَرْفٍ لَيْسُوا بِثَابِتِي الْأَقْدَامِ فِي الْإِسْلامِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: هُمُ الْمُشْرِكُونَ.

﴿غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ﴾[4]: يَعْنُونَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ اغْتَرُّوا بِدِينِهِمْ وَأَنَّهُمْ يَتَقَوَّوْنَ بِهِ وَيُنْصَرُونَ مِنْ أَجْلِهِ، فَخَرَجُوا وَهُمْ ثَلاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ إِلَى زُهَاءِ أَلْفٍ.

ثُمَّ قَالَ جَوَابًا لَهُمْ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾[5]: غَالِبٌ يُسَلِّطُ الْقَلِيلَ الضَّعِيفَ عَلَى الْكَثِيرِ الْقَوِيِّ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا
عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ
وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[1]

﴿وَلَوْ تَرَى﴾[2]: وَلَوْ عَايَنْتَ وَشَاهَدْتَ، لِأَنَّ "لَوْ" تَرُدُّ الْمُضَارِعَ إِلَى مَعْنَى الْمَاضِي، كَمَا تَرُدُّ "إِنِ" الْمَاضِيَ إِلَى مَعْنَى الاسْتِقْبَالِ.

وَ﴿إِذْ﴾[3]: نُصِبَ عَلَى الظَّرْفِ.

وَقُرِئَ: ﴿يَتَوَفَّى﴾[4] بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ.

وَ﴿الْمَلائِكَةُ﴾[5]: رَفَعَهَا بِالْفِعْلِ.

وَ﴿يَضْرِبُونَ﴾[6]: حَالٌ مِنْهُمْ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي ﴿يَتَوَفَّى﴾[7]: ضَمِيرُ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

وَ﴿الْمَلائِكَةُ﴾[8]: مَرْفُوعَةٌ بِالابْتِدَاءِ.

وَ﴿يَضْرِبُونَ﴾[9]: خَبَرٌ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: وَأَدْبَارُهُمُ: اسْتَاهُهُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُكَنَّى، وَإِنَّمَا خَصُّوهُمَا بِالضَّرْبِ، لِأَنَّ الْخِزْيَ وَالنَّكَالَ فِي ضَرْبِهِمَا أَشَدُّهُ.

وَبَلَغَنِي عَنْ أَهْلِ الصِّينِ أَنَّ عُقُوبَةَ الزَّانِي عِنْدَهُمْ أَنْ يَصْبِرَ، ثُمَّ يُعْطِي الرَّجُلَ الْقَوِيَّ الْبَطْشِ شَيْئًا عُمِلَ مِنْ حَدِيدٍ كَهَيْئَةِ الطَّبَقِ فِيهِ رَزَانَةٌ وَلَهُ مِقْبَضٌ، فَيَضْرِبُهُ عَلَى دُبُرِهِ ضَرْبَةً وَاحِدَةً بِقُوَّتِهِ فَيُجَمَّدُ فِي مَكَانِهِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[8] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[9] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

وَقِيلَ: يَضْرِبُونَ مَا أَقْبَلَ مِنْهُمْ وَمَا أَدْبَرَ.

﴿وَذُوقُوا﴾[1]: مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿يَضْرِبُونَ﴾[2] عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ، أَيْ: وَيَقُولُونَ ذُوقُوا ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[3]، أَيْ: مُقَدِّمَةَ عَذَابِ النَّارِ، أَوْ: وَذُوقُوا عَذَابَ الْآخِرَةِ، بِشَارَةً لَهُمْ بِهِ.

وَقِيلَ: كَانَتْ مَعَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا ضَرَبُوا بِهَا، الْتَهَبَتِ النَّارُ، أَوْ: وَيُقَالُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ذُوقُوا.

وَجَوَابُ "لَوْ": مَحْذُوفٌ، أَيْ: لَرَأَيْتَ أَمْرًا فَظِيعًا مُنْكَرًا.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[4]: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلامِ اللَّهِ، وَمِنْ كَلامِ الْمَلائِكَةِ.

وَ﴿ذَلِكَ﴾[5]: رُفِعَ بِالابْتِدَاءِ؛ وَ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾[6]: خَبَرُهُ؛ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾[7]: عُطِفَ عَلَيْهِ؛ أَيْ: ذَلِكَ الْعَذَابُ بِسَبَبَيْنِ: بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ وَمَعَاصِيكُمْ، وَبِأَنَّ اللَّهَ: ﴿لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[8]، لِأَنَّ تَعْذِيبَ الْكُفَّارِ مِنَ الْعَدْلِ كَإِثَابَةِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَقِيلَ: ظَلَّامٌ لِلتَّكْثِيرِ لِأَجْلِ الْعَبِيدِ، أَوْ لِأَنَّ الْعَذَابَ مِنَ الْعِظَمِ بِحَيْثُ لَوْلا الاسْتِحْقَاقُ لَكَانَ الْمُعَذَّبُ بِمِثْلِهِ ظَلَّامًا بَلِيغَ الظُّلْمِ مُتَفَاقِمَهُ.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾[9]

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

8 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

9 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

الْكَافُ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ، أَيْ: دَأْبُ هَؤُلاءِ مِثْلُ دَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ، وَدَأْبُهُمْ: عَادَتُهُمْ وَعَمَلُهُمُ الَّذِي دَأَبُوا فِيهِ، أَيْ: دَاوَمُوا عَلَيْهِ وَوَاظَبُوا.

وَ﴿كَفَرُوا﴾[1]: تَفْسِيرٌ لِدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ.

وَ﴿ذَلِكَ﴾[2]: إِشَارَةٌ إِلَى مَا حَلَّ بِهِمْ، يَعْنِي: ذَلِكَ الْعَذَابُ أَوِ الانْتِقَامُ بِسَبَبِ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْبَغِ لَهُ، وَلَمْ يَصِحَّ فِي حِكْمَتِهِ أَنْ يُغَيِّرَ نِعْمَتَهُ عِنْدَ قَوْمٍ ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا﴾[3]: بِهِمْ مِنَ الْحَالِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا كَانَ مِنْ تَغْيِيرِ آلِ فِرْعَوْنَ وَمُشْرِكِي مَكَّةَ حَتَّى غَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ حَالٌ مُرْضِيَةٌ فَيُغَيِّرُوهَا إِلَى حَالٍ مَسْخُوطَةٍ؟

قُلْتُ: كَمَا تَغَيَّرَ الْحَالُ الْمُرْضِيَةُ إِلَى الْمَسْخُوطَةِ، تَغَيَّرَ الْحَالُ الْمَسْخُوطَةُ إِلَى أَسْخَطَ مِنْهَا، وَأُولَئِكَ كَانُوا قَبْلَ بِعْثَةِ الرَّسُولِ إِلَيْهِمْ كَفَرَةً عَبَدَةَ أَصْنَامٍ. فَلَمَّا بُعِثَ إِلَيْهِمْ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ فَكَذَّبُوهُ، وَعَادُوهُ، وَتَحَزَّبُوا عَلَيْهِ، سَاعِينَ فِي إِرَاقَةِ دَمِهِ، غَيَّرُوا حَالَهُمْ إِلَى أَسْوَأَ مِمَّا كَانَتْ، فَغَيَّرَ اللَّهُ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِمْهَالِ وَعَاجَلَهُمْ بِالْعَذَابِ.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾[4]: لِمَا يَقُولُ مُكَذِّبُو الرُّسُلِ.

﴿عَلِيمٌ﴾[5] بِمَا يَفْعَلُونَ.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾[6]: تَكْرِيرٌ لِلتَّأْكِيدِ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾[7]: زِيَادَةٌ، دَلالَةً عَلَى كُفْرَانِ النِّعَمِ، وَجُحُودِ الْحَقِّ، وَفِي ذِكْرِ الْإِغْرَاقِ بَيَانٌ لِلْأَخْذِ بِالذُّنُوبِ.

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾[1]: وَكُلُّهُمْ مِنْ غَرْقَى الْقِبْطِ، وَقَتْلَى قُرَيْشٍ كَانُوا ظَالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[2]

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[3]، أَيْ: أَصَرُّوا عَلَى الْكُفْرِ وَلَجُّوا فِيهِ، فَلا يُتَوَقَّعُ مِنْهُمْ إِيمَانٌ وَهُوَ بَنُو قُرَيْظَةَ، عَاهَدَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَلَّا يُمَالِئُوا عَلَيْهِ، فَنَكَثُوا بِأَنْ أَعَانُوا مُشْرِكِي مَكَّةَ بِالسِّلاحِ، وَقَالُوا: نَسِينَا وَأَخْطَأْنَا، ثُمَّ عَاهَدَهُمْ، فَنَكَثُوا وَمَالُوا مَعَهُمْ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، وَانْطَلَقَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ إِلَى مَكَّةَ، فَحَالَفَهُمْ.

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾: بَدَلٌ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، أَيِ: الَّذِينَ عَاهَدْتَهُمْ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا جَعَلَهُمْ شَرَّ الدَّوَابِّ، لِأَنَّ شَرَّ النَّاسِ: الْكُفَّارُ، وَشَرَّ الْكُفَّارِ: الْمُصِرُّونَ مِنْهُمْ، وَشَرَّ الْمُصِرِّينَ: النَّاكِثُونَ لِلْعُهُودِ.

﴿وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾[4]: لا يَخَافُونَ عَاقِبَةَ الْغَدْرِ، وَلا يُبَالُونَ مَا فِيهِ مِنَ الْعَارِ وَالنَّارِ.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾[5]: فَإِمَّا تُصَادِفَنَّهُمْ وَتَظْفَرَنَّ بِهِمْ.

﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾[6]: فَفَرِّقْ عَنْ مُحَارَبَتِكَ، وَمُنَاصِبَتِكَ بِقَتْلِهِمْ شَرَّ قِتْلَةٍ وَالنِّكَايَةِ فِيهِمْ، مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنَ الْكَفَرَةِ، حَتَّى لا يَجْسُرَ عَلَيْكَ بَعْدَهُمْ أَحَدٌ، اعْتِبَارًا بِهِمْ وَاتِّعَاظًا بِحَالِهِمْ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "فَشَرِّذْ"، بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ، بِمَعْنَى: فَفَرِّقْ، وَكَأَنَّهُ مَقْلُوبُ "شَذَرَ" مِنْ قَوْلِهِمْ: "ذَهَبُوا شَذَرَ مَذَرَ"، وَمِنْهُ: الشَّذَرُ: الْمُتَلَقَّطُ مِنَ الْمَعْدِنِ لِتَفَرُّقِهِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

وَقَرَأَ أَبُو حَيْوَةَ: مِنْ خَلْفِهِمْ.

وَمَعْنَاهُ: فَافْعَلِ التَّشْرِيدَ مِنْ وَرَائِهِمْ، لِأَنَّهُ إِذَا شَرَدَ الَّذِينَ وَرَاءَهُمْ، فَقَدْ فَعَلَ التَّشْرِيدُ فِي الْوَرَاءِ وَأَوْقَعَهُ فِيهِ، لِأَنَّ الْوَرَاءَ جِهَةُ الْمُشَرَّدِينَ، فَإِذَا جُعِلَ الْوَرَاءُ ظَرْفًا لِلتَّشْرِيدِ، فَقَدْ دَلَّ عَلَى تَشْرِيدِ مَنْ فِيهِ، فَلَمْ يَبْقَ فَرْقٌ بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[1]: لَعَلَّ الْمُشَرَّدِينَ مِنْ وَرَائِهِمْ يَتَّعِظُونَ.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[2]

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ﴾[3]: مُعَاهِدِينَ.

﴿خِيَانَةً﴾[4]: وَنَكْثًا بِأَمَارَاتٍ تَلُوحُ لَكَ.

﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾[5]: فَاطْرَحْ إِلَيْهِمُ الْعَهْدَ.

﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾[6]: عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَوٍ قُصِدَ، وَذَلِكَ أَنْ تُظْهِرَ لَهُمْ نَبْذَ الْعَهْدِ، وَتُخْبِرَهُمْ إِخْبَارًا مَكْشُوفًا بَيِّنًا أَنَّكَ قَطَعْتَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَلا تُنَاجِزَهُمُ الْحَرْبَ وَهُمْ عَلَى تَوَهُّمِ بَقَاءِ الْعَهْدِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ خِيَانَةً مِنْكَ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[7]: فَلا يَكُنْ مِنْكَ إِخْفَاءُ نَكْثِ الْعَهْدِ، وَالْخِدَاعُ.

وَقِيلَ: عَلَى اسْتِوَاءٍ فِي الْعِلْمِ بِنَقْضِ الْعَهْدِ، وَقِيلَ: عَلَى اسْتِوَاءٍ فِي الْعَدَاوَةِ، وَالْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ ثَابِتًا عَلَى طَرِيقِ قَصْدٍ سَوِيٍّ، أَوْ خَاصِلِينَ عَلَى اسْتِوَاءٍ فِي الْعِلْمِ أَوِ الْعَدَاوَةِ، عَلَى أَنَّهَا حَالٌ مِنَ النَّابِذِ وَالْمَنْبُوذِ إِلَيْهِمْ مَعًا.

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ﴾[1]

﴿سَبَقُوا﴾[2]: أَفْلَتُوا وَفَاتُوا مِنْ أَنْ يُظْفَرَ بِهِمْ.

﴿إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ﴾[3]: إِنَّهُمْ لا يُفَوِّتُونَ وَلا يَجِدُونَ طَالِبَهُمْ عَاجِزًا عَنْ إِدْرَاكِهِمْ.

وَقُرِئَ: "أَنَّهُمْ"، بِالْفَتْحِ، بِمَعْنَى: لِأَنَّهُمْ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْمَكْسُورَةِ وَالْمَفْتُوحَةِ تَعْلِيلٌ، إِلَّا أَنَّ الْمَكْسُورَةَ عَلَى طَرِيقَةِ الاسْتِئْنَافِ، وَالْمَفْتُوحَةَ تَعْلِيلٌ صَرِيحٌ.

وَقُرِئَ: "يُعَجِّزُونَ"، بِالتَّشْدِيدِ.

وَقَرَأَ ابْنُ مُحَيْصِنٍ: "يُعْجِزُونِ"، بِكَسْرِ النُّونِ.

وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: "وَلا تَحْسَبِ الَّذِينَ كَفَرُوا"، بِكَسْرِ الْبَاءِ وَبِفَتْحِهَا، عَلَى حَذْفِ النُّونِ الْخَفِيفَةِ.

وَقَرَأَ حَمْزَةُ: "وَلا يَحْسَبَنَّ" بِالْيَاءِ عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ لِلَّذِينِ كَفَرُوا.

وَقِيلَ فِيهِ: أَصْلُهُ أَنْ سَبَقُوا، فَحُذِفَتْ "أَنْ"، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾[4].

وَاسْتُدِلَّ عَلَيْهِ بِقِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: أَنَّهُمْ سُبِقُوا.

وَقِيلَ: وَقَعَ الْفِعْلُ عَلَى أَنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ، عَلَى أَنَّ "لا" صِلَةٌ، وَسَبَقُوا فِي مَحَلِّ الْحَالِ، بِمَعْنَى: سَابِقِينَ، أَيْ: مُفْلِتِينَ هَارِبِينَ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: وَلا يَحْسَبَنَّهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا، فَحُذِفَ الضَّمِيرُ، لِكَوْنِهِ مَفْهُومًا.

وَقِيلَ: "وَلا يَحْسَبَنَّ" قَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا، وَهَذِهِ الْأَقَاوِيلُ كُلُّهَا مُتَمَحِّلَةٌ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ الَّتِي تَفَرَّدَ بِهَا حَمْزَةُ بِنَيِّرَةٍ.

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيمَنْ أَفْلَتَ مِنْ فَلِّ الْمُشْرِكِينَ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الرُّومِ، الآية 24.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾[1]

﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾[2]: مِنْ كُلِّ مَا يُتَقَوَّى بِهِ فِي الْحَرْبِ مِنْ عَدَدِهَا.

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: "أَلا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ" قَالَهَا ثَلاثًا، وَمَاتَ عُقْبَةُ عَنْ سَبْعِينَ قَوْسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَعَنْ عِكْرِمَةَ: هِيَ الْحُصُونُ، وَالرِّبَاطُ: اسْمٌ لِلْخَيْلِ الَّتِي تُرْبَطُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى بِالرِّبَاطِ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الْمُرَابَطَةِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ رَبِيطٍ كَفَصِيلٍ وَفِصَالٍ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "وَمِنْ رَبْطِ الْخَيْلِ"، بِضَمِّ الْبَاءِ وَسُكُونِهَا جَمْعُ رِبَاطٍ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾[3]: تَخْصِيصًا لِلْخَيْلِ مِنْ بَيْنِ مَا يُتَقَوَّى بِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[4].

وَعَنِ ابْنِ سِيرِينَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: أَنَّهُ سُئِلَ عَمَّنْ أَوْصَى بِثُلُثِ مَالِهِ فِي الْحُصُونِ؟ فَقَالَ: يَشْتَرِي بِهِ الْخَيْلَ، فَتُرَابِطُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُغْزِي عَلَيْهَا، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّمَا أَوْصَى فِي الْحُصُونِ، فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

أَنَّ الْحُصُونَ الْخَيْلُ لا مَدَرُ الْقُرَى

﴿تُرْهِبُونَ﴾[5]: قُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ.

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: "تُخْزُونَ".

وَالضَّمِيرُ فِي: ﴿بِهِ﴾[6]: رَاجِعٌ إِلَى مَا اسْتَطَعْتُمْ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الآية 98.

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1]: هُمْ أَهْلُ مَكَّةَ.

﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾[2]: هُمُ الْيَهُودُ، وَقِيلَ: الْمُنَافِقُونَ.

وَعَنِ السُّدِّيِّ: هُمْ أَهْلُ فَارِسَ، وَقِيلَ: كَفَرَةُ الْجِنِّ، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَقْرَبُ صَاحِبَ فَرَسٍ وَلا دَارًا فِيهَا فَرَسٌ عَتِيقٌ"، وَرُوِيَ أَنَّ صَهِيلَ الْخَيْلِ يُرْهِبُ الْجِنَّ.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[3]

جَنَحَ لَهُ وَإِلَيْهِ: إِذَا مَالَ، وَالسَّلْمُ تُؤَنَّثُ تَأْنِيثَ نَقِيضِهَا وَهِيَ الْحَرْبُ.

قَالَ:

السِّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيتَ بِهِ وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرَعُ

وَقُرِئَ: بِفَتْحِ السِّينِ وَكَسْرِهَا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَنَّ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[4].

وَعَنْ مُجَاهِدٍ بِقَوْلِهِ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾[5].

وَالصَّحِيحُ: أَنَّ الْأَمْرَ مَوْقُوفٌ عَلَى مَا يَرَى فِيهِ الْإِمَامُ صَلاحَ الْإِسْلامِ وَأَهْلِهِ مِنْ حَرْبٍ أَوْ سِلْمٍ، وَلَيْسَ بِحَتْمٍ أَنْ يُقَاتِلُوا أَبَدًا، أَوْ يُجَابُوا إِلَى الْهُدْنَةِ أَبَدًا.

وَقَرَأَ الْأَشْهَبُ الْعُقَيْلِيُّ: "فَاجْنَحْ " بِضَمِّ النُّونِ.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[6]: وَلا تَخَفْ مِنْ إِبْطَانِهِمُ الْمَكْرَ فِي جُنُوحِهِمْ إِلَى السِّلْمِ، فَإِنَّ اللَّهَ كَافِيكَ وَعَاصِمُكَ مِنْ مَكْرِهِمْ وَخَدِيعَتِهِمْ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: يُرِيدُ قُرَيْظَةَ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ التَّوْبَةِ، الآية 29.

[5] سُورَةُ التَّوْبَةِ، الآية 29.

[6] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]

﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾[2]: فَإِنَّ مَحْسَبَكَ اللَّهُ.

قَالَ جَرِيرٌ:

إِنِّي وَجَدْتُ مِنَ الْمَكَارِمِ حَسْبَكُمْ أَنْ تَلْبَسُوا خَزَّ الثِّيَابِ وَتَشْبَعُوا

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾[3]: التَّأْلِيفُ بَيْنَ قُلُوبِ مَنْ بُعِثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنَ الآيَاتِ الْبَاهِرَةِ، لِأَنَّ الْعَرَبَ –لِمَا فِيهِمْ مِنَ الْحَمِيَّةِ وَالْعَصَبِيَّةِ، وَالانْطِوَاءِ عَلَى الضَّغِينَةِ فِي أَدْنَى شَيْءٍ وَإِلْقَائِهِ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ إِلَى أَنْ يَنْتَقِمُوا– لا يَكَادُ يَأْتَلِفُ مِنْهُمْ قَلْبَانِ، ثُمَّ ائْتَلَفَتْ قُلُوبُهُمْ عَلَى اتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَاتَّحَدُوا، وَأَنْشَؤُوا يَرْمُونَ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَذَلِكَ لِمَا نَظَّمَ اللَّهُ مِنْ أُلْفَتِهِمْ وَجَمَعَ مِنْ كَلِمَتِهِمْ، وَأَحْدَثَ بَيْنَهُمْ مِنَ التَّحَابِّ وَالتَّوَادِّ، وَأَمَاطَ عَنْهُمْ مِنَ التَّبَاغُضِ وَالتَّمَاقُتِ، وَكَلَّفَهُمْ مِنَ الْحُبِّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضِ فِي اللَّهِ، وَلا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مَنْ يَمْلِكُ الْقُلُوبَ، فَهُوَ يُقَلِّبُهَا كَمَا شَاءَ، وَيَصْنَعُ فِيهَا مَا أَرَادَ.

وَقِيلَ: هُمُ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْحُرُوبِ وَالْوَقَائِعِ مَا أَهْلَكَ سَادَتَهُمْ وَرُؤَسَاءَهُمْ، وَدَقَّ جَمَاجِمَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ لِبَغْضَائِهِمْ أَمَدٌ وَمُنْتَهًى، وَبَيْنَهُمَا التَّجَاوُرُ الَّذِي يُهَيِّجُ الضَّغَائِنَ وَيُدِيمُ التَّحَاسُدَ وَالتَّنَافُسَ، وَعَادَةً كُلُّ طَائِفَتَيْنِ كَانَتَا بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ أَنْ تَتَجَنَّبَ هَذِهِ مَا آثَرَتْهُ أُخْتُهَا وَتَكْرَهَهُ وَتَنْفِرَ عَنْهُ، فَأَنْسَاهُمُ اللَّهُ –تَعَالَى– ذَلِكَ كُلَّهُ حَتَّى اتَّفَقُوا عَلَى الطَّاعَةِ، وَتَصَافُّوا، وَصَارُوا أَنْصَارًا، وَعَادُوا أَعْوَانًا، وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِلَطِيفِ صُنْعِهِ وَبَلِيغِ قُدْرَتِهِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]

﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾[2]: الْوَاوُ بِمَعْنَى: مَعَ وَمَا بَعْدَهُ مَنْصُوبٌ، تَقُولُ: حَسْبُكَ وَزَيْدًا دِرْهَمٌ، وَلا تُجَرُّ، لِأَنَّ عَطْفَ الظَّاهِرِ الْمَجْرُورِ عَلَى الْمُكَنَّى مُمْتَنِعٌ.

قَالَ:

.....فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكَ سَيْفٌ مُهَنَّدُ

وَالْمَعْنَى: كَفَاكَ وَكَفَى أَتْبَاعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ نَاصِرًا أَوْ يَكُونُ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ، أَيْ: كَفَاكَ اللَّهُ وَكَفَاكَ الْمُؤْمِنُونَ، وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ بِالْبَيْدَاءِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ قَبْلَ الْقِتَالِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: نَزَلَتْ فِي إِسْلامِ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ أَسْلَمَ مَعَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ثَلاثَةٌ وَثَلاثُونَ رَجُلًا وَسِتُّ نِسْوَةٍ ثُمَّ أَسْلَمَ عُمَرُ ، فَنَزَلَتْ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3]

التَّحْرِيضُ: الْمُبَالَغَةُ فِي الْحَثِّ عَلَى الْأَمْرِ مِنَ الْحَرَضِ، وَهُوَ أَنْ يُنْهِكَهُ الْمَرَضُ، وَيَتَبَالَغَ فِيهِ حَتَّى يَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ، أَوْ أَنْ تُسَمِّيَهُ حَرَضًا، وَتَقُولَ لَهُ: مَا أَرَاكَ إِلَّا حَرَضًا فِي هَذَا الْأَمْرِ وَمُمَرَّضًا فِيهِ، لِيُهَيِّجَهُ وَيُحَرِّكَ مِنْهُ، وَيُقَالُ: حَرَّكَهُ، وَحَرَّضَهُ، وَحَرَّصَهُ، وَحَرَّشَهُ، وَحَرَّبَهُ، بِمَعْنًى.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

وَقُرِئَ "حَرِّصْ"، بِالصَّادِ غَيْرِ الْمُعْجَمَةِ، حَكَاهَا الْأَخْفَشُ، مِنَ الْحِرْصِ، وَهَذِهِ عِدَةٌ مِنَ اللَّهِ، وَبِشَارَةٌ بِأَنَّ الْجَمَاعَةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ صَبَرُوا غَلَبُوا عَشْرَةَ أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ بِعَوْنِ اللَّهِ -تَعَالَى- وَتَأْيِيدِهِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾[1]، أَيْ: بِسَبَبِ أَنَّ الْكُفَّارَ قَوْمٌ جَهَلَةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى غَيْرِ احْتِسَابٍ وَطَلَبِ ثَوَابٍ كَالْبَهَائِمِ، فَيَقِلُّ ثَبَاتُهُمْ، وَيَعْدَمُونَ لِجَهْلِهِمْ بِاللَّهِ نُصْرَتَهُ، وَيَسْتَحِقُّونَ خِذْلانَهُ، خِلافَ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَمَعَهُ مَا يَسْتَوْجِبُ بِهِ النَّصْرَ وَالْإِظْهَارَ مِنَ اللَّهِ -تَعَالَى-.

وَعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ: كَانَ عَلَيْهِمْ أَلَّا يَفِرُّوا وَيَثْبُتَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لِلْعَشَرَةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعَثَ حَمْزَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فِي ثَلاثِينَ رَاكِبًا، فَلَقِيَ أَبَا جَهْلٍ فِي ثَلاثِمِائَةِ رَاكِبٍ، قِيلَ: ثُمَّ ثَقُلَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَضَجُّوا مِنْهُ، وَذَلِكَ بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، فَنُسِخَ وَخُفِّفَ عَنْهُمْ بِمُقَاوَمَةِ الْوَاحِدِ الاثْنَيْنِ، وَقِيلَ: كَانَ فِيهِمْ قِلَّةٌ فِي الابْتِدَاءِ، ثُمَّ لَمَّا كَثُرُوا بَعْدَ نُزُولِ التَّخْفِيفِ.

وَقُرِئَ: "ضَعْفًا"، بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ، كَالْمُكْثِ وَالْمَكْثِ، وَالْفُقْرِ وَالْفَقْرِ.

وَ"ضُعْفًا": جَمْعُ ضَعِيفٍ، وَقُرِئَ: الْفِعْلُ الْمُسْنَدُ إِلَى الْمِائَةِ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ، وَالْمُرَادُ بِالضَّعْفِ: الضَّعْفُ فِي الْبَدَنِ، وَقِيلَ: فِي الْبَصِيرَةِ وَالاسْتِقَامَةِ فِي الدِّينِ، وَكَانُوا مُتَفَاوِتِينَ فِي ذَلِكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ كَرَّرَ الْمَعْنَى الْوَاحِدَ وَهُوَ مُقَاوَمَةُ الْجَمَاعَةِ لِأَكْثَرَ مِنْهَا مَرَّتَيْنِ قَبْلَ التَّخْفِيفِ وَبَعْدَهُ؟

قُلْتُ: لِلدَّلالَةِ عَلَى أَنَّ الْحَالَ مَعَ الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ وَاحِدَةٌ لا تَتَفَاوَتُ، لِأَنَّ الْحَالَ قَدْ تَتَفَاوَتُ بَيْنَ مُقَاوَمَةِ الْعِشْرِينَ الْمِائَتَيْنِ وَالْمِائَةَ الْأَلْفَ، وَكَذَلِكَ بَيْنَ مُقَاوَمَةِ الْمِائَةِ الْمِائَتَيْنِ وَالْأَلْفِ الْأَلْفَيْنِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1]

وَقُرِئَ: "لِلنَّبِيِّ"، عَلَى التَّعْرِيفِ، وَ"أُسَارَى"، وَ"يُثَخِّنَ"، بِالتَّشْدِيدِ، وَمَعْنَى الْإِثْخَانِ: كَثْرَةُ الْقَتْلِ وَالْمُبَالَغَةُ فِيهِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَثْخَنَتْهُ الْجِرَاحَاتُ: إِذَا أَثْبَتَتْهُ حَتَّى تَثْقُلَ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ، وَأَثْخَنَهُ الْمَرَضُ: إِذَا أَثْقَلَهُ مِنَ الثَّخَانَةِ الَّتِي هِيَ الْغِلَظُ وَالْكَثَافَةُ، يَعْنِي: حَتَّى يُذِلَّ الْكُفْرَ وَيُضْعِفَهُ بِإِشَاعَةِ الْقَتْلِ فِي أَهْلِهِ، وَيُعِزَّ الْإِسْلامَ وَيُقَوِّيَهِ بِالاسْتِيلاءِ وَالْقَهْرِ، ثُمَّ الْأَسْرُ بَعْدَ ذَلِكَ. وَمَعْنَى:

"وَمَا كَانَ": مَا صَحَّ لَهُ وَمَا اسْتَقَامَ، وَكَانَ هَذَا يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَمَّا كَثُرَ الْمُسْلِمُونَ نَزَلَ: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾[2].

وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُتِيَ بِسَبْعِينَ أَسِيرًا فِيهِمُ الْعَبَّاسُ عَمُّهُ، وَعَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَاسْتَشَارَ أَبَا بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِمْ-، فَقَالَ: قَوْمُكَ وَأَهْلُكَ اسْتَبْقِهِمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، وَخُذْ مِنْهُمْ فِدْيَةً تُقَوِّي بِهَا أَصْحَابَكَ، وَقَالَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: كَذَّبُوكَ وَأَخْرَجُوكَ فَقَدِّمْهُمْ وَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ، فَإِنَّ هَؤُلاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ، وَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَاكَ عَنِ الْفِدَاءِ: مَكِّنْ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ، وَحَمْزَةَ مِنَ الْعَبَّاسِ، وَمَكِّنِّي مِنْ فُلانٍ لِنَسِيبٍ لَهُ، فَلْنَضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ، فَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِنَّ اللَّهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُشَدِّدَ قُلُوبَ رِجَالٍ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ مَثَلُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: "فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "، وَمَثَلَكَ يَا عُمَرُ مَثَلُ نُوحٍ، قَالَ: "رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا"، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: "أَنْتُمُ الْيَوْمَ عَالَةٌ فَلا يَفْلِتَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا بِفِدَاءٍ أَوْ ضَرْبِ عُنُقٍ".

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ مُحَمَّدٍ، الآية .

وَرُوِيَ: أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: "إِنْ شِئْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَادَيْتُمُوهُمْ، وَاسْتُشْهِدَ مِنْكُمْ بِعِدَّتِهِمْ"، فَقَالُوا: بَلْ نَأْخُذُ الْفِدَاءَ، فَاسْتُشْهِدُوا بِأُحُدٍ، وَكَانَ فَدَاءُ الْأَسَارَى عِشْرِينَ أُوقِيَّةً، وَفِدَاءُ الْعَبَّاسِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ: كَانَ فِدَاؤُهُمْ مِائَةَ أُوقِيَّةٍ، وَالْأُوقِيَّةُ: أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا وَسِتَّةُ دَنَانِيرَ.

وَرُوِيَ: "أَنَّهُمْ لَمَّا أَخَذُوا الْفِدَاءَ، نَزَلَتِ الْآيَةُ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَإِذَا هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ يَبْكِيَانِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بِكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ، فَقَالَ: "أَبْكِي عَلَى أَصْحَابِكَ فِي أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، وَلَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ – لِشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ".

وَرُوِيَ أَنَّهُ قَالَ: "لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ مِنَ السَّمَاءِ لَمَا نَجَا مِنْهُ غَيْرُ عُمَرَ وَسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– لِقَوْلِهِ: كَانَ الْإِثْخَانُ فِي الْقَتْلِ أَحَبَّ إِلَيَّ".

﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾[1]: حُطَامَهَا، سُمِّيَ بِذَلِكَ، لِأَنَّهُ حَدَثٌ قَلِيلُ اللُّبْثِ، يُرِيدُ: الْفِدَاءَ.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾[2]، يَعْنِي: مَا هُوَ سَبَبُ الْجَنَّةِ مِنْ إِعْزَازِ الْإِسْلَامِ بِالْإِثْخَانِ فِي الْقَتْلِ.

وَقُرِئَ: "يُرِيدُونَ"، بِالْيَاءِ، وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: "وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ"، بِجَرِّ الْآخِرَةِ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ، وَإِبْقَاءِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ عَلَى حَالِهِ، كَقَوْلِهِ:

أَكُلَّ امْرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرَأً وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارَا

وَمَعْنَاهُ: وَاللَّهُ يُرِيدُ عَرَضَ الْآخِرَةِ، عَلَى التَّقَابُلِ، يَعْنِي: ثَوَابَهَا.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾[3]: يُغْلِبُ أَوْلِيَاءَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَيَتَمَكَّنُونَ مِنْهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا وَيُطْلَقُ لَهُمُ الْفِدَاءُ، وَلَكِنَّهُ: ﴿حَكِيمٌ﴾[4]: يُؤَخِّرُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَكْثُرُوا وَيَعِزُّوا وَهُمْ يَعْجَلُونَ.

﴿لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾[5]: لَوْلا حُكْمٌ مِنْهُ سَبَقَ إِثْبَاتُهُ فِي اللَّوْحِ، وَهُوَ أَنَّهُ لا يُعَاقَبُ أَحَدٌ بِخَطَأٍ، وَكَانَ هَذَا خَطَأً فِي الاجْتِهَادِ، لِأَنَّهُمْ نَظَرُوا فِي أَنَّ اسْتِبْقَاءَهُمْ رُبَّمَا كَانَ

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

سَبَبًا فِي إِسْلامِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ، وَأَنَّ فِدَاءَهُمْ يُتَقَوَّى بِهِ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَخَفِيَ عَلَيْهِمْ أَنَّ قَتْلَهُمْ أَعَزُّ لِلْإِسْلامِ، وَأَهْيَبُ لِمَنْ وَرَاءَهُمْ، وَأَفَلُّ لِشَوْكَتِهِمْ.

وَقِيلَ: كِتَابُهُ أَنَّهُ سَيُحِلُّ لَهُمُ الْفِدْيَةَ الَّتِي أَخَذُوهَا.

وَقِيلَ: إِنَّ أَهْلَ بَدْرٍ مَغْفُورٌ لَهُمْ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ لا يُعَذِّبُ قَوْمًا إِلَّا بَعْدَ تَأْكِيدِ الْحُجَّةِ، وَتَقْدِيمِ النَّهْيِ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْ نَهْيٌ عَنْ ذَلِكَ.

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾[1]: رُوِيَ أَنَّهُمْ أَمْسَكُوا عَنِ الْغَنَائِمِ، وَلَمْ يَمُدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْهَا، فَنَزَلَتْ.

وَقِيلَ: هُوَ إِبَاحَةٌ لِلْفِدَاءِ، لِأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ الْغَنَائِمِ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[2]: فَلا تُقْدِمُوا عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَعْهَدْ إِلَيْكُمْ فِيهِ.

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3]

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى الْفَاءِ؟

قُلْتُ: التَّسْبِيبُ، وَالسَّبَبُ مَحْذُوفٌ، مَعْنَاهُ: قَدْ أَبَحْتُ لَكُمُ الْغَنَائِمَ، فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ.

وَ﴿حَلالًا﴾[4]: نُصِبَ عَلَى الْحَالِ مِنَ الْمَغْنُومِ، أَوْ صِفَةٌ لِلْمَصْدَرِ، أَيْ: أَكْلًا حَلالًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[5]، مَعْنَاهُ: أَنَّكُمْ إِذَا اتَّقَيْتُمُوهُ بَعْدَ مَا فَرَطَ مِنْكُمْ مِنِ اسْتِبَاحَةِ الْفِدَاءِ قَبْلَ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ فِيهِ، غَفَرَ لَكُمْ وَرَحِمَكُمْ وَتَابَ عَلَيْكُمْ.

---

1 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]

﴿فِي أَيْدِيكُمْ﴾[2]: فِي مِلْكِيكُمْ، كَأَنَّ أَيْدِيَكُمْ قَابِضَةٌ عَلَيْهِمْ.

وَقُرِئَ: "مِنَ الْأَسْرَى".

﴿فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾[3]: خُلُوصُ إِيمَانٍ وَصِحَّةُ نِيَّةٍ.

﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾[4]: مِنَ الْفِدَاءِ، إِمَّا أَنْ يُخَلِّفَكُمْ فِي الدُّنْيَا أَضْعَافَهُ، أَوْ يُثِيبَكُمْ فِي الْآخِرَةِ.

وَفِي قِرَاءَةِ الْأَعْمَشِ: "يُثِبْكُمْ خَيْرًا".

وَعَنِ الْعَبَّاسِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ قَالَ: "كُنْتُ مُسْلِمًا، لَكِنَّهُمُ اسْتَكْرَهُونِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "إِنْ يَكُنْ مَا تَذْكُرُهُ حَقًّا فَاللَّهُ يَجْزِيكَ". فَأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ، فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا وَكَانَ أَحَدُ الَّذِينَ ضَمَّنُوا إِطْعَامَ أَهْلِ بَدْرٍ وَخَرَجَ بِالذَّهَبِ لِذَلِكَ".

وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ لِلْعَبَّاسِ: "افْدِ ابْنَيْ أَخِيكَ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ"، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، تَرَكْتَنِي أَتَكَفَّفُ قُرَيْشًا مَا بَقِيتُ، فَقَالَ لَهُ: "فَأَيْنَ الذَّهَبُ الَّذِي دَفَعْتَهُ إِلَى أُمِّ الْفَضْلِ وَقْتَ خُرُوجِكَ مِنْ مَكَّةَ وَقُلْتَ لَهَا: لا أَدْرِي مَا يُصِيبُنِي فِي وَجْهِي هَذَا. فَإِنْ حَدَثَ بِي حَدَثٌ، فَهُوَ لَكِ وَلِعَبْدِ اللَّهِ وَعُبَيْدِ اللَّهِ وَالْفَضْلِ"، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ قَالَ: "أَخْبَرَنِي بِهِ رَبِّي".

قَالَ الْعَبَّاسُ: فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ صَادِقٌ، وَأَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهِ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَقَدْ دَفَعْتُهُ إِلَيْهَا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ، وَلَقَدْ كُنْتُ مُرْتَابًا فِي أَمْرِكَ، فَأَمَّا إِذْ أَخْبَرْتَنِي بِذَلِكَ فَلا رَيْبَ.

قَالَ الْعَبَّاسُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: فَأَبْدَلَنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ، لِيَ الْآنَ عِشْرُونَ عَبْدًا، إِنَّ أَدْنَاهُمْ لَيَضْرِبُ فِي عِشْرِينَ أَلْفًا، وَأَعْطَانِي زَمْزَمَ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا جَمِيعَ أَمْوَالِ أَهْلِ مَكَّةَ، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْمَغْفِرَةَ مِنْ رَبِّي.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

وَرُوِيَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَالُ الْبَحْرِينِ ثَمَانُونَ أَلْفًا، فَتَوَضَّأَ لِصَلاةِ الظُّهْرِ، وَمَا صَلَّى حَتَّى فَرَّقَهُ. وَأَمَرَ الْعَبَّاسَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ مَا قَدَرَ عَلَى حَمْلِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: هَذَا خَيْرٌ مِمَّا أُخِذَ مِنِّي وَأَرْجُو الْمَغْفِرَةَ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَشَيْبَةُ: "مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ"، عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1]

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾[2]: نَكْثَ مَا بَايَعُوكَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِسْلامِ، وَالرِّدَّةِ وَاسْتِحْبَابِ دِينِ آبَائِهِمْ.

﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾[3]: فِي كُفْرِهِمْ بِهِ، وَنَقْضِ مَا أُخِذَ عَلَى كُلِّ عَاقِلٍ مِنْ مِيثَاقِهِ.

﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾[4]، كَمَا رَأَيْتُمْ يَوْمَ بَدْرٍ فَسَيُمَكِّنُ مِنْهُمْ إِنْ أَعَادُوا الْخِيَانَةَ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْخِيَانَةِ: مَنْعُ مَا ضَمِنُوا مِنَ الْفِدَاءِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[5]

الَّذِينَ هَاجَرُوا، أَيْ: فَارَقُوا أَوْطَانَهُمْ، وَقَوْمَهُمْ، حُبًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ: هُمُ الْمُهَاجِرُونَ.

وَالَّذِي آوَوْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ وَنَصَرُوهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ: هُمُ الْأَنْصَارُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[1]، أَيْ: يَتَوَلَّى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْمِيرَاثِ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَتَوَارَثُونَ بِالْهِجْرَةِ وَالنَّصْرِ دُونَ ذَوِي الْقَرَابَاتِ، حَتَّى نُسِخَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾[2].

وَقُرِئَ: "مِنْ وِلايَتِهِمْ"، بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ، أَيْ: مِنْ تَوَلِّيهِمْ فِي الْمِيرَاثِ.

وَوَجْهُ الْكَسْرِ: أَنَّ تَوَلِّيَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا شُبِّهَ بِالْعَمَلِ وَالصِّنَاعَةِ، كَأَنَّهُ بِتَوَلِّيهِ صَاحِبَهُ يُزَاوِلُ أَمْرًا وَيُبَاشِرُ عَمَلًا.

﴿فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾[3]: فَوَاجِبٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْصُرُوهُمْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ.

﴿إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ: مِنْهُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ﴾[4]: عَهْدٌ فَإِنَّهُ لا يَجُوزُ لَكُمْ نَصْرُهُمْ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُمْ لا يَبْتَدِئُونَ بِالْقِتَالِ، إِذِ الْمِيثَاقُ مَانِعٌ مِنْ ذَلِكَ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[5]

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[6]: ظَاهِرُهُ إِثْبَاتُ الْمُوَالاةِ بَيْنَهُمْ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى– فِي الْمُسْلِمِينَ: ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[7].

وَمَعْنَاهُ: نَهَى الْمُسْلِمِينَ عَنْ مُوَالاةِ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَمُوَارَثَتِهِمْ، وَإِيجَابِ مُبَاعَدَتِهِمْ وَمُصَارَمَتِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا أَقَارِبَ، وَأَنْ يُتْرَكُوا يَتَوَارَثُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِلاّ تَفْعَلُوهُ﴾[8]، أَيْ: إِلَّا تَفْعَلُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ تَوَاصُلِ الْمُسْلِمِينَ وَتَوَلِّي بَعْضِهِمْ بَعْضًا حَتَّى فِي التَّوَارُثِ، تَفْضِيلًا لِنِسْبَةِ الْإِسْلامِ عَلَى نِسْبَةِ الْقَرَابَةِ، وَلَمْ تَقْطَعُوا

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية 75.

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية 72.

[8] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

الْعَلائِقَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْكُفَّارِ، وَلَمْ تَجْعَلُوا قَرَابَتَهُمْ كَلا قَرَابَةٍ تَحْصُلُ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَمَفْسَدَةً عَظِيمَةً، لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ مَا لَمْ يَصِيرُوا يَدًا وَاحِدَةً عَلَى الشِّرْكِ، كَانَ الشِّرْكُ ظَاهِرًا وَالْفَسَادُ زَائِدًا.

وَقُرِئَ: "كَثِيرٌ" بِالثَّاءِ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[2]، لِأَنَّهُمْ صَدَقُوا إِيمَانَهُمْ وَحَقَّقُوهُ، بِتَحْصِيلِ مُقْتَضَيَاتِهِ مِنْ هِجْرَةِ الْوَطَنِ، وَمُفَارَقَةِ الْأَهْلِ، وَالانْسِلاخِ مِنَ الْمَالِ، لِأَجْلِ الدِّينِ، وَلَيْسَ بِتَكْرَارٍ، لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ وَارِدَةٌ لِلثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَالشَّهَادَةِ لَهُمْ، مَعَ الْمَوْعِدِ الْكَرِيمِ، وَالْأَوْلَى لِلْأَمْرِ بِالتَّوَاصُلِ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾[3]: يُرِيدُ اللَّاحِقِينَ بَعْدَ السَّابِقِينَ إِلَى الْهِجْرَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾[4]، أَلْحَقَهُمْ بِهِمْ، وَجَعَلَهُمْ مِنْهُمْ، تَفَضُّلًا مِنْهُ، وَتَرْغِيبًا.

﴿وَأُولُو الأَرْحَامِ﴾[5]: أُولُو الْقَرَابَاتِ أَوْلَى بِالتَّوَارُثِ، وَهُوَ نَسْخٌ لِلتَّوَارُثِ بِالْهِجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ.

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[6]: تَعَالَى فِي حُكْمِهِ وَقِسْمَتِهِ.

وَقِيلَ: فِي اللَّوْحِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْحَشْرِ، الآية 10.

[5] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية .

وَقِيلَ: فِي الْقُرْآنِ، وَهُوَ آيَةُ الْمَوَارِيثِ، وَقَدِ اسْتَدَلَّ بِهِ أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ –رَحِمَهُ اللَّهُ– عَلَى تَوْرِيثِ ذَوِي الْأَرْحَامِ.

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْأَنْفَالِ وَبَرَاءَةَ، فَأَنَا شَفِيعٌ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَشَاهِدٌ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ النِّفَاقِ وَأُعْطِيَ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ كُلِّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ، وَكَانَ الْعَرْشُ وَحَمَلَتُهُ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا".

محتويات الكتاب

مدونات الكتاب

كتاب تفسير الكشّاف

الجزء السّادس **19 – 52**

سُورَةُ الْأَعْرَافِ		
﴿المص كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾		
﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾		
﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾		
﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلاّ أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾		
﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾		
﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾		
﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ﴾		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾		

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾		
﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾		
﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾		
﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾		
﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾		
﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنْ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةَ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾		
﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾		
﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾		
﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ		

يَذَّكَّرُونَ﴾		
﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنَ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾		
﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾		
﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾		
﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾		
﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾		
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾		
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾		
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾		
﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ		

يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾		
﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنَ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾		
﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾		
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾		
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾		
﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾		
﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾		

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾		
﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾		
﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾		
﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾		
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾		
﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ		

كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾		
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾		
﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾		
﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾		
﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾		
﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾		
﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾		
﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ		

مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهَ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهَ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾		
﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾		
﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾		
﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ		

آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾		
﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهِ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهِ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾		
﴿وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾		
﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾		
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾		
﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾		
﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾		

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾		
﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾		
﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾		
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾		
﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾		
﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾		
﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِنَّ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾		
﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾		

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾		
﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾		
﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾		
﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾		
﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾		
﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾		
﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾		
﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾		

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾		
﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾		
﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾		
﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾		
﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾		
﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ		

يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾		
﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾		
﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾		
﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾		
﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ. وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾		
﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾		
﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مِنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مِنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا		

هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾		
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾		
﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾		
﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾		
﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾		
﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ		

عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾		
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبُّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾		
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبُّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾		
﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾		
﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾		
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾		
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾		
﴿سَاءَ مَثَلا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾		
﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾		
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا		

		يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ﴾
		﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
		﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾
		﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾
		﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾
		﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾
		﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
		﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾		
﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ﴾		
﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾		
﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾		
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾		
﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾		
﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾		
﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾		
﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾		
﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾		

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾		
سُورَةُ الْأَنْفَالِ		
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾		
﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾		
﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾		
﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾		
﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾		
﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾		
﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾		
﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ		

مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾		
﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾		
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾		
﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾		
﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾		
﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾		

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾		
﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾		
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾		
﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾		
﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾		
﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾		
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ		

كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾		
﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ﴾		
﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾		
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾		
﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهُ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾		
﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهُ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾		
﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهُ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾		
﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾		

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾		
﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهِ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾		
﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾		
﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهِ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلِ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾		
﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾		
﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾		
﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ﴾		
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهِ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾		
﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ		

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾		
﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾		
﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾		
﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾		
﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾		
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ		

إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾		
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾		
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾		

محتويات الكتاب 61 – 64

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – III/2 – المنار 2 – تونس – الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-070-6

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع